

سلسلة تهذيب البداية والنهاية (٥)

تهذيب كتاب البداية والنهاية لابن كثير

العصر الأموي

(٤١-١٣٢)

الجزء الأول

هذبه ورتبه

د. محمد بن صامل السلمي

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فقد كنت منذ زمن أصحب كتاب البداية والنهاية للحافظ الثبت العلامة إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، قراءة ومراجعة ومدارسة مع بعض الطلبة، وأدركت أهمية الكتاب وفضله وكثرة فوائده، ومكانته بين كتب التاريخ، مما دعاني إلى الإسهام في خدمة الكتاب، ومحاولة تقريبه للقراء وطلبة الجامعات بصفة خاصة.

وحيث أن الكتاب مرتب في قسمه الخاص بالتاريخ الإسلامي على السنين الهجرية، وهي طريقة تساعد على حصر الحوادث والوقائع التي تحدث في كل سنة، وكذا وفيات الأعلام على حسب السنين، فيدرك القارئ النظرة الجزئية للتاريخ وسير وقائعه،

لكنه يحتاج إلى جهد مضاعف حتى يحيط بالنظرة الكلية لعصر من العصور، ويربط حوادث بعضها ببعض، ويفسر اتجاهاتها، ويدرك بواعثها، خاصة وأن الكتاب كبير الحجم متسع الزمن والبلدان التي أرخ لها، خلال ثمانية قرون في امتداد جغرافية العالم الإسلامي، من الأندلس غرباً إلى الصين شرقاً.

ولهذا رأيت أن ترتيب الكتاب على الموضوعات واختصار الاستطرادات والتراجم مما يقربه للقارئ المعاصر، ويساعد على إدراك النظرة الكلية للحوادث والعصور.

وقد بدأت بترتيب الكتاب وتهذيبه عن عصر الخلافة الراشدة وخرجت في أربعة أجزاء متتابعة من عام (١٤١٨-١٤٢٢)، ثم رأيت أن أجمعها في مجلد واحد فتم ذلك والله الحمد.

وقد تجاوزت في التهذيب قصص الأنبياء والسيرة النبوية حيث قد خدمها كثير من الباحثين اختصارا وإفرادا عن الأصل؛ ثم شغلت عن الاستمرار في تهذيب بقية الكتاب حتى عام (١٤٤١)، وهأنا ذا أنشط لإكمال العمل ونسأل الله التوفيق وحسن الختام.

وهذا الجزء من العصر الأموي (٤١ - ٨٦) يشمل خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وابنه يزيد وحفيده معاوية بن يزيد ثم خلافة عبدالله بن الزبير رضي الله عنه وما صاحبها من الأحداث حتى استقرت خلافة عبدالملك بن مروان.

وقد سرت فيه على المنهج الذي سلكته في خلافة الخلفاء الراشدين وذكرته في الجزء الأول. وسيتلو هذا بقية أحداث العصر الأموي في جزء آخر إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

د. محمد بن صامل السلمي

جامعة أم القرى

شهر رجب الفرد ١٤٤١ هـ.



خلافة

مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٤١ - ٦٠)



الفصل الأول :

ترجمته وخلافته

نسبه وأسرته : ^(١)

هُوَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرُ بْنُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةِ بْنِ قُصَيٍّ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ، خَالُ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَاتِبُ وَحْيِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَسْلَمَ هُوَ وَأَبُوهُ وَأُمُّهُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ يَوْمَ الْفَتْحِ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ قَالَ أَسْلَمْتُ يَوْمَ عُمَرَةَ الْقَضَاءِ، وَلَكِنْ كَتَمْتُ إِسْلَامِي مِنْ أَبِي وَأُمِّي إِلَى يَوْمِ الْفَتْحِ. وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَآلَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ قُرَيْشٍ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ فَكَانَ هُوَ أَمِيرَ الْحُرُوبِ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ، وَكَانَ رَئِيسًا مُطَاعًا ذَا مَالٍ جَزِيلٍ، وَلَمَّا أَسْلَمَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرْنِي حَتَّى أَقَاتِلَ الْكُفَّارَ كَمَا كُنْتُ أَقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ. قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ: وَمُعَاوِيَةُ تَجْعَلُهُ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ. قَالَ: "نَعَمْ".

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ غَيْرِهِ مِنْ كُتَّابِ الْوَحْيِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،

زوجاته وأولاده :

تزوج فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف، وله منها عبد الرحمن، وبه كان يُكْتَبُ، قال الطبري مات صغيرا (٢) وعبد الله، وكان ضعيف العقل. وهند تزوجها عبد الله بن عامر بن كريز .

وتزوج كنود بنت قرظة أختها مُنْفَرِدَةً عَنْهَا بَعْدَهَا، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ حِينَ افْتَتَحَ قُبْرُسَ. (٣)

وتزوج نائلة بنت عمارة الكلبيّة فأعجبته .

وتزوج ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دُلْجَةَ بْنِ قُنَافَةَ الْكَلْبِيِّ، وَكَانَتْ حَازِمَةً عَظِيمَةً الشَّانِ

(١) من مصادر ترجمته ، طبقات ابن سعد ٣/٣٢ ، ١/١٠٤ من الطبقة الرابعة ، نسب قريش ١٢٤ ، أحمد بن حنبل

فضائل الصحابة ٢/٩١٣ ، الاستيعاب ١٠/١٣٤ ، أسد الغابة ٥/٢٠٩ ، سير أعلام النبلاء ٣/١١٩ ، البداية والنهاية

١١/٣٩٦ ، والإصابة ٩/٢٣١ ،

(٢) عند ابن سعد أنه (درج) أي مات صغيرا .

(٣) سماها الطبري ٥/٣٢٩ كتوة وماتت في قبرص .

جَمَالًا وَرِيَّاسَةً وَعَقْلًا وَدِينًا، وَأَنْجَبَ مِنْهَا أَشْهَرُ أَوْلَادِهِ يَزِيدُ ، وَرَمَلَهُ ^(١) الَّتِي تَزَوَّجَهَا عَمْرُو بْنُ
عُثْمَانَ بْنِ عَقَّانَ،
إِسْلَامِهِ وَفَضَائِلِهِ:

أَسْلَمَ مُعَاوِيَةَ عَامَ الْفَتْحِ وَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : أَسْلَمْتُ يَوْمَ الْقَضِيَّةِ (صَلَحَ الْحَدِيثِيَّةِ)
وَلَكِنْ كَتَمْتُ إِسْلَامِي مِنْ أَبِي ، ثُمَّ عَلِمَ بِذَلِكَ فَقَالَ لِي : هَذَا اخُوكَ يَزِيدُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ
عَلَى دِينِ قَوْمِهِ . فَقُلْتُ لَهُ : لَمْ آلْ نَفْسِي جَهْدًا .
قَالَ مُعَاوِيَةُ : وَلَقَدْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ فِي عِمْرَةِ الْقَضَاءِ ، وَإِنِّي لَمُصَدِّقٌ بِهِ ، ثُمَّ لَمَّا
دَخَلَ عَامَ الْفَتْحِ أَظْهَرْتُ إِسْلَامِي ، فَجِئْتُهُ فَرَحْبَ بِي وَكَتَبْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ .
قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَشَهِدَ مَعَهُ حُنَيْنًا، وَأَعْطَاهُ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ، ^(٢)
وَصَحِبَ مُعَاوِيَةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَتَبَ الْوَحْيَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَعَ الْكِتَابِ،
وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً فِي " الصَّحِيحَيْنِ " ، وَغَيْرَهُمَا مِنْ " السُّنَنِ " وَ " الْمَسَانِيدِ " ، وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ .

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَالْحَاكِمُ فِي " مُسْتَدْرَكِهِ " مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَوَانَةَ الْوَضَّاحِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ الْيَشْكُرِيِّ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عِمْرَانَ بْنِ أَبِي عَطَاءٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: « كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ
الْغِلْمَانِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَاءَ فَقُلْتُ: مَا جَاءَ إِلَّا إِلَيَّ. فَاخْتَبَأْتُ عَلَى
بَابٍ، فَجَاءَنِي فَحَطَّأَنِي حَطَّاءً ^(٣) ثُمَّ قَالَ: " اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ ". وَكَانَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ.
قَالَ: فَذَهَبْتُ فَدَعَوْتُهُ لَهُ، فَقِيلَ: إِنَّهُ يَأْكُلُ. فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: إِنَّهُ
يَأْكُلُ. فَقَالَ: " اذْهَبْ فَادْعُهُ ". فَاتَيْتُهُ الثَّانِيَةَ فَقِيلَ: إِنَّهُ يَأْكُلُ.

(١) عند ابن سعد الطبقة الرابعة ص ١٠٥/١ أن أمها كنود بنت قرظة ، ويضيف ابن سعد في أولاد معاوية صفية تزوجها محمد بن زياد بن أبي سفيان وأمها أم ولد ، وفي نسب قريش للزبير ص ١٢٨ أن اسمها عائشة ، وعند ابن قتيبة في المعارف ص ٣٥٠ بنتا أخرى سماها عاتكة .

(٢) علق الذهبي في السير ١٢٢/٣ قلت :الواقدي لا يعي ما يقول ،فإن كان معاوية كما نقل قديم الإسلام ،فلماذا يتألفه النبي ﷺ ؟ ولوكان أعطاه ، لما قال عندما خطب فاطمة بنت قيس ،أما معاوية فصعلوك لا مال له .

(٣) أي ضربني بيده بين كتفي ، انظر شرح النووي على مسلم ١٥٦/١٦ .

فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: " لَا أَشْبَعُ اللَّهَ بَطْنُهُ ".
قَالَ: فَمَا شَبَعَ بَعْدَهَا» (١).

قلت: وَقَدْ انْتَفَعَ مُعَاوِيَةُ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ فِي دُنْيَاهُ وَأُحْرَاهُ.
أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ لَمَّا صَارَ فِي الشَّامِ أَمِيرًا، كَانَ يَأْكُلُ فِي الْيَوْمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، يُجَاءُ بِقِصْعَةٍ فِيهَا
لَحْمٌ كَثِيرٌ وَبَصَلٌ فَيَأْكُلُ مِنْهَا، وَيَأْكُلُ فِي الْيَوْمِ سَبْعَ أَكْلَاتٍ بِلَحْمٍ، وَمِنْ الْحُلْوَى وَالْفَاكِهَةِ
شَيْئًا كَثِيرًا، وَيَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَشْبَعُ، وَإِنَّمَا أَعْيَى. وَهَذِهِ نِعْمَةٌ وَمِعْدَةٌ يَرْغَبُ فِيهَا كُلُّ الْمُلُوكِ.
وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَقَدْ أَتَبَعَ مُسْلِمٌ هَذَا الْحَدِيثَ بِالْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ هُوَ وَالْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُمَا، مِنْ
غَيْرِ وَجْهِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا
بَشَرٌ، فَأَيُّمَا عَبْدٍ سَبَبْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ أَوْ دَعَوْتُ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ لِدَٰلِكَ أَهْلًا، فَاجْعَلْ ذَٰلِكَ كَفَّارَةً
وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِيَّهَا عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ".» (٢) فَكَرَّبَ مُسْلِمٌ مِنَ الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ وَهَذَا الْحَدِيثِ
فَضِيلَةً لِمُعَاوِيَةَ، وَلَمْ يُورِدْ لَهُ غَيْرَ ذَٰلِكَ.

وَقَدْ أورد أبو القاسم الطبراني وابن عساکر أحاديث كثيرة موضوعة والعجب منه مع حفظه
وإطلاعه كيف لا ينبئه عليها وعلى نكارتها وضعف رجالها. والله الموفق للصواب.

وقال الإمام أحمد: (٣) حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ، يَعْنِي ابْنَ صَالِحٍ، عَنْ
يُونُسَ بْنِ سَيْفٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي رُحَيْمٍ، عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ قَالَ:
«سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا إِلَى السَّحُورِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ: " هَلُمَّ إِلَى
الْعَدَاءِ الْمُبَارَكِ ". ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: " اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ، وَقِهِ الْعَذَابَ ".»
تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ، وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَهْدِيٍّ،

(١) المسند ١/٣٣٥، ١٢٩، ومسلم برقم (٢٦٠٤) ولكن من طريق شعبة عن أبي حمزة به، وقال محققو البداية والنهاية
أخرجهم البيهقي في دلائل النبوة عن الحاكم. ولم يخرجهم الحاكم في مستدركه .

(٢) صحيح مسلم (٢٦٠١) والبخاري (٦٣٦١)

(٣) المسند ٤/١٢٧

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: ^(١) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ بَحْرٍ، ثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، ثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ
الْعَزِيزِ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عُمَيْرَةَ الْأُرْدِيِّ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، أَنَّهُ ذَكَرَ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهْدِ بِهِ». وَهَكَذَا رَوَاهُ
الترمذي، ^(٢) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِي مُسْهِرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِهِ، وَقَالَ: حَسَنٌ
غَرِيبٌ.

وَقَدْ اغْتَنَى ابْنُ عَسَاكِرٍ هَذَا الْحَدِيثَ، وَأَطْنَبَ فِيهِ وَأَطْرَبَ، وَأَفَادَ وَأَجَادَ،
وَأَحْسَنَ الْإِنْتِقَادَ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ، كَمْ لَهُ مِنْ مَوْطِنٍ قَدْ بَرَزَ فِيهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْحِفَاطِ وَالنُّقَادِ. ^(٣)
ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَسَاكِرٍ: وَأَصَحُّ مَا رُوِيَ فِي فَضْلِ مُعَاوِيَةَ حَدِيثُ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، «أَنَّهُ
كَانَ كَاتِبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْذُ أَسْلَمَ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي "صَحِيحِهِ". وَبَعْدَهُ
حَدِيثُ الْعِرْبَابِ: "«اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الْكِتَابَ»".
وَبَعْدَهُ حَدِيثُ ابْنِ أَبِي عُمَيْرَةَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا».

قُلْتُ: وَقَدْ قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْمَنَاقِبِ ^(٤): ذَكَرُ مُعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ:
حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ بِشْرٍ، ثَنَا الْمُعَاوِيُّ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: أَوْتَرَّ
مُعَاوِيَةُ بَعْدَ الْعِشَاءِ بِرُكْعَةٍ، وَعِنْدَهُ مَوْلَى لِبْنِ عَبَّاسٍ، فَأَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: دَعُهُ فَإِنَّهُ قَدْ
صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، ثَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ، ثَنَا ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: هَلْ لَكَ فِي
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ؟ مَا أَوْتَرَّ إِلَّا بِوَاحِدَةٍ! قَالَ: أَصَابَ، إِنَّهُ فَقِيهٌ.

عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَبَانَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ: «إِنَّكُمْ لَتُصَلُّونَ صَلَاةً لَقَدْ صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا رَأَيْنَاهُ يُصَلِّيهِمَا، وَلَقَدْ نَهَى عَنْهُمَا. يَعْنِي الرُّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ». .
ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ ^(٥): ذَكَرُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ: أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: «جَاءَتْ

(١) المسند ٢١٦/٤

(٢) صحيح سنن الترمذي للألباني (٣٠١٨)

(٣) البداية والنهاية ٤٠٨/١١

(٤) فتح الباري ١٠٣/٧ وما بعدها

(٥) المصدر نفسه ١٤١/٧

هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ أَهْلِ خِבَاءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَذِلُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ، ثُمَّ مَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَعْرِضُوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ. فَقَالَ: " وَأَيْضًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ". فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ مَسِيكٌ، فَهَلْ عَلَيَّ حَرْجٌ أَنْ أُطْعِمَ مِنَ الَّذِي لَهُ عِيَالُنَا؟ قَالَ: " لَا، بِالْمَعْرُوفِ ".

فَالْمِدْحَةُ فِي قَوْلِهِ: " وَأَيْضًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ". وَهُوَ أَنَّهُ كَانَ يَوَدُّ أَنْ هِنْدَ وَأَهْلَهَا وَكُلَّ كَافِرٍ يَذِلُّوا فِي حَالِ كُفْرِهِمْ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْرِضُوا، فَأَعَزَّهُمُ اللَّهُ « يَعْنِي أَهْلُ خِبَائِهَا.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأُمَوِيُّ، ^(١) عَنْ جَدِّهِ قَالَ: دَخَلَ مُعَاوِيَةُ عَلَى عُمَرَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ خَضْرَاءُ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا الصَّحَابَةُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عُمَرُ وَثَبَ إِلَيْهِ بِالْدَّرَّةِ، فَجَعَلَ يَضْرِبُهَا بِهَا، وَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ يَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُ اللَّهُ فِيَّ. فَرَجَعَ عُمَرُ إِلَى مَجْلِسِهِ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: لِمَ ضَرَبْتَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا فِي قَوْمِكَ مِثْلُهُ؟ ! فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا بَلَغَنِي إِلَّا خَيْرٌ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُهُ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ - فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَضَعَ مِنْهُ مَا شَمَخَ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ: ^(٢) أَنَّ أَبَا مَرْيَمَ الْأَزْدِيَّ أَخْبَرَهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: مَا أَنْعَمَنَا بِكَ أَبَا فَلَانٍ؟ - وَهِيَ كَلِمَةٌ تَقُولُهَا الْعَرَبُ تَعْبِيرًا عَنِ الْفَرَحِ بِالْقَادِمِ - فَقُلْتُ: حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ أَخْبَرَكَ بِهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، احْتَجَبَ اللَّهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ». قَالَ: فَجَعَلَ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ^(٣) وَغَيْرُهُ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْقُرَازِيُّ، ثَنَا حَبِيبُ بْنُ الشَّهِيدِ، عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ قَالَ: حَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى النَّاسِ، فَقَامُوا لَهُ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

(١) ابن عساكر ٧٠١/١٦

(٢) صحيح سنن أبي داود للألباني ح ٢٥٥٥

(٣) صحيح سنن الترمذي للألباني (١٠٧١)

«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (١)

وَتَبَتْ فِي "الصَّحِيحَيْنِ" (٢) مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ» (٣) «وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ».

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: (٣) حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ يُرِيدُ الْحَجَّ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَكَلَّمَهَا خَالِيَيْنِ لَمْ يَشْهَدْ كَلَامَهُمَا أَحَدٌ إِلَّا ذَكَوَانُ أَبُو عَمْرٍو مَوْلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: أَمِنْتُ أَنْ أَحْبَبَى لَكَ رَجُلًا يَقْتُلُكَ بِقَتْلِكَ أَخِي مُحَمَّدًا؟ فَقَالَ: صَدَقْتُ. فَكَلَّمَهَا مُعَاوِيَةُ، فَلَمَّا قَضَى كَلَامَهُ مَعَهَا تَشَهَّدَتْ عَائِشَةُ، ثُمَّ ذَكَرْتُ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، وَالَّذِي سَنَّ الْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ، وَحَضَّتْ مُعَاوِيَةَ عَلَى اتِّبَاعِ أَمْرِهِمْ، فَقَالَتْ فِي ذَلِكَ فَلَمْ تَتْرُكْ، فَلَمَّا قَضَتْ مَقَالَتَهَا قَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ: أَنْتِ وَاللَّهُ الْعَالِمَةُ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، النَّاصِحَةُ الْمُشْفِقَةُ الْبَلِيعَةُ الْمُوعِظَةُ، حَضَضْتَ عَلَى الْخَيْرِ وَأَمَرْتَ بِهِ، وَلَمْ تَأْمُرِينَا إِلَّا بِالَّذِي هُوَ لَنَا، وَأَنْتِ أَهْلٌ أَنْ تُطَاعِي. وَتَكَلَّمْتُ هِيَ وَمُعَاوِيَةُ كَلَامًا كَثِيرًا. فَلَمَّا قَامَ مُعَاوِيَةُ اتَّكَأَ عَلَى ذَكَوَانَ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ خَطِيبًا لَيْسَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْلَغَ مِنْ عَائِشَةَ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: (٤) حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَجَلِيُّ، ثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، حَدَّثَنِي عَلْقَمَةُ بْنُ أَبِي عَلْقَمَةَ، عَنْ أُمِّهِ قَالَتْ: قَدِمَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ الْمَدِينَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَائِشَةَ أَنْ أُرْسِلِي إِلَيَّ بِأَنْبِجَانِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَعْرِهِ، فَأَرْسَلْتُ بِهِ مَعِيَ أَحْمَلُهُ، حَتَّى دَخَلْتُ بِهِ عَلَيْهِ، فَأَخَذَ الْأَنْبِجَانِيَّةَ، فَلَبِسَهَا، وَأَخَذَ شَعْرَهُ فَدَعَا بِمَاءٍ، فَعَسَلَهُ وَشَرِبَهُ، وَأَفَاضَ عَلَى جِلْدِهِ.

(١) المسند ١٠٠/٤ بنحوه و السلسلة الصحيحة (٣٥٧)

(٢) البخاري في عدة مواضع ٧١، ٣١١٦ ومسلم (١٠٣٧، ١٠٠)

(٣) ابن عساكر ٧٢٠/١٦ من طريق الزهري به .

(٤) المصدر السابق ٧٢١/١٦ من طريق محمد سعد به .

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ مَالِكٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي: اسْمَعْ يَا زُهْرِيُّ، مَنْ مَاتَ مُحِبًّا لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَشَهِدَ لِلْعَشْرَةِ بِالْجَنَّةِ، وَتَرَخَمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، كَانَ حَقِيقًا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُنَاقِشَهُ الْحِسَابَ. (١)

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ: سُئِلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: مَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ ". فَقَالَ حَلْفُهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ؟ ! فَقِيلَ لَهُ: أَيُّمَا أَفْضَلُ؟ هُوَ أَمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟ فَقَالَ: لَثَرَابُ فِي مَنْحَرِي مُعَاوِيَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. (٢)

وَقَالَ غَيْرُهُ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ: مُعَاوِيَةُ عِنْدَنَا مِحْنَةٌ فَمَنْ رَأَيْنَاهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ شَرًّا اتَّهَمْنَاهُ عَلَى الْقَوْمِ. يَغْنِي الصَّحَابَةَ. (٣)

وَقَالَ أَبُو تَوْبَةَ الرَّيِّعُ بْنُ نَافِعِ الْحَلَبِيِّ: مُعَاوِيَةُ سِتْرٌ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا كَشَفَ الرَّجُلُ السِّتْرَ اجْتَرَأَ عَلَى مَا وَرَاءَهُ. (٤)

وَقَالَ الْمَيْمُونِيُّ: قَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَذْكُرُ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ بِسُوءٍ فَاتَّهَمُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ. (٥)

وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ تَنَقَّصَ مُعَاوِيَةَ وَعَمَرُو بْنُ الْعَاصِ: أَيْقَالَ لَهُ رَافِضِيٌّ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَجْزِرْ عَلَيْهِمَا إِلَّا وَلَهُ حَبِيبُهُ سُوءٌ، مَا انْتَقَصَ أَحَدٌ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَلَهُ دَاخِلَةٌ سُوءٌ. (٦)

(١) تاريخ دمشق ١٦/٧٤٥

(٢) المصدر السابق ١٦/٧٤٦

(٣) المصدر السابق ١٦/٧٤٦

(٤) المصدر السابق ١٦/٧٤٧

(٥) المصدر السابق ١٦/٧٤٧

(٦) المصدر السابق ١٦/٧٤٧

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَقَلَ وَحَلَّمَ ؛ مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا غَضِبَ كَظَمَ، وَإِذَا قَدَرَ غَفَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أُنْجَزَ، وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ. (١)

وَقَالَ ابْنُ السَّمَّكِ : قَالَ مُعَاوِيَةُ : كُلُّ النَّاسِ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُرْضِيَهُ إِلَّا حَاسِدَ نِعْمَةٍ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُرْضِيَهُ إِلَّا زَوَالَهَا. (٢)

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ أَبِي بَحْرِيَّةَ قَالَ : قَالَ مُعَاوِيَةُ : الْمُرُوءَةُ فِي أَرْبَعٍ ؛ الْعِفَافِ فِي الْإِسْلَامِ، وَاسْتِصْلَاحِ الْمَالِ، وَحِفْظِ الْإِخْوَانِ، وَعَوْنِ الْجَارِ. (٣)

صفاته وحلمه

كَانَ أَبْيَضَ طَوِيلًا، أَجْلَحَ أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ، يُحَضِّبُهُمَا بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ، وَقَدْ أَصَابَتْهُ لَقُوءٌ فِي آخِرِ عُمُرِهِ، فَكَانَ يَسْتُرُ وَجْهَهُ، وَيَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا دَعَا لِي بِالْعَافِيَةِ، فَقَدْ رُمِيتُ فِي أَحْسَنِ وَمَا يَبْدُو مِنِّي، وَكَانَ حَلِيمًا وَقُورًا رَئِيسًا سَيِّدًا فِي النَّاسِ، كَرِيمًا عَادِلًا شَهْمًا.

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ، (٤) عَنْ صَالِحِ بْنِ حَسَّانَ قَالَ : رَأَى بَعْضُ مُتَقَرِّسِي الْعَرَبِ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ صَبِيٌّ صَغِيرٌ، فَقَالَ : إِنِّي لَأَظُنُّ هَذَا الْغُلَامَ سَيَسُودُ قَوْمَهُ. فَقَالَتْ هِنْدُ : ثَكَلْتُهُ إِنْ كَانَ لَا يَسُودُ إِلَّا قَوْمَهُ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ : (٥) أَنْبَأَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَيْفٍ قَالَ : نَظَرَ أَبُو سُفْيَانَ يَوْمًا إِلَى مُعَاوِيَةَ وَهُوَ غُلَامٌ، فَقَالَ لَهُنَدُ : إِنَّ ابْنِي هَذَا لَعَظِيمُ الرَّأْسِ، وَإِنَّهُ لَخَلِيقٌ أَنْ يَسُودَ قَوْمَهُ. فَقَالَتْ هِنْدُ : قَوْمَهُ فَقَطْ ؟ ! ثَكَلْتُهُ إِنْ لَمْ يَسُدِ الْعَرَبَ قَاطِبَةً. وَكَانَتْ هِنْدُ تَحْمِلُهُ وَهُوَ صَغِيرٌ، وَتَقُولُ :

إِنَّ بَنِي مُعْرِقٍ كَرِيمٌ ... مُحَبَّبٌ فِي أَهْلِهِ حَلِيمٌ

(١) تاريخ الطبري ٣٣٢/٥

(٢) تاريخ دمشق ٧٤٢/١٦

(٣) المصدر نفسه ٧٤٣/١٦

(٤) المصدر نفسه ٦٧٦/١٦

(٥) المصدر نفسه ٦٦٧/١٦ من طريق محمد بن سعد

لَيْسَ بِفَحَّاشٍ وَلَا لَيْمٍ ... وَلَا بِطُخْرُورٍ وَلَا سَثُومٍ
صَخْرُ بَنِي فَهْرٍ بِهِ زَعِيمٌ ... لَا يُخْلِفُ الظَّنَّ وَلَا يَخِيَمُ

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: ^(١) حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، ثَنَا الْمِسْوَرُ بْنُ
مُحْرَمَةَ أَنَّهُ وَقَدْ عَلَى مُعَاوِيَةَ، قَالَ: فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ - حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: سَلَّمْتُ عَلَيْهِ -
فَقَالَ: مَا فَعَلَ طَعْنُكَ عَلَى الْأَيْمَةِ يَا مِسْوَرُ؟ قَالَ: قُلْتُ: ارْضُنَا مِنْ هَذَا وَأَحْسِنْ فِيمَا قَدِمْنَا
لَهُ. فَقَالَ: لَتَكَلِّمَنِي بِذَاتِ نَفْسِكَ. قَالَ: فَلَمْ أَدْعُ شَيْئًا أَعْيِيهِ عَلَيْهِ إِلَّا أَخْبَرْتُهُ بِهِ. فَقَالَ: لَا
بِرَاءَ مِنَ الذُّنُوبِ، فَهَلْ لَكَ مِنْ ذُنُوبٍ تَخَافُ أَنْ تُهْلِكَ إِنْ لَمْ يَغْفِرَهَا اللَّهُ لَكَ؟ قَالَ: قُلْتُ:
نَعَمْ. قَالَ: فَمَا يَجْعَلُكَ أَحَقَّ بِأَنْ تَرْجُوَ الْمَغْفِرَةَ مِنِّي، فَوَاللَّهِ لَمَا أَلِيَ مِنَ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ
وِإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْأُمُورِ الْعِظَامِ الَّتِي تُحْصِيهَا وَالَّتِي لَا تُحْصِيهَا أَكْثَرُ مِمَّا
تَلِي، وَإِنِّي لَعَلَى دِينٍ يَقْبَلُ اللَّهُ فِيهِ الْحَسَنَاتِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَوَاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ مَا كُنْتُ
لِأُخَيِّرَ بَيْنَ اللَّهِ وَغَيْرِهِ إِلَّا اخْتَرْتُ اللَّهَ عَلَى مَا سِوَاهُ. قَالَ: فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ لِي مَا قَالَ،
فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ خَصَمَنِي. قَالَ: فَكَانَ الْمِسْوَرُ إِذَا ذَكَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ دَعَا لَهُ بِخَيْرٍ. وَقَدْ رَوَاهُ
شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنِ الْمِسْوَرِ بِخَوِّهِ. ^(٢)

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامٍ، سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا كَانَ أَحْلَقَ
بِالْمَلِكِ مِنْ مُعَاوِيَةَ. ^(٣)
وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَوْمًا، وَذَكَرَ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ فِي حِلْمِهِ وَاحْتِمَالِهِ
وَكَرَمِهِ. ^(٤)

وَقَالَ قَبِيصَةُ بْنُ جَابِرٍ: ^(٥) مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْظَمَ حِلْمًا، وَلَا أَكْثَرَ سُؤْدَدًا، وَلَا أَبْعَدَ أَنَاةً، وَلَا
أَلَيْنَ مَخْرَجًا، وَلَا أَرْحَبَ بَاعًا بِالْمَعْرُوفِ مِنْ مُعَاوِيَةَ.

(١) المصنف ٢٠٧١٧

(٢) تاريخ دمشق ٧٢٤/١٦

(٣) المصنف ٢٠٩٨٥

(٤) تاريخ دمشق ٧٣٢/١٦

(٥) المصدر نفسه .

وَقَالَ ابْنُ أُخْتِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ الْحَكَمِ لِمُعَاوِيَةَ: (١) إِنَّ فُلَانًا يَشْتُمُنِي. فَقَالَ لَهُ: تَطَاطَأَ هَا تَمُرُّ فَتُجَاوِزَكَ.

وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: (٢) قَالَ رَجُلٌ لِمُعَاوِيَةَ: مَا رَأَيْتُ أَنْذَلَ مِنْكَ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَى، مَنْ وَاجَهَ الرَّجَالَ بِمِثْلِ هَذَا.

كرمه وإحسانه

قَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، (٣) عَنْ أَبِيهِ قَالَ: بَعَثَ مُعَاوِيَةُ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ بِمِائَةِ أَلْفٍ، فَفَرَّقَتْهَا مِنْ يَوْمِهَا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا دِرْهَمٌ، فَقَالَتْ لَهَا خَادِمَتُهَا: هَلَّا أَبْقَيْتِ لَنَا دِرْهَمًا نَشْتَرِي بِهِ لَحْمًا. فَقَالَتْ: لَوْ أَذْكَرْتَنِي لَفَعَلْتُ.

وَوَفَدَ إِلَيْهِ مَرَّةً الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ فَأَجَازَهُمَا عَلَى الْفُورِ بِمِائَتِي أَلْفٍ، وَقَالَ لَهُمَا: مَا أَجَازَ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي. فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: وَلَمْ تُعْطِ أَحَدًا أَفْضَلَ مِنَّا. (٤)

وَرَوَى الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: وَفَدَ الْحَسَنُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لِلْحَسَنِ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِابْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ، وَقَالَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِابْنِ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ. (٥)

(١) المصدر نفسه ٧٣٤/١٦

(٢) المصدر نفسه .

(٣) تاريخ دمشق ٧٣٨/١٦

(٤) تاريخ دمشق ٧٣٩/١٦

(٥) تاريخ دمشق ٧٣٩/١٦، البداية والنهاية ط هجر ١١ / ٤٤٤

حسن سياسته وإدارته

قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ، عَنِ الْعُنَيْيِّ قَالَ: قَالَ مُعَاوِيَةُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَا أَنَا بِخَيْرِكُمْ، وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي؛ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو، وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَفَاضِلِ، وَلَكِنْ عَسَى أَنْ أَكُونَ أَنْفَعَكُمْ وَلَايَةً، وَأَنْكَأَكُمْ فِي عَدُوِّكُمْ، وَأَدْرَكُكُمْ حَلْبًا. (١)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: قَدْ عَلِمْتُ بِمِ غَلَبِ مُعَاوِيَةَ النَّاسِ، كَانُوا إِذَا طَارُوا وَقَعَ، وَإِذَا وَقَعُوا طَارَ. (٢)

وَكُتِبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى نَائِبِهِ زِيَادٍ: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَسُوسَ النَّاسَ سِيَّاسَةً وَاحِدَةً؛ بِاللَّيْلِ فَيَمْرَحُوا، وَلَا بِالشَّدَّةِ فَنَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى الْمَهَالِكِ، وَلَكِنْ كُنْ أَنْتَ لِلشَّدَّةِ وَالْفُظَاظَةِ وَالْغِلْظَةِ، أَكُونُ أَنَا لِلَّيْلِ وَالْأُلْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، فَإِذَا خَافَ حَائِفٌ وَجَدَ بَابًا يَدْخُلُهُ. (٣)

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِأَبِي بَكْرَةَ: هَلْ مِنْ عَهْدٍ تَعْهَدُهُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، أَعْهَدُ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَنْظُرَ لِنَفْسِكَ وَرَعِيَّتِكَ وَتَعْمَلَ صَالِحًا، فَإِنَّكَ قَدْ تَقَلَّدْتَ عَظِيمًا، خِلَافَةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، فَاتَّقِ اللَّهَ، فَإِنَّ لَكَ غَايَةً لَا تَعْدُوهَا، وَمِنْ وَرَائِكَ طَالِبٌ حَثِيثٌ، وَأَوْشَكُ أَنْ تَبْلُغَ الْمَدَى، فَيَلْحَقَ الطَّالِبُ، فَتَصِيرَ إِلَى مَنْ يَسْأَلُكَ عَمَّا كُنْتَ فِيهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْكَ، وَإِنَّمَا هِيَ مُحَاسَبَةٌ وَتَوْقِيفٌ، فَلَا تُؤْثِرَنَّ عَلَى رِضَا اللَّهِ شَيْئًا.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ (٤) مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ الْمُقْرَائِيِّ الْحِمَصِيِّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ إِنْ تَتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ. أَوْ: كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ». قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: كَلِمَةٌ سَمِعَهَا مُعَاوِيَةُ نَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا. تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ. يَعْنِي أَنَّهُ كَانَ جَيِّدَ السِّيَرَةِ، حَسَنَ التَّجَاوُزِ، جَمِيلَ الْعَفْوِ، كَثِيرَ السِّتْرِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) المصدر السابق ٧٢٥/١٦

(٢) البداية والنهاية ٤٣٩/١١

(٣) المصدر السابق ٧٣٧/١٦ بنحوه.

(٤) صحيح سنن أبي داود (٤٠٨٨)

وَرَوَى أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ، ^(١) عَنْ سُؤَيْدِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ ضِمَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أَبِي قَبِيلٍ قَالَ: كَانَ مُعَاوِيَةُ يُبْعَثُ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: أَبُو الْجَيْشِ فِي كُلِّ يَوْمٍ، فَيَدُورُ عَلَى الْمَجَالِسِ يَسْأَلُ هَلْ وُلِدَ لِأَحَدٍ مَوْلُودٌ، أَوْ قَدِمَ أَحَدٌ مِنَ الْوُفُودِ، فَإِذَا أُخْبِرَ بِذَلِكَ أَثْبَتَ فِي الدِّيَّوَانِ. يَعْنِي لِيُجْرِيَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ.

وصيته

قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ: ^(٢) فَحِينَ حَضَرَتْ مُعَاوِيَةَ الْوَفَاةُ كَانَ يَزِيدُ فِي الصَّيْدِ، فَاسْتَدْعَى مُعَاوِيَةَ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ الْفَهْرِيِّ - وَكَانَ عَلَى شُرْطَةِ دِمَشْقَ - وَمُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ فَأَوْصَى إِلَيْهِمَا أَنْ يُبَلِّغَا يَزِيدَ السَّلَامَ وَيَقُولَا لَهُ يَتَوَصَّى بِأَهْلِ الْحِجَازِ، وَإِنْ سَأَلَهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْ يَعْزَلَ عَنْهُمْ عَامِلًا وَيُوَلِّيَ عَلَيْهِمْ آخَرَ فَلْيَفْعَلْ، فَعَزَلَ وَاحِدٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ يُسَلَّ عَلَيْكَ مِائَةُ أَلْفِ سَيْفٍ، وَأَنْ يَتَوَصَّى بِأَهْلِ الشَّامِ حَيْرًا، وَأَنْ يَجْعَلَهُمْ أَنْصَارَهُ، وَأَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: ^(٣) أَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَكَمِ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا اخْتُصِرَ أَوْصَى بِنُصْفِ مَالِهِ أَنْ يُرَدَّ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ، كَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُطَيَّبَ لَهُ ؛ لِأَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَاسَمَ عُمَّالَهُ.

(١) تاريخ دمشق ٧٢٦/١٦

(٢) تاريخ الطبري ٣٢٣/٥ والمنتظم ٣٢١/٥

(٣) تاريخ دمشق ٧٥٢/١٦ من طريق محمد سعد به .

وفاته

كَتَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
إِذَا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا ... وَاضْطَرَبَتْ مِنْ كِبَرِ أَعْضَادُهَا
وَجَعَلَتْ أَسْقَامُهَا تَعْنَادُهَا ... فَهِيَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ نَعَى إِلَى نَفْسِي. (١)

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُقْبَةَ: (٢) لَمَّا نَزَلَ بِمُعَاوِيَةَ الْمَوْتَ قَالَ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ رَجُلًا مِنْ فُرَيْشٍ بِذِي
طَوًى وَلَمْ أَلِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ شَيْئًا.
وَقَالَ أَبُو السَّائِبِ الْمَخْزُومِيُّ: (٣) لَمَّا حَضَرَتْ مُعَاوِيَةَ الْوَفَاةُ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:
إِنْ تُنَاقِشَ يَكُنْ نِقَاشُكَ يَا رَبِّ ... عَذَابًا لَا طَوْقَ لِي بِالْعَذَابِ
أَوْ تُجَاوِزَ تُجَاوِزِ الْعَفْوِ فَاصْفَحْ ... عَنْ مُسِيءٍ ذُنُوبُهُ كَالْتُرَابِ

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ: (٤) جَعَلَ مُعَاوِيَةُ لَمَّا اخْتَضِرَ يَضَعُ حَدًّا عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ يُقَلِّبُ
وَجْهَهُ، وَيَضَعُ الْحَدَّ الْآخَرَ، وَيَبْكِي وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ فِي كِتَابِكَ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ
يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨]. اللَّهُمَّ فَاجْعَلْنِي مِمَّنْ تَشَاءُ أَنْ تَغْفِرَ لَهُ.
وَقَالَ الْعُتْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ: (٥) تَمَثَّلَ مُعَاوِيَةُ عِنْدَ مَوْتِهِ بِقَوْلِ بَعْضِهِمْ وَهُوَ فِي السِّيَاقِ:
هُوَ الْمَوْتُ لَا مَنْجَى مِنَ الْمَوْتِ وَالَّذِي ... نَحْذِرُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَذْهَى وَأَفْظَعُ
ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَقِلِ الْعَثْرَةَ، وَاعْفُ عَنِ الرِّثْلَةِ، وَتَجَاوَزْ بِحِلْمِكَ عَنِ جَهْلِ مَنْ لَمْ يَرْجُ غَيْرَكَ، فَإِنَّكَ
وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ، لَيْسَ لِيذِي خَطِيئَةٍ مِنْ خَطِيئَتِهِ مَهْرَبٌ إِلَّا إِلَيْكَ.

(١) تاريخ الطبري ٣٣٦/٥.

(٢) تاريخ دمشق ٧٥٣/١٦.

(٣) تاريخ دمشق (٧٥٤/١٦).

(٤) نفس المصدر السابق

(٥) المصدر السابق (٧٥٥/١٦).

وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تُوفِّيَ بِدِمَشْقَ فِي رَجَبِ سَنَةِ سِتِّينَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الضَّحَّاكُ بْنُ
قَيْسٍ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ بِمَسْجِدِ دِمَشْقَ، ثُمَّ دُفِنَ بِمَقَابِرِ بَابِ الصَّغِيرِ. وَعَلَيْهِ الْجُمُهُورُ وَقَدْ
جَاوَزَ الثَّمَانِينَ.

وَكَانَ مُدَّةَ مُلْكِهِ اسْتِقْلَالًا مِنْ جُمَادَى سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ حِينَ بَايَعَهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بِأَذْرَحَ،
فَذَلِكَ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وَكَانَ نَائِبًا فِي الشَّامِ عِشْرِينَ سَنَةً.

خلافته

عزل معاوية عن ولاية الشام

لَمَّا وَلِيَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْخِلَافَةَ أَشَارَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ أُمَرَائِهِ، أَنْ يَعْزَلَ مُعَاوِيَةَ عَنِ الشَّامِ، وَيُؤَيِّلَ عَلَيْهَا سَهْلَ بْنَ حَنِيفٍ، فَعَزَلَهُ فَلَمْ يَنْتَظِمْ لَهُ عَزْلُهُ، وَالتَفَّ عَلَى مُعَاوِيَةَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَمَنَعَ عَلَيْهَا عَنْهَا، وَقَدْ قَالَ: لَا أُبَايِعُهُ حَتَّى يُسَلِّمَنِي قَتْلَةَ عُثْمَانَ، فَإِنَّهُ قُتِلَ مَظْلُومًا، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا} [الإسراء: ٣٣]. (١)

وَرَوَى الطَّبْرَايُ (٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: مَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّ مُعَاوِيَةَ سَيَلِي الْمُلْكَ وَالسُّلْطَانَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ. فَلَمَّا امْتَنَعَ مُعَاوِيَةُ مِنَ الْبَيْعَةِ لِعَلِيٍّ حَتَّى يُسَلِّمَهُ الْقَتْلَةَ، كَانَ مِنْ أَمْرِ صِفِّينَ مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ (٣)

ثُمَّ آلَ الْأَمْرُ إِلَى التَّحْكِيمِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَأَبِي مُوسَى مَا أَسْلَفْنَاهُ مِنْ قُوَّةِ جَانِبِ أَهْلِ الشَّامِ فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُ مُعَاوِيَةَ جِدًّا، وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ عَلِيٍّ فِي اخْتِلَافٍ مَعَ أَصْحَابِهِ حَتَّى قَتَلَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ كَمَا تَقَدَّمَ. (٤)

تنازل الحسن وبيعة معاوية ﷺ

بَايَعَ أَهْلُ الْعِرَاقِ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَبَايَعَ أَهْلُ الشَّامِ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، ثُمَّ رَكِبَ الْحَسَنُ فِي جُنُودِ الْعِرَاقِ عَنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ مِنْهُ، وَرَكِبَ مُعَاوِيَةُ فِي أَهْلِ الشَّامِ، فَلَمَّا تَوَاجَهَ الْجَيْشَانِ وَتَقَابَلَ الْقَرِيقَانِ، سَعَى النَّاسُ بَيْنَهُمَا فِي الصُّلْحِ، فَانْتَهَى الْحَالُ إِلَى أَنْ حَلَعَ الْحَسَنُ نَفْسَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ، وَسَلَّمَ الْمُلْكَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَكَانَ ذَلِكَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ، وَدَخَلَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْكُوفَةِ فَحَطَبَ النَّاسَ بِهَا حُطْبَةً بَلِيغَةً بَعْدَ مَا بَايَعَهُ النَّاسُ،

(١) انظر: تاريخ دمشق ١٦ / ٦٧١ وتفسير ابن كثير ٧٣/٥.

(٢) المعجم الكبير ١٠ / ٣٢٠ رقم ١٠٦١٣.

(٣) انظر: البداية والنهاية ١٠ / ٥٠٩ وما بعدها.

(٤) انظر: البداية والنهاية ١١ / ١٢ وما بعدها.

وَاسْتَوْسَقَتْ لَهُ الْمَمَالِكُ شَرْقًا وَعَزَبًا، وَبُعْدًا وَقُرْبًا، وَسُمِّيَ هَذَا الْعَامُ الْجَمَاعَةَ ؛ لِاجْتِمَاعِ
الْكَلِمَةِ فِيهِ عَلَى أَمِيرٍ وَاحِدٍ بَعْدَ الْفُرْقَةِ، وَأَجْمَعَتِ الرعايا على بيعته . (١)

فَلَمْ يَزَلْ مُسْتَقِلًّا بِالْأَمْرِ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ إِلَى وَفَاتِهِ، وَالْجِهَادُ فِي بِلَادِ الْعَدُوِّ قَائِمٌ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ
عَالِيَةً، وَالْعَنَائِمُ تَرُدُّ إِلَيْهِ مِنْ أَطْرَافِ الْأَرْضِ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ فِي رَاحَةٍ وَعَدْلٍ وَصَفْحٍ وَعَقْوٍ.
ورد في الحديث أَنَّ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا، وَقَدْ
انْقَضَتِ الثَّلَاثُونَ سَنَةً بِخِلَافَةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَأَيَّامُ مُعَاوِيَةَ أَوَّلُ الْمُلْكِ، فَهُوَ أَوَّلُ مُلُوكِ
الْإِسْلَامِ وَخِيَارِهِمْ . (٢)

قَالَ الطَّبْرَائِيُّ: (٣) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، ثنا الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ
عَنْ لَيْثٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ، عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْحُشَيْيِّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأَبِي عُبَيْدَةَ
قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " «إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ بَدَأَ رَحْمَةً وَنُبُوءَةً، ثُمَّ يَكُونُ رَحْمَةً
وْخِلَافَةً، ثُمَّ كَائِنٌ مُلْكًا عَضُوضًا، ثُمَّ كَائِنٌ عُثُوًّا وَجَبْرِيَّةً وَفَسَادًا فِي الْأَرْضِ، يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيرَ
وَالْفُرُوجَ وَالْخُمُورَ، وَيُرْزَقُونَ عَلَى ذَلِكَ وَيُنْصَرُونَ حَتَّى يَلْقُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ » " . إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.
وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي دَلَائِلِ النُّبُوءَةِ الْحَدِيثَ الْوَارِدَ مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُهَاجِرٍ - وَفِيهِ
ضَعْفٌ - عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: قَالَ مُعَاوِيَةُ: وَاللَّهِ مَا حَمَلَنِي عَلَى الْخِلَافَةِ إِلَّا «قَوْلُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِي: " يَا مُعَاوِيَةُ، إِنَّ مَلَكَتْ فَأَحْسِنُ » " . رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، عَنْ
الْحَاكِمِ، عَنِ الْأَصَمِّ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَابِقٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي
زَائِدَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ.

(١) البداية والنهاية ١١/١٤٧، ١٤٨.

(٢) المصدر نفسه ١١/٤٠٠.

(٣) المعجم الكبير ١١٩/١ وقال الهيثمي في المجمع ٥/١٨٩ فيه ليث ابن أبي سليم وهو ثقة لكنه مدلس وبقيه رجاله
ثقات .

ثُمَّ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: (١) وَلَهُ شَوَاهِدٌ مِنْ وُجُوهِ أُخَرَ، مِنْهَا حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، عَنْ جَدِّهِ سَعِيدٍ «أَنَّ مُعَاوِيَةَ أَخَذَ الْإِذَاوَةَ فَتَبَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: " يَا مُعَاوِيَةَ، إِنْ وَلَيْتَ أَمْرًا فَاتَّقِ اللَّهَ وَاعْدِلْ " .

قَالَ مُعَاوِيَةُ: فَمَا زِلْتُ أَظُنُّ أَنِّي مُبْتَلَى بِعَمَلٍ ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وَمِنْهَا حَدِيثُ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ " .

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: كَلِمَةٌ سَمِعَهَا مُعَاوِيَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا . (٢)
وَرَوَى يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ (٣) عَنْ نَصْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سُلَيْمَانَ السُّلَمِيِّ الْحِمَصِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ، سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " «رَأَيْتُ عَمُودًا مِنْ نُورٍ خَرَجَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي سَاطِعًا حَتَّى اسْتَقَرَّ بِالشَّامِ» .
وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، (٤) عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَوْمَ صَيْقِينَ: اللَّهُمَّ الْعَنْ أَهْلَ الشَّامِ. فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: لَا تَسُبَّ أَهْلَ الشَّامِ جَمًّا غَفِيرًا ؛ فَإِنَّ بِهَا الْأَبْدَالَ، فَإِنَّ بِهَا الْأَبْدَالَ، فَإِنَّ بِهَا الْأَبْدَالَ. وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ مَرْفُوعًا.

ثُمَّ كَانَ مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَلِيٍّ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ، عَلَى سَبِيلِ الْاجْتِهَادِ وَالرَّأْيِ، فَجَزَى بَيْنَهُمَا قِتَالٌ عَظِيمٌ، وَكَانَ الْحَقُّ وَالصَّوَابُ مَعَ عَلِيٍّ، وَمُعَاوِيَةُ مَعْدُورٌ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ سَلَفًا وَخَلْفًا، وَقَدْ شَهِدَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ بِالإِسْلَامِ لِلْفَرِيقَيْنِ مِنْ الطَّرَفَيْنِ ؛ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الشَّامِ. كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ (٥) : " «تَمَرَّقُ مَارِقَةٌ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَقْتُلُهَا أَذْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ» " . فَكَانَتْ الْمَارِقَةُ الْخَوَارِجُ، وَقَتَلَهُمُ عَلِيٌّ وَأَصْحَابُهُ، ثُمَّ قُتِلَ عَلِيٌّ،

(١) دلائل النبوة ٤٤٦/٦

(٢) أبو داود (٤٨٨٨) صحيح سنن أبي داود (٤٠٨٠).

(٣) المعرفة والتاريخ ٢١١/٢

(٤) المصنف ٢٠٤٥٥

(٥) صحيح مسلم ١٠٦٥

وَقَدْ وَرَدَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ أَنَّ أَبَا مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيَّ (١) وَجَمَاعَةً مَعَهُ دَخَلُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالُوا لَهُ: أَنْتَ تُنَازِعُ عَلِيًّا أَمْ أَنْتَ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنِّي وَأَفْضَلُ، وَأَحَقُّ بِالْأَمْرِ مِنِّي، وَلَكِنْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا، وَأَنَا ابْنُ عَمِّهِ، وَأَنَا أَطْلُبُ بِدَمِهِ، وَأَمْرُهُ إِلَيَّ؟ فَقُولُوا لَهُ فَلْيَسَلِمَ إِلَيَّ قَتْلَةُ عُثْمَانَ، وَأَنَا أَسَلِّمُ لَهُ أَمْرَهُ. فَأَتَوْا عَلِيًّا، فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ، فَلَمْ يَدْفَعْ إِلَيْهِمْ أَحَدًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ صَمَّمَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى الْقِتَالِ مَعَ مُعَاوِيَةَ.

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ، (٢) عَنْ أَبِي زُرْعَةَ الرَّازِيِّ، أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنِّي أَبْغِضُ مُعَاوِيَةَ. فَقَالَ لَهُ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ قَاتَلَ عَلِيًّا. فَقَالَ لَهُ أَبُو زُرْعَةَ: وَيْحَكَ! إِنَّ رَبَّ مُعَاوِيَةَ رَبُّ رَحِيمٍ، وَخَصَّمُ مُعَاوِيَةَ خَصَّمٌ كَرِيمٌ، فَأَيْشِ دُخُولَكَ أَنْتَ بَيْنَهُمَا؟! رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَسُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَمَّا جَرَى بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ، فَقَرَأَ: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [البقرة: ١٣٤]. وَكَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ. (٣)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَالْجُمْهُورُ؛ (٤) بُويعَ لِمُعَاوِيَةَ بِإِيلِيَاءَ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ، حِينَ بَلَغَ أَهْلَ الشَّامِ مَقْتُلَ عَلِيٍّ، وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا دَخَلَ الْكُوفَةَ بَعْدَ مُصَالَحَةِ الْحُسَيْنِ لَهُ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ، وَهُوَ عَامُ الْجَمَاعَةِ، وَذَلِكَ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: مَسْكِن. مِنْ أَرْضِ سَوَادِ الْعِرَاقِ مِنْ نَاحِيَةِ الْأَنْبَارِ، فَاسْتَقَلَّ مُعَاوِيَةُ بِالْأَمْرِ إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ سِتِّينَ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَيْثَمَةَ: (٥) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ، عَنْ ابْنِ شَوْذَبٍ قَالَ: كَانَ مُعَاوِيَةُ يَقُولُ: أَنَا أَوَّلُ الْمُلُوكِ وَآخِرُ خَلِيفَةٍ.

(١) تاريخ دمشق ٧١٠/١٦

(٢) المصدر نفسه ٧١٥/١٦

(٣) المصدر نفسه

(٤) تاريخ الطبري ١٦١/٥ وتاريخ دمشق ٧١٧/١٦

(٥) تاريخ دمشق ٧٣٢/١٦

قال ابن كثير : وَالسُّنَّةُ أَنَّ يُقَالَ لِمُعَاوِيَةَ: مَلِكٌ. وَلَا يُقَالُ لَهُ: خَلِيفَةٌ. لِحَدِيثِ سَفِينَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " «الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَضُوضًا» ". (١).

الفصل الثاني :

أعماله والأحداث في عهده

ولايته الشام

لَمَّا فُتِحَتِ الشَّامُ وَلَاهُ عُمَرُ نِيَابَةَ دِمَشْقَ بَعْدَ أَخِيهِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، ثُمَّ أَقَرَّهُ عَلَى ذَلِكَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَزَادَهُ بِلَادًا أُخْرَى.

وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْقُبَّةَ الْخَضْرَاءَ بِدِمَشْقَ، وَسَكَنَهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً. قَالَهُ الْحَافِظُ بْنُ عَسَاكِرَ.

وَلَمَّا وَلَاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الشَّامَ بَعْدَ أَخِيهِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ لَهُ أَبُوهُ: يَا بُنَيَّ، إِنَّ هَؤُلَاءِ الرَّفِطَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ سَبَقُونَا وَتَأَخَّرْنَا، فَرَفَعَهُمْ سَبْقُهُمْ، وَقَصَّرَ بِنَا تَأَخَّرْنَا، فَصَارُوا قَادَةً وَسَادَةً، وَصِرْنَا أَتْبَاعًا، وَقَدْ وَلَّوْكَ جَسِيمًا مِنْ أُمُورِهِمْ فَلَا تُخَالِفُهُمْ.

فَلَمْ يَزَلْ مُعَاوِيَةُ نَائِبًا عَلَى الشَّامِ فِي الدَّوْلَةِ الْعُمَرِيَّةِ، وَفِي الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ مُدَّةَ خِلَافَةِ عُثْمَانَ.

خُرُوجُ طَائِفَةٍ مِنَ الْخَوَارِجِ عَلَيْهِ

وَسَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا دَخَلَ الْكُوفَةَ سَنَةَ (٤١) هـ وَخَرَجَ الْحَسَنُ وَأَهْلُهُ مِنْهَا قَاصِدِينَ إِلَى الْحِجَازِ، قَالَتْ فِرْقَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ نَحْنُ مِنْ خَمْسِمِائَةٍ: جَاءَ مَا لَا يُشَكُّ فِيهِ، فَسِيرُوا إِلَى مُعَاوِيَةَ فَجَاهِدُوهُ. فَسَارُوا حَتَّى قَرَّبُوا مِنَ الْكُوفَةِ وَعَلَيْهِمْ فَرَوْهُ بْنُ نَوْفَلٍ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مُعَاوِيَةَ خِيَلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَطَرَدُوا الشَّامِيِّينَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ: لَا أَمَانَ لَكُمْ عِنْدِي حَتَّى تَكْفُفُوا بِوَأْتِكُمْ. فَخَرَجُوا إِلَى الْخَوَارِجِ، فَاقْتَتَلُوا فَهَزَمَهُمْ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَطَرَدُوهُمْ (١).

عودة الخوارج

وَفِي سَنَةِ (٤٣ هـ) كَانَتْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الْخَوَارِجِ وَجُنْدِ الْكُوفَةِ (٢) وَذَلِكَ أَنَّهُمْ صَمَّمُوا، عَلَى الْخُرُوجِ عَلَى النَّاسِ فِي هَذَا الْحِينِ، فَاجْتَمَعُوا فِي قَرِيبٍ مِنْ ثَلَاثِمِائَةٍ، عَلَيْهِمُ الْمُسْتَوْرِدُ بْنُ عُلْفَةَ، فَجَهَّزَ إِلَيْهِمُ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ جُنْدًا عَلَيْهِمْ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ، وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَبَا الرُّوَاحِ فِي طَلِيعَةٍ، هِيَ ثَلَاثِمِائَةٌ عَلَى عِدَّةِ الْخَوَارِجِ، فَلَقِيَهُمْ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: الْمَدَارُ. فَاقْتَتَلُوا مَعَهُمْ، فَهَزَمَتْهُمْ الْخَوَارِجُ، ثُمَّ كَرُّوا عَلَيْهِمْ، فَهَزَمَتْهُمْ الْخَوَارِجُ مَرَّةً ثَانِيَةً، فَلَزِمُوا

(١) تاريخ الطبري ١٦٥/٥

(٢) انظر تاريخ الطبري ١٨١/٥ - ٢٠٩ والكامل لابن الأثير ٤٢٥/٣ وما بعدها

مَكَانَهُمْ فِي مُقَابَلَتِهِمْ يَنْتَظِرُونَ قُدُومَ أَمِيرِ الْجَيْشِ مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ حَمَلَتْ
 الْخَوَارِجُ عَلَى مَعْقِلٍ وَأَصْحَابِهِ، فَأَنْجَفَلَ عَنْهُ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ، فَتَرَجَّلَ عِنْدَ ذَلِكَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ
 وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، الْأَرْضَ الْأَرْضَ. فَتَرَجَّلَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُرْسَانِ وَالشُّجْعَانِ
 فَاسْتَقْبَلُوهُمْ بِالرِّمَاحِ وَالسُّيُوفِ، فَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى مَعْقِلٍ وَهُوَ يُقَاتِلُ الْخَوَارِجَ بِمَنْ مَعَهُ فِتْنَالًا
 شَدِيدًا، وَالنَّاسُ يَتَرَجَّعُونَ فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ، فَصَفَّاهُمْ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ مَيْمَنَةً وَمَيْسَرَةً وَرَتَّبَهُمْ وَقَالَ:
 لَا تَبْرَحُوا عَلَى مَصَافِكُمْ حَتَّى نُصْبِحَ، فَالْتَقُوا بِهِمْ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَتَارَ إِلَيْهِمُ الْخَوَارِجُ،
 فَتَبَارَزُوا سَاعَةً، ثُمَّ حَمَلُوا حَمَلَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَصَبَرَ لَهُمْ أَبُو الرَّوَاحِ بِمَنْ مَعَهُ، وَجَعَلَ يُدْمِرُهُمْ
 وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْفِرَارِ، وَيَحْتُمُّهُمْ عَلَى الصَّبْرِ، فَصَبَرُوا وَصَدَقُوا فِي الثَّبَاتِ، حَتَّى رَدُّوا الْخَوَارِجَ إِلَى
 أَمَاكِنِهِمْ، فَلَمَّا رَأَتْ الْخَوَارِجُ ذَلِكَ هَرَبُوا حَتَّى قَطَعُوا دِجْلَةَ، وَوَقَعُوا فِي أَرْضِ بَهْرَسِيرَ، وَوَصَلَتْ
 الْخَوَارِجُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْعَتِيقَةِ، فَرَكِبَ إِلَيْهِمْ سِمَاكُ بْنُ عُبَيْدٍ نَائِبُ الْمَدَائِنِ، وَلَحِقَهُمْ أَبُو الرَّوَاحِ بِمَنْ
 مَعَهُ مِنَ الْمُقَدِّمَةِ فَانْهَزَمَتِ الْخَوَارِجُ وَتَبَدَّدَ أَمْرُهُمْ وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ غَيْرُ خَمْسَةٍ، وَهَذَا أَمْرُهُمْ بَعْدَ
 هَذَا، إِلَى سَنَةِ ٥٨ هـ. (١)

ثُمَّ فِي سَنَةِ (٥٨ هـ) عَادَ الْخَوَارِجُ إِلَى الظُّهْرِ وَجَرَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فُصُولًا
 طَوِيلَةً، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَجَمْعًا غَفِيرًا، وَحَبَسَ مِنْهُمْ آخَرِينَ، وَكَانَ صَارِمًا كَأَبِيهِ، مُقَدِّمًا
 فِي أَمْرِهِمْ. (٢)

تغلب حمران على البصرة

وَفِي (٤١ هـ) وَثَبَ حُمْرَانُ بْنُ أَبَانَ عَلَى الْبَصْرَةِ (٣) فَأَخَذَهَا وَتَعَلَّبَ عَلَيْهَا، فَبَعَثَ مُعَاوِيَةَ إِلَيْهِ
 جَيْشًا لِيُقْتُلُوهُ وَمَنْ مَعَهُ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرَةَ الثَّقَفِيُّ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَسَأَلَهُ فِي الصَّفْحِ عَنْهُمْ وَالْعَفْوِ،
 فَعَفَا عَنْهُمْ وَأَطْلَقَهُمْ، وَوَلَّى عَلَى الْبَصْرَةِ بُسْرَ بْنَ أَبِي أَرْطَاةَ.

(١) تاريخ الطبري ٢٠٥/٥

(٢) ابن الجوزي، المنتظم ٢٩٥/٥ وما بعدها.

(٣) انظر: تاريخ الطبري ١٦٧/٥ وما بعدها.

قدوم زياد على معاوية

وفي سنة (٤٢هـ) قَدِمَ زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ عَلَى مُعَاوِيَةَ،^(١) وَكَانَ قَدْ امْتَنَعَ عَلَيْهِ قَرِيبًا مِنْ سَنَةٍ فِي قَلْعَةِ زِيَادٍ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى أَنْ تُهْلِكَ نَفْسَكَ؟ أَقَدِمْ عَلَيَّ فَأُخْبِرَنِي بِمَا صَارَ إِلَيْكَ مِنْ أَمْوَالِ فَارِسَ وَمَا صَرَفْتَ مِنْهَا وَمَا بَقِيَ عِنْدَكَ، فَأَتِينِي بِهِ وَأَنْتَ آمِنٌ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُقِيمَ عِنْدَنَا فَعَلْتَ، وَإِلَّا ذَهَبْتَ حَيْثُمَا شِئْتَ مِنَ الْأَرْضِ فَأَنْتَ آمِنٌ. فَعِنْدَ ذَلِكَ أَرْمَعَ زِيَادٌ السَّيْرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَأَكْرَمَ مُعَاوِيَةُ زِيَادًا، وَقَبَضَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَصَدَّقَهُ فِيمَا صَرَفَهُ وَمَا بَقِيَ عِنْدَهُ.

انتساب زياد بن أبيه إلى أبي سفيان

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: (٢) وَفِي سَنَةِ (٤٤هـ) اسْتَلْحَقَ مُعَاوِيَةُ زِيَادَ ابْنَ أَبِيهِ فَأَلْحَقَهُ بِأَبِي سُفْيَانَ. وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا شَهِدَ عَلَى إِفْرَارِ أَبِي سُفْيَانَ أَنَّهُ عَاهَرَ بِسُمَيَّةَ أُمِّ زِيَادٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَنَّهَا حَمَلَتْ بِزِيَادٍ هَذَا مِنْ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَمَّا اسْتَلْحَقَهُ مُعَاوِيَةُ قِيلَ لَهُ: زِيَادُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ. وَقَدْ كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يُنَكِّرُ هَذَا الْإِسْتِلْحَاقَ، وَيَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ».^(٣)

تعليق: هذه القصة ذكرها الطبري مجملة وليس لها أسانيد صحيحة، لكن فصل فيها ابن الاثير في الكامل ٤٤٣/٣ وهي من متعلقات وآثار أنكحة الجاهلية التي أبطلها الإسلام يقول ابن الاثير ٤٤٥/٣ فلما جاء الإسلام أقر كل ولد كان ينسب إلى أب من أي نكاح كان من أنكحتهم على نسبه ولم يفرق بين شيء منها . وهذه القضية لم تثر في العهد النبوي، ولا في عهد الخلفاء الراشدين وإنما في خلافة معاوية، والذي يتهم بها هو زياد نفسه أما معاوية فغير ممكن أن يطلب من زياد ذلك ويستلحقه لمعرفة ﷺ بالحكم الشرعي وهو أحد رواة حديث "الولد للفراش وللعاهر الحجر" كما ذكر ذلك ابن حجر في الفتح ٣٩/١٢

(١) انظر: تاريخ الطبري ١٧٦/٥

(٢) تاريخ الطبري ٢١٤/٥

(٣) مسند أحمد ٢٤٨/١٦ رقم ١٠٣٨٦ و١٠٣٨٧ من حديث أبي هريرة والحسن البصري .

وفي صحيح مسلم (شرح النووي ٥١/٢-٥٢) مايدعم أن الذي ادعى ذلك هو زياد بن سميه " عن أبي عثمان قال :لما ادعى زياد لقيت أبا بكرة فقلت له : ما هذا الذي صنعتم .. الخ وأبو بكرة هو أخ لزياد وقد هجره بسبب هذا.

فزياد بن سمية أراد أن يقوي مكانته ويستفيد من هذه الدعوى بالتقرب للخليفة وحصل له ما أراد من الولاية ، ومعاوية لم يعارض ذلك لما رأى من المصلحة من استمالة زياد والاستفادة من قدراته خاصة مع أهل العراق .(١)

بيعة يزيد بولاية العهد

في سنة (٥٦ هـ) شَرَعَ مُعَاوِيَةُ فِي نَظْمِ الْبَيْعَةِ لِيَزِيدَ(٢) وَالِدُعَاءِ إِلَيْهَا، وَعَقَدَ لَهُ الْبَيْعَةَ ، وَكَتَبَ إِلَى الْأَقَاقِ بِذَلِكَ، فَبَايَعَ لَهُ النَّاسُ فِي سَائِرِ الْأَقَالِيمِ، إِلَّا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، وَالْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَابْنَ عَبَّاسٍ، فَكَرَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى مَكَّةَ مُعْتَمِرًا، فَلَمَّا اجْتَاَزَ بِالْمَدِينَةِ مَرَجَعُهُ مِنْ مَكَّةَ اسْتَدْعَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ بِانْفِرَادِهِ، فَكَانَ مِنْ أَشَدِّهِمْ عَلَيْهِ رَدًّا وَأَجْلَدِهِمْ فِي الْكَلَامِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَكَانَ أَلْيَنَهُمْ كَلَامًا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، ثُمَّ حَطَبَ مُعَاوِيَةُ وَهَؤُلَاءِ حُضُورًا تَحْتَ مِنْبَرِهِ، وَبَايَعَ النَّاسُ لِيَزِيدَ وَهُمْ قُعُودٌ، وَلَمْ يُوَافِقُوا وَلَمْ يُظْهِرُوا خِلَافًا ، فَاتَّسَقَتِ الْبَيْعَةُ لِيَزِيدَ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ، وَوَفَدَتِ الْوُفُودُ مِنْ سَائِرِ الْأَقَالِيمِ إِلَى يَزِيدَ.

فَكَانَ فِيمَنْ قَدِمَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ،(٣) فَأَمَرَهُ مُعَاوِيَةُ أَنْ يُحَادِثَ يَزِيدَ، فَجَلَسَا ثُمَّ خَرَجَ الْأَخْنَفُ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: مَاذَا رَأَيْتَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ؟ فَقَالَ: إِنَّا نَخَافُ اللَّهَ إِنْ كَذَبْنَا وَنَخَافُكُمْ إِنْ صَدَقْنَا، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، وَسِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ، وَمَدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ بِمَا أَرَدْتَ، وَإِنَّمَا عَلَيْنَا أَنْ نَسْمَعَ وَنُطِيعَ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَنْصَحَ لِلْأُمَّةِ.

(١) انظر : خالد الغيث ، مرويّات خلافة معاوية في تاريخ الطبري ٣٧١-٣٧٩

(٢) المصدر السابق ٣٠١/٥-٣٠٤

(٣) تاريخ دمشق ٣٢٧/٢٤

قال ابن كثير: (١) وَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةُ لَمَّا صَالَحَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَهْدَ لِلْحَسَنِ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ، فَلَمَّا مَاتَ الْحَسَنُ قَوِيَ أَمْرُ يَزِيدَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ، وَرَأَى أَنَّهُ لِدَلِكْ أَهْلًا، وَذَاكَ مِنْ شِدَّةِ مَحَبَّةِ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ، وَلَمَّا كَانَ يَتَوَسَّسُ فِيهِ مِنَ النَّجَابَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَسَيِّمَا أَوْلَادِ الْمُلُوكِ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِالْحُرُوبِ وَتَرْتِيبِ الْمُلْكِ وَالْقِيَامِ بِأُبْهَتِهِ، وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَقُومُ أَحَدٌ مِنْ أَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ فِي الْمُلْكِ مَقَامَهُ، وَلِهَذَا قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فِيمَا حَاطَبُهُ بِهِ: إِنِّي خِفْتُ أَنْ أَدْرَ الرِّعِيَّةَ مِنْ بَعْدِي كَالْغَنَمِ الْمَطِيرَةِ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: إِذَا بَايَعَهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ بِاِيعَتِهِ، وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ.

الفصل الثالث

الفتوحات وولاية البلدان والحج

الفتوحات

فتح قيسارية

وَقَالَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ فَتَحَ مُعَاوِيَةُ قَيْسَارِيَّةَ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ فِي دَوْلَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ

فتح قبرص

اِفْتَتَحَ فِي وِلَايَتِهِ الشَّامَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ جَزِيرَةَ قُبْرُسَ، ^(١) وَسَكَنَهَا الْمُسْلِمُونَ قَرِيبًا مِنْ سِتِّينَ سَنَةً فِي أَيَّامِهِ وَمِنْ بَعْدِهِ، وَلَمْ تَزَلِ الْفَتْوحَاتُ وَالْجِهَادُ قَائِمًا عَلَى سَاقِهِ فِي بِلَادِ الرُّومِ وَالْفَرَنْجِ وَغَيْرِهَا، فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ مَا كَانَ، لَمْ يَقَعْ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ فَتْحٌ بِالْكُلِّيَّةِ، لَا عَلَى يَدَيْهِ وَلَا عَلَى يَدَيْ عَلِيٍّ، وَطَمِعَ فِي مُعَاوِيَةَ مَلِكِ الرُّومِ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ أَحْسَأَهُ وَأَذَلَّهُ، وَفَهَرَ جُنْدَهُ وَدَحَاهُمْ، فَلَمَّا رَأَى مَلِكُ الرُّومِ اشْتِغَالَ مُعَاوِيَةَ بِحَرْبِ عَلِيٍّ تَدَانَى إِلَى بَعْضِ الْبِلَادِ فِي جُنُودٍ عَظِيمَةٍ، وَطَمِعَ فِيهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ: وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ وَتَرْجِعْ إِلَى بِلَادِكَ يَا لَعِينُ لَأَصْطَلِحَنَّ أَنَا وَابْنُ عَمِّي عَلَيْكَ وَلَأُخْرِجَنَّكَ مِنْ جَمِيعِ بِلَادِكَ، وَلَأُضَيِّقَنَّ عَلَيْكَ الْأَرْضَ بِمَا رَحُبَتْ. فَعِنْدَ ذَلِكَ خَافَ مَلِكُ الرُّومِ وَانْكَفَى، وَبَعَثَ يَطْلُبُ الْهَدَنَةَ. ^(٢)

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَائِدٍ، عَنِ الْوَلِيدِ، عَنِ ابْنِ لَهْيَعَةَ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: قَدِمَ عُمَرُ الْجَابِيَّةَ، وَأَمَرَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِالْمَسِيرِ إِلَى مِصْرَ، وَبَقِيَ الشَّامُ عَلَى أَمِيرَيْنِ: أَبِي عُبَيْدَةَ وَيَزِيدَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ، ثُمَّ تُوفِّيَ أَبُو عُبَيْدَةَ، فَاسْتَخْلَفَ عِيَاضُ بْنُ غَنَمٍ ثُمَّ تُوفِّيَ يَزِيدُ، فَأَمَرَ مُعَاوِيَةَ مَكَانَهُ، ثُمَّ نَعَاهُ عُمَرُ لِأَبِي سَفْيَانَ، فَقَالَ: يَا أَبَا سَفْيَانَ، احْتَسِبْ يَزِيدَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ. قَالَ: مَنْ أَمَرْتَ مَكَانَهُ؟ قَالَ: مُعَاوِيَةُ. فَقَالَ: وَصَلَّتْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَحِمَ. ^(٣) فَكَانَ عَلَى الشَّامِ مُعَاوِيَةُ، وَعُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ، حَتَّى قُتِلَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(١) البداية والنهاية ٣٩٩/١١

(٢) قلت وهذا من آثار الخلاف وانقسام السلطة ، حيث وقف الجهاد، وطمع العدو في المسلمين لكن هدده معاوية فانكف شره وطلب الهدنة .

(٣) تاريخ دمشق ٥٧٦/١٩

غزو القُسطنطينية

وفي أيام عُثْمَانَ كَانَ عَزْوَةُ الْمُضِيْقِ - يَعْنِي مَضِيْقَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ - فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثَيْنِ.

وكان معاوية هو الأَمِيرُ عَلَى النَّاسِ يَوْمَئِذٍ ، وَجَمَعَ عُثْمَانُ لِمُعَاوِيَةَ جَمِيعَ الشَّامِ،^(١) وَقِيلَ إِنَّ عَمْرَ هُوَ الَّذِي جَمَعَهَا لَهُ، وَالصَّحِيحُ عُثْمَانُ.

فَاسْتَقْلَّ مُعَاوِيَةُ بِالْأَمْرِ سَنَةً إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ، وَكَانَ يَعْزُو الرُّومَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّتَيْنِ ؛ مَرَّةً فِي الصَّيْفِ، وَمَرَّةً فِي الشِّتَاءِ،

وَفِي سَنَةِ (٤٢هـ) عَزَا الْمُسْلِمُونَ اللَّانَ وَالرُّومَ، فَقَتَلُوا مِنْ أُمَرَائِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَغَنِمُوا وَسَلِمُوا.

وَفِي سَنَةِ (٤٣هـ) عَزَا بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةَ بِلَادَ الرُّومِ، فَوَعَلَ فِيهَا حَتَّى بَلَغَ مَدِينَةَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ،^(٢)

وَفِي سَنَةِ (٤٤هـ) عَزَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بِلَادَ الرُّومِ، وَمَعَهُ الْمُسْلِمُونَ، وَشَتُّوا هُنَالِكَ.^(٣) وَفِيهَا عَزَا بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةَ فِي الْبَحْرِ.^(٤)

غزو خراسان

وَفِي سَنَةِ (٤٥هـ) عَزَا الْحَكَمُ بْنُ عَمْرِو نَائِبُ زِيَادٍ عَلَى خُرَّاسَانَ جَبَلِ الْأَشَلِّ،^(٥) عَنْ أَمْرِ زِيَادٍ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَغَنِمَ أَمْوَالًا جَمَّةً، فَكَتَبَ إِلَيْهِ زِيَادٌ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ جَاءَ كِتَابُهُ أَنَّ يُصْطَفَى لَهُ كُلُّ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ - يَعْنِي الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ - يُجْمَعُ كُلُّهُ مِنْ هَذِهِ الْغَنِيمَةِ لِيَتِ الْمَالُ. فَكَتَبَ الْحَكَمُ بْنُ عَمْرِو إِلَيْهِ: إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ مُقَدَّمٌ عَلَى كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَوْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ عَلَى عَبْدٍ فَاتَّقَى اللَّهَ، لَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا. ثُمَّ نَادَى فِي النَّاسِ أَنْ

(١) المصدر نفسه ٧٠٢/١٦

(٢) تاريخ الطبري ١٨١/٥

(٣) المصدر نفسه ٢١٢/٥ والكامل ٤٤٠/٣

(٤) المصدر نفسه.

(٥) جبل الأشل من جانب الترك الواقعة على ثغور خراسان في جنوب تركستان. دولة صادق أطلس العالم الإسلامي ،

اغْدُوا عَلَى قَسَمِ غَيْمَتِكُمْ. فَقَسَمَهَا بَيْنَهُمْ، وَخَالَفَ زِيَادًا فِيمَا كَتَبَ إِلَيْهِ عَنْ مُعَاوِيَةَ، وَعَزَلَ
الْحُمُسَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
ثُمَّ قَالَ الْحَكَمُ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ لِي عِنْدَكَ خَيْرٌ فَأَقْبِضْنِي إِلَيْكَ. فَمَاتَ بِمَرَوْ مِنْ حُرَّاسَانَ، رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ. (١)

وفي سنة (٤٦ هـ) و (٤٧ هـ) شَتَّى الْمُسْلِمُونَ بِلَادِ الرُّومِ مَعَ أَمِيرِهِمْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ
الْوَلِيدِ.

وفي سنة (٤٨ هـ) شَتَّى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَيْنِيُّ بِالْمُسْلِمِينَ بِلَادِ أَنْطَاكِيَّةَ.
وَفِيهَا غَزَا عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ بِأَهْلِ مِصْرَ الْبَحْرِ.

غزو القسطنطينية في عهد معاوية

وفي سنة (٤٩ هـ) غَزَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بِلَادَ الرُّومِ حَتَّى بَلَغَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ
سَادَاتِ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ ؛ ابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ، وَأَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ.
وَقَدْ ثَبَتَ فِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَوَّلُ جَيْشٍ
يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ» فَكَانَ هَذَا الْجَيْشُ أَوَّلَ مَنْ غَزَاهَا، وَمَا وَصَلُوا إِلَيْهَا حَتَّى بَلَغُوا
الْجُهْدَ.

وَفِيهَا شَتَّى مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيُّ بِأَرْضِ الرُّومِ. وَفِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، وَشَتَّى
هُنَالِكَ، فَفَتَحَ الْبَلَدَ وَغَنِمَ شَيْئًا كَثِيرًا. وَفِيهَا كَانَتْ صَائِقَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كُرْزٍ الْبَجَلِيِّ.

(١) البداية والنهاية ١٦٩/١١ وعند الطبري ٢٥٠/٥ ذكرها سنة ٥٠ هـ

وهذا الخبر أورده غالب المؤرخين من غير إسناد ، وطريقة تقسيم الغنائم لا يخفى على مثل معاوية رضي الله عنه في فضله
وخبرته ولا يتصور أنه يخالف الشرع في ذلك ، ولعل الخبر فيه نقص ولمعاوية فيه تأويل إذا صح ، وانظر مزيدا من ذلك
، الغيث ، مرويات الطبري عن خلافة معاوية رضي الله عنه ص ٣٥٢.

فتح أفريقية

وفي سنة (٥٠ هـ) افتتح عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ الْفَهْرِيُّ عَنْ أَمْرِ مُعَاوِيَةَ، بِلَادَ إفريقية، وَاخْتَطَّ الْقَيْرَوَانَ (١) وَكَانَ مَكَانُهَا غِيْضَةً تَأْوِي إِلَيْهَا السِّبَاعُ وَالْوُحُوشُ وَالْحَيَّاتُ الْعِظَامُ - فَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى، فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى إِنْ السِّبَاعَ صَارَتْ تَخْرُجُ مِنْهَا تَحْمِلُ أَوْلَادَهَا، وَالْحَيَّاتُ يَخْرُجْنَ مِنْ أَجْحَارِهِنَّ هَوَارِبَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَسْلَمَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْبَرَبَرِ.

وفي هذه السنة غَزَا بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةَ وَسُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ أَرْضَ الرُّومِ، وَفِيهَا غَزَا فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ الْبَحْرَ.

فتح بلخ

وفي سنة (٥١ هـ) وَلَّى زِيَادُ عَلَى حُرَّاسَانَ بَعْدَ مَوْتِ الْحَكَمِ بْنِ عَمْرٍو، الرَّبِيعِ بْنِ زِيَادِ الْحَارِثِيِّ، فَفَتَحَ بَلْخَ صُلْحًا، وَكَانُوا قَدْ أَغْلَقُوهَا بَعْدَمَا صَالَحَهُمُ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ، وَفَتَحَ قُوْهَسْتَانَ عَنُوةً، وَكَانَ عِنْدَهَا أَتْرَاكُ فَقَتَلَهُمْ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا نَيْزُكَ طَرْحَانَ، فَقَتَلَهُ فُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ بَعْدَ ذَلِكَ.

وفي سنة (٥١ هـ) أَوْ فِي الَّتِي بَعْدَهَا أَعَزَّى مُعَاوِيَةَ ابْنَهُ يَزِيدَ بِلَادَ الرُّومِ، فَسَارَ مَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ كُتُبَاءِ الصَّحَابَةِ حَتَّى حَاصَرَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، (٢) وَقَدْ ثَبَتَ فِي " الصَّحِيحِ (٣) ": " «أَوَّلُ جَيْشٍ يَغْزُو الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ مَعْفُورٌ لَهُمْ» " .

في سنة (٥٢ هـ) غَزَا بِلَادَ الرُّومِ وَشَقَّى بِهَا سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ الْأَرْدِي، فَمَاتَ هُنَالِكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْجُنْدِ بَعْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعَدَةَ الْفَزَارِيُّ، وَقِيلَ: إِنَّ الَّذِي كَانَ أَمِيرَ الْعَزْوِ بِبِلَادِ الرُّومِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةَ، وَمَعَهُ سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ.

وفيهَا غَزَا الصَّائِفَةُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيُّ.

(١) تاريخ الطبري ٢٤٠/٥ وابن عبد الحكم ، فتوح مصر ١٩٦، وفي الخبر كرامة لعقبة ﷺ ، انظر :حيث استجابت الدواب لدعائه ، وقد أورد خبرها بسند حسن عند خليفة بن خياط كماقال :الحافظ ابن حجر ،انظر تاريخ خليفة ٢١٠ والإصابة ٦٤/٥ وانظر مزيدا من ذلك في مرويوات خلافة معاوية لخالد الغيث .ص ٣٤٤.

(٢) البداية والنهاية ٤٢١/١١ وانظر أيضا ٢١٦/٩ وسيأتي في خلافة يزيد أن ذلك سنة ٤٩ هـ في قول يعقوب القسوي أو سنة ٥٠ هـ في خليفة بن خياط .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما قيل في قتال الروم ص(٢٩٢٤)

فتح جزيرة رودس

وفي سنة (٥٣هـ) غزا عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي بلاد الروم وشق بها. وفيها افتتح المسلمون - وعليهم جنادة بن أبي أمية - جزيرة رودس، (١) فأقام بها طائفة من المسلمين كانوا أشد شقاً على الكفار، يعترضون لهم في البحر، ويقطعون سبيلهم، وكان معاوية يدر عليهم الأرزاق والأعطيات الجزيلة، وكانوا على حذر شديد من الفرنج، يبيتون في حصن عظيم عندهم فيه حوائجهم ودوابهم وحواصلهم، ولهم نواطير (٢) على البحر يندرونهم إن قدم عدو أو كادهم أحد وما زالوا كذلك حتى كانت إمارة يزيد بن معاوية بعد أبيه، فأففلهم من تلك الجزيرة، وقد كانت للمسلمين بها أموال كثيرة وزراعات غيرة. (٣)

وفي سنة (٥٤هـ) شق محمد بن مالك بأرض الروم، وغزا الصائفة معن بن يزيد السلمي.

فتح بيكند

وقدِم في سنة (٥٤هـ) عبید الله بن زياد على معاوية، فأكرمه وسأله عن نواب أبيه على البلاد، فأخبره عنهم، ثم ولّاه إمرة خراسان وهو ابن خمس وعشرين سنة، فتجهز من فوره غادياً إليها، فقطع النهر إلى جبال بخارى، ففتح راميش ونصف بيكند (٤). وهما من معامل بخارى - ولقي الترك هناك، فقاتلهم قتالاً شديداً، وهزمهم هزيمة فظيعة، بحيث إن المسلمين أعجلوا امرأة الملك أن تلبس حقيها، فلبست واحدة وترك الأخرى، فأخذها المسلمون فقوموا جواربها بمائتي ألف درهم، وغنموا مع ذلك غنائم كثيرة، (٥) وأقام عبید الله بن زياد بخراسان سنتين.

وفي سنة (٥٦هـ) شق جنادة بن أبي أمية بأرض الروم، وفيها غزا في البحر يزيد بن شجرة، وفي البر عياض بن الحارث.

وفي سنة (٥٧هـ) كان مشق عبد الله بن قيس بأرض الروم.

(١) جزيرة في البحر الأبيض المتوسط وهي حالياً إحدى الجزر اليونانية .

(٢) الناطور : الحارس والمراقب .

(٣) تاريخ الطبري ٢٨٨/٥

(٤) راميش وبيكند من مدن بخارى

(٥) انظر : تاريخ الطبري ٢٩٨/٥ وفي تاريخ بخارى للفرشحي تفاصيل أكثر ص ٦٤ .

وفي سنة (٥٩هـ) شتّى عمرو بن مرة الجهني في أرض الروم في البر. قال الواقدي: ولم يكن فيها غزو في البحر. وقال غيره: بل غزا في البحر عامئذ جنادة بن أبي أمية. قال الواقدي: وفي سنة (٦٠هـ) دخل جنادة بن أبي أمية جزيرة رُودس وهدم مدينتها. (١)

(١) المصدر السابق وكان ذلك بأمر يزيد بعد ولايته .

ولايته على البلدان

ولاية الشام

كَانَ عَلَى قَضَاءِ مُعَاوِيَةَ فِي وِلَايَتِهِ الشَّامَ قَبْلَ الْخِلَافَةِ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ، إِلَى أَنْ مَاتَ، ثُمَّ وَلَّى أَبَا إِدْرِيسَ الْحَوْلَانِيَّ.

وَكَانَ عَلَى حَرَسِهِ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي يُقَالُ لَهُ: الْمُخْتَارُ. وَيُكْنَى أَبَا الْمُحَارِقِ، مُؤَلَّى لِحِمِيرٍ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ أَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ الْحَرَسَ، وَكَانَ عَلَى حُجَابِهِ سَعْدُ مَوْلَاهُ، وَعَلَى الشُّرْطَةِ قَيْسُ بْنُ حَمْرَةَ، ثُمَّ زَمْلُ بْنُ عَمْرِو الْعُدْرِيِّ، ثُمَّ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسِ الْفَهْرِيِّ، وَكَانَ صَاحِبَ أَمْرِهِ (١) سَرْجُونُ بْنُ مَنْصُورٍ الرُّومِيُّ. وَكَانَ مُعَاوِيَةُ أَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ دِيْوَانَ الْخَتَمِ وَخَزَمَ الْكُتُبَ.

ولاية المدينة :

فِي سَنَةِ (٤٢ هـ) وَلَّى مُعَاوِيَةُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ نَيْبَةَ الْمَدِينَةِ، وَاسْتَقْضَى مَرْوَانُ عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَارِثِ، وَعَلَى مَكَّةَ خَالِدُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ هِشَامٍ.

وَفِي سَنَةِ (٤٩ هـ) عَزَلَ مُعَاوِيَةُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ عَنِ الْمَدِينَةِ وَوَلَّى عَلَيْهَا سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَاسْتَقْضَى سَعِيدٌ عَلَيْهَا أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ.

وَفِي سَنَةِ (٥٤ هـ) عَزَلَ مُعَاوِيَةُ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ عَنِ امْرَةِ الْمَدِينَةِ، وَرَدَّ إِلَيْهَا مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَهْدِمَ دَارَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، وَيَصْطَفِي أَمْوَالَهُ الَّتِي بِأَرْضِ الْحِجَازِ، فَجَاءَ مَرْوَانُ إِلَى دَارِ سَعِيدٍ لِيَهْدِمَهَا فَقَالَ سَعِيدٌ: مَا كُنْتُ لَتَفْعَلَ ذَلِكَ. فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَتَبَ إِلَيَّ بِذَلِكَ، وَلَوْ كَتَبَ إِلَيْكَ فِي دَارِي لَفَعَلْتُهُ. فَقَامَ سَعِيدٌ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ كِتَابَ مُعَاوِيَةَ إِلَيْهِ حِينَ وَلَّاهُ الْمَدِينَةَ أَنْ يَهْدِمَ دَارَ مَرْوَانَ وَيَصْطَفِي أَمْوَالَهُ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ يُجَاحِفُ دُونَهُ حَتَّى صَرَفَ ذَلِكَ عَنْهُ، فَلَمَّا رَأَى مَرْوَانُ الْكُتُبَ إِلَى سَعِيدٍ بِذَلِكَ، ثَنَاهُ ذَلِكَ عَنْ دَارِ سَعِيدٍ، وَعَنْ أَخْذِ مَالِهِ، وَلَمْ يَزَلْ يُدَافِعُ عَنْهُ حَتَّى تَرَكَهُ مُعَاوِيَةُ فِي دَارِهِ وَأَقَرَّ عَلَيْهِ أَمْوَالَهُ.

(١) صاحب أمره : أي وكيله في الشؤى الخاصة .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَفِي شَوَّالِ سَنَةِ (٥٧ سنة) عَزَلَ مُعَاوِيَةُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ عَنِ الْمَدِينَةِ وَوَلَّى عَلَيْهَا الْوَلِيدَ بْنَ عُثْبَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَهُوَ الَّذِي حَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ؛ لِأَنَّهُ صَارَتْ إِلَيْهِ أَمْرَةُ الْمَدِينَةِ .

ولاية البصرة :

ولى معاوية في سنة (٤٠ هـ) البصرة لعبد الله بن عامر ثم عزله عنها سنة (٤٤ هـ) .
وَكَانَ عَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ عُمَيْرُ بْنُ يَثْرِيٍّ .
وَفِي سَنَةِ (٤٥ هـ) وَلَّى مُعَاوِيَةُ الْبَصْرَةَ لِلْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيِّ، ثُمَّ عَزَلَهُ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَوَلَّى زِيَادًا عَلَيْهَا وَمَاتِبَعَهَا مِنَ الْأَقَالِيمِ (حُرَّاسَانَ وَسَجِسْتَانَ)، ثُمَّ جَمَعَ لَهُ الْهِنْدَ وَالْبَحْرَيْنِ وَعُمَانَ. وَدَخَلَ زِيَادُ الْبَصْرَةَ فِي مُسْتَهْلِ جُمَادَى الْأُولَى، فَقَامَ فِي أَوَّلِ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا، وَقَدْ وَجَدَ الْفِسْقَ ظَاهِرًا فِي الْبَصْرَةِ، فَقَالَ فِيهَا: أَيُّهَا النَّاسُ، كَأَنَّكُمْ لَمْ تَسْمِعُوا مَا أَعَدَّ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ، وَالْعَذَابِ لِأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ، أَتَكُونُونَ كَمَنْ طَرَفَتْ عَيْنُهُ الدُّنْيَا، وَسَدَّتْ مَسَامِعَهُ الشَّهَوَاتُ فَاخْتَارَ الْفَاقِيَةَ عَلَى الْبَاقِيَةِ. ثُمَّ مَا زَالَ يُقِيمُ أَمْرَ السُّلْطَانِ وَيُجَرِّدُ السَّيْفَ حَتَّى خَافَهُ النَّاسُ خَوْفًا عَظِيمًا، وَتَرَكُوا مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْمَعَاصِي الظَّاهِرَةِ، وَاسْتَعَانَ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَوَلَّى عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ الْقَضَاءَ بِالْبَصْرَةِ، وَوَلَّى الْحَكَمَ بْنَ عَمْرِو الْغِفَارِيِّ نِيَابَةَ حُرَّاسَانَ، وَوَلَّى سُمْرَةَ بْنَ جُنْدَبٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ .
وَكَانَ زِيَادُ حَارِمِ الرَّأْيِ، ذَا هَيْبَةٍ، ذَاهِيَّةً، وَكَانَ مُفَوَّهًا فَصِيحًا بَلِيغًا ؛ قَالَ الشَّعْبِيُّ: مَا سَمِعْتُ مُتَكَلِّمًا قَطُّ تَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ إِلَّا أَحَبَبْتُ أَنْ يَسْكُتَ ؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُسِيءَ إِلَّا زِيَادًا ؛ فَإِنَّهُ كَانَ كُلَّمَا أَكْثَرَ كَانَ أَجْوَدَ كَلَامًا. وَقَدْ كَانَتْ لَهُ وَجَاهَةٌ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. (١)
وَفِي سَنَةِ ٥٤ هـ عَزَلَ مُعَاوِيَةُ سُمْرَةَ بْنَ جُنْدَبٍ عَنِ الْبَصْرَةِ وَكَانَ زِيَادُ قَدْ اسْتَحْلَفَهُ عَلَيْهَا، فَأَقْرَهُ مُعَاوِيَةُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ عَزَلَهُ وَوَلَّى عَلَيْهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ غِيْلَانَ.
فِي سَنَةِ (٥٥ هـ) عَزَلَ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ غِيْلَانَ عَنِ الْبَصْرَةِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ فَاسْتَحْلَفَ ابْنَ زِيَادٍ عَلَى حُرَّاسَانَ أَسْلَمَ بْنَ زُرْعَةَ، فَلَمْ يَعْزُ وَلَمْ يَفْتَحْ شَيْئًا، وَوَلَّى

قَضَاءُ الْبَصْرَةِ لِزُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى، ثُمَّ عَزَلَهُ وَوَلَّى ابْنَ أُذَيْنَةَ الْعَبْدِيِّ، وَوَلَّى شُرْطَتَهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حِصْنٍ.

وفود عبيد الله على معاوية مع أشرف أهل العراق

فِي سَنَةِ (٥٩هـ) وَقَدَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ، وَمَعَهُ أَشْرَافُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالْعِرَاقِ، فَاسْتَأْذَنَ لَهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى مَنَازِلِهِمْ مِنْهُ، فَكَانَ آخِرَ مَنْ أَدْخَلَهُ عَلَى مُعَاوِيَةَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ، وَلَمْ يَكُنْ عُبَيْدُ اللَّهِ يُجِلُّهُ، فَلَمَّا رَأَى مُعَاوِيَةَ الْأَخْنَفَ رَحَّبَ بِهِ وَعَظَّمَهُ وَأَجَلَّهُ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، ثُمَّ تَكَلَّمَ الْقَوْمُ فَأَثْنُوا عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ، وَالْأَخْنَفُ سَاكِتٌ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: مَا لَكَ يَا أَبَا بَجْرٍ لَا تَتَكَلَّمُ؟ فَقَالَ: إِنْ تَكَلَّمْتُ خَالَفْتُ الْقَوْمَ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: انْهَضُوا فَقَدْ عَزَلْتُهُ عَنْكُمْ، فَاطْلُبُوا وَالْيَا تَرْضَوْنَهُ. فَاحْتَلَفُوا عَلَيْهِ .

قَالَ الْأَخْنَفُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ وَلَّيْتَ عَلَيْنَا أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَإِنَّا لَا نَعْدِلُ بِعُبَيْدِ اللَّهِ أَحَدًا، وَإِنَّا وَلَّيْتَ عَلَيْنَا مِنْ غَيْرِهِمْ فَنَنْظُرُ لَكَ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قَدْ أَعَدْتُهُ إِلَيْكُمْ. ثُمَّ إِنَّ مُعَاوِيَةَ أَوْصَى عُبَيْدَ اللَّهِ بِالْأَخْنَفِ خَيْرًا، وَقَبَّحَ رَأْيَهُ فِي مُبَاعَدَتِهِ، فَكَانَ الْأَخْنَفُ بَعْدَ ذَلِكَ أَحْصَى أَصْحَابَ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ^(١) لَمْ يَفِ لِعُبَيْدِ اللَّهِ غَيْرُ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ.

ولاية الكوفة:

فِي سَنَةِ (٤٢هـ) وَلَّى عَلَى الْكُوفَةِ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَعَلَى قَضَائِهَا شُرَيْحُ الْقَاضِي. وَفِي سَنَةِ (٤٩هـ) جَمَعَ مُعَاوِيَةُ لِزِيَادِ الْكُوفَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ جُمِعَ لَهُ بَيْنَهُمَا، فَكَانَ زِيَادٌ يُقِيمُ فِي هَذِهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَفِي هَذِهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَكَانَ يَسْتَحْلِفُ عَلَى الْبَصْرَةِ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدَبٍ .

وَفِي سَنَةِ (٥٤هـ) أَقَرَّ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ عَلَى نِيَابَةِ الْكُوفَةِ، وَكَانَ زِيَادٌ قَدْ اسْتَحْلَفَهُ عَلَيْهَا.

وَفِي سَنَةِ (٥٥هـ) عَزَلَ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ عَنِ الْكُوفَةِ وَوَلَّى عَلَيْهَا الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ الْفَهْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) يقصد بها ثورة أهل الكوفة على عبيد الله بن زياد .

فِي سَنَةِ (٥٨هـ) وَلَّى مُعَاوِيَةُ الْكُوفَةَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ الثَّقَفِيِّ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ مُعَاوِيَةَ، وَعَزَلَ عَنْهَا الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ، فَوَلَّى عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَلَى شُرْطَتِهِ زَائِدَةَ بْنَ قُدَّامَةَ، ثُمَّ إِنَّهُ أَسَاءَ السَّيْرَةَ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَأَخْرَجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ طَرِيدًا، فَرَجَعَ إِلَى خَالِهِ مُعَاوِيَةَ، فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: لَأُولَيْنِكَ مِصْرًا هُوَ خَيْرٌ لَكَ فَعَزَلَهُ عَنِ الْكُوفَةِ وَوَلَّى عَلَيْهَا النِّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ سَنَةَ ٥٩هـ.

ولاية خراسان:

فِي سَنَةِ (٤٢هـ) وَلَّى عَلَى خُرَّاسَانَ قَيْسُ بْنُ أَهْيَتِّمٍ مِنْ قَبْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ .
وَفِي سَنَةِ (٥٦هـ) وَلَّى مُعَاوِيَةُ سَعِيدَ بْنَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ بِلَادَ خُرَّاسَانَ (١) وَعَزَلَ عَنْهَا عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ، فَسَارَ سَعِيدٌ إِلَى خُرَّاسَانَ، وَالتَّقَى مَعَ التُّرْكِ عِنْدَ صُغْدِ سَمَرْقَنْدَ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَاسْتَشْهَدَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ قَتَمَ بْنَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ .
وَفِي سَنَةِ (٥٩هـ) وَلَّى مُعَاوِيَةُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ زِيَادٍ وَلَايَةَ خُرَّاسَانَ، وَعَزَلَ عَنْهَا سَعِيدَ بْنَ عُثْمَانَ بْنِ عَقَّانَ.

ولاية مصر:

كَانَ وَالِي مِصْرَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى وَفَاتِهِ ٤٣هـ، ثُمَّ وَلِيَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ .
وَفِي (٤٧هـ) عَزَلَ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ عَنْ دِيَارِ مِصْرَ، وَوَلَّى عَلَيْهَا مُعَاوِيَةَ بْنَ حُدَيْجٍ .
وَفِي سَنَةِ (٥٠هـ) عَزَلَ مُعَاوِيَةُ عَنْ مِصْرَ مُعَاوِيَةَ بْنَ حُدَيْجٍ وَوَلَّى عَلَيْهَا وَعَلَى إِفْرِيقِيَّةَ مَسْلَمَةَ بْنَ مُخَلَّدٍ .
وَفِي سَنَةِ (٥٨هـ) وَلَّى ابْنُ أُخْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ مِصْرَ، فَلَمَّا سَارَ إِلَيْهَا تَلَقَّاهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ مِنْ مِصْرَ، فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ إِلَى خَالِكَ مُعَاوِيَةَ، فَلَعَمْرِي لَا تَسِيرُ فِينَا سِيرَتَكَ فِي إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ. فَرَجَعَ إِلَى مُعَاوِيَةَ.

ولاية الحج

يحرص ابن كثير كغيره من المؤرخين الذين ساروا على الترتيب الحولي مثل الطبري وابن الجوزي وابن الأثير أن يسجل في نهاية كل سنة من تولى إمارة الحج في تلك السنة ، وهي سنة نبوية حيث كان أول أمير للحج بعد فتح مكة سنة تسع من الهجرة أبو بكر الصديق بأمر رسول الله ﷺ ، أما سنة ثمان فحج المشركون كما كانوا وحج والي مكة من قبل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد بالمسلمين ، ولا يحفظ أن رسول الله ﷺ أمره بشيء في ذلك ، وفي السنة العاشرة قاد الحج رسول الله ﷺ في حجة الوداع ثم سار الخلفاء الراشدون ومن بعدهم على هذا المنهج في إمارة الحج إما الخليفة إذا حضر أو يعين أميراً من قبله .
والذي سار عليه معاوية طوال خلافته أن والي المدينة أو مكة هو الذي يتولى إمارة الحج ، وحج معاوية في خلافته سنة ٤٤ هـ و ٥٠ هـ كما ذكر ابن كثير ، وفي سنة ٥١ هـ ولى ابنه يزيد بن معاوية .

وحج بالناس في سنة (٤٠ هـ) عتبة بن أبي سفيان ، وزعم ابن جرير (١) أن المغيرة بن شعبة افتعل كتاباً على لسان معاوية ، بولايته الحج وبادر عتبة فوقف في اليوم الثامن .
قال ابن كثير معلقاً على ذلك (٢) : وهذا الذي نقله ابن جرير لا يقبل ولا يظن بالمغيرة رضي الله عنه ذلك ، وإنما نبهنا على ذلك ليعلم أنه باطل ، والله أعلم .
فإن الصحابة أجل قدراً من هذا ، ولكن هذه نزعة شيعية .
وحج بالناس في سنة (٤١ هـ) عتبة بن أبي سفيان وقال الواقدي : عنبة بن أبي سفيان .
ولم يذكر ابن كثير من حج بالناس سنة (٤٢ هـ) ، وذكر الطبري (٣) أن الذي حج بالناس هذه السنة هو عنبة بن أبي سفيان ، وأسند ذلك عن أبي معشر .
وحج بالناس في سنة (٤٣ هـ) مروان بن الحَكَم نائِبُ المَدِينَةِ .

(١) تاريخ ابن جرير الطبري ١٦٠/٥

(٢) البداية والنهاية ١٣٣/١١

(٣) تاريخ الطبري ١٨٠/٥

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سَنَةِ (٤٤ هـ) مُعَاوِيَةُ. وَفِيهَا عَمِلَ مُعَاوِيَةُ الْمَقْصُورَةَ بِالشَّامِ، وَعَمِلَ مَرْوَانُ مَثَلَهَا بِالْمَدِينَةِ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سَنَةِ (٤٥ هـ) مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَكَانَ نَائِبَ الْمَدِينَةِ. وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سَنَةِ (٤٦ هـ) عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ أَخُو مُعَاوِيَةَ. وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سَنَةِ (٤٧ هـ) عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَقِيلَ: أَخُوهُ عُنْبَسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سَنَةِ (٤٨ هـ) مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ نَائِبُ الْمَدِينَةِ. وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سَنَةِ (٤٩ هـ) سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ. وَفِي سَنَةِ (٥٠ هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ مُعَاوِيَةُ، وَقِيلَ: ابْنُهُ يَزِيدُ. وَفِي سَنَةِ (٥١ هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، فِيمَا قَالَهُ أَبُو مَعْشَرٍ وَالْوَقْدِيُّ. وَفِي سَنَةِ (٥٢ هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ نَائِبُ الْمَدِينَةِ. وَفِي سَنَةِ (٥٣ هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَالِي الْمَدِينَةِ. وَفِي سَنَةِ (٥٤ هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ نَائِبُ الْمَدِينَةِ. وَفِي سَنَةِ (٥٥ هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ نَائِبُ الْمَدِينَةِ.

لَمْ يَذْكُرْ ابْنُ كَثِيرٍ مِنْ حَجِّ بِالنَّاسِ سَنَةَ (٥٦ هـ) وَإِنَّمَا ذَكَرَ عَمْرَةَ مُعَاوِيَةَ فِي رَجَبٍ وَمُرُورِهِ الْمَدِينَةَ وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ مِنْهُمْ لِابْنِهِ يَزِيدَ، وَقَدْ ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ: ^(١) أَنَّ الَّذِي أَقَامَ الْحَجَّ لِلنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

وَذَكَرَ الْوَقْدِيُّ: أَنَّ الَّذِي حَجَّ بِالنَّاسِ سَنَةَ (٥٧ هـ) هُوَ وَالِي الْمَدِينَةِ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

قَالَ أَبُو مَعْشَرٍ وَالْوَقْدِيُّ: وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سَنَةِ (٥٨ هـ) الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ. قَالَ أَبُو مَعْشَرٍ وَالْوَقْدِيُّ: حَجَّ بِالنَّاسِ فِي سَنَةِ (٥٩ هـ) عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

مشاهير من توفي في خلافته:

أدرك خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم ، فقد أدركها اثنان من العشرة المبشرين بالجنة وهما : سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي توفي سنة ٥١ هـ.. وسعد بن أبي وقاص الزهري توفي سنة ٥٥ هـ . وست من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن :

- ١- أم حبيبة رمله بنت أبي سفيان ، اخت معاوية توفيت سنة ٤٤ هـ.
 - ٢- حفصة بنت عمر بن الخطاب العدوي أمير المؤمنين توفيت ٤٥ هـ .
 - ٣- ميمونة بنت الحارث الهلالية توفيت سنة ٥١ هـ .
 - ٤- سودة بنت زمعة القرشية العامرية توفيت سنه ٥٤ هـ.
 - ٥- عائشة بنت أبي بكر الصديق توفيت سنة ٥٨ هـ
 - ٦- أم سلمة توفيت سنة ٦١ في خلافة يزيد .
- ومن مشاهير من أدرك خلافته ومات فيها، عثمان بن طلحة الحبي ، وعمرو بن العاص السهمي ، ومُجد بن مسلمة الانصاري ، وعبدالله بن سلام أبو يوسف الاسرائيلي من أحبار اليهود وعلمائهم ، وزيد بن ثابت الأنصاري من كتاب الوحي على عهد رسول الله صلى الله وسلم ، وكتب المصحف الإمام الذي بالشام عن أمر عثمان بن عفان رضي الله ، واطلع عليه ابن كثير وقال: وهو خط جيد قوي جدا فيما رأيته .

فائدة:

قال ناسخ مخطوطة البداية والنهاية : كان المصحف المذكور موجوداً في زمن المؤلف (ابن كثير) وبعده إلى زماننا ثم عُدم في فتنة تيمورلنك إما حريقاً وإما أخذاً له من مكانه الذي كان بالجامع الأموي في مشاريق المقصورة .(١)

وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي ، وقيس بن عاصم المنقري ، وجريز بن عبدالله البجلي ، وخالد بن زيد أبوأيوب الأنصاري ، وأبو موسى الأشعري ، وأسامة بن زيد بن حارثة الكلبي ، وحكيم بن حزام القرشي الأسدي ، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ،

(١) انظر: البداية والنهاية طبعة دار هجر ١٧٠/١١.

وسعيد بن العاص الأموي أحد كتاب المصحف في عهد عثمان رضي الله عنه ، وقيس بن سعد
بن عباد الأنصاري الخزرجي ، ومعقل بن يسار المزني ، وأبو هريرة الدوسي راوية الإسلام
وصفون بن المعطل بن رخصة السلمي رضي الله عنه جميعا.

خلافة

يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ

٦٠-٦٤

الفصل الأول

ترجمته وخلافته

نسبه وأسرته :

هُوَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، أَبُو خَالِدِ الْأُمَوِيُّ، وَأُمُّهُ مَيْسُونُ بِنْتُ بَحْدَلِ الْكَلْبِيِّ. وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ طَلَّقَ أُمَّهُ وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ، وَوُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ

رَوَى عَنْ أَبِيهِ مُعَاوِيَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» ". وَحَدِيثًا آخَرَ فِي الْوُضُوءِ. وَعَنْهُ ابْنُهُ خَالِدٌ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ، وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيُّ فِي الطَّبَقَةِ الَّتِي تَلِي الصَّحَابَةَ، وَقَالَ: لَهُ أَحَادِيثُ.

وليزيد من الولد معاوية بن يزيد يُكْنَى أبا ليلى وهو الذي تولى الخلافة بعد أبيه.

وخالد بن يزيد، يكنى أبا هاشم، وقد اشتغل بعلم الكيمياء .

وأبو سفيان، وأمهم أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وعبدالله بن يزيد ويقال له : الأسوار، وكان من أرمى العرب، وامه أم كلثوم بنت عبدالله بن عامر ، وعبدالله الأصغر، وأبو بكر، وعتبة، وعبدالرحمن، والربيع، ومُحَمَّد، لأمهات أولاد شتى.(١)

صفاته:

كَانَ كَثِيرَ اللَّحْمِ، عَظِيمَ الْجِسْمِ، كَثِيرَ الشَّعْرِ، جَمِيلًا طَوِيلًا، ضَخْمَ الْهَامَةِ، مُخَدَّدَ الْأَصَابِعِ غَلِيظَهَا، مُجَدَّرًا.(٢)

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ وَغَيْرِهِ (٣) قَالَ: غَضِبَ مُعَاوِيَةُ عَلَى ابْنِهِ يَزِيدَ فَهَجَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْلَادُنَا ثَمَارُ قُلُوبِنَا، وَعِمَادُ ظُهُورِنَا، وَنَحْنُ لَهُمْ سَمَاءُ ظِلِيلَةٍ وَأَرْضُ ذَلِيلَةٍ، إِنْ غَضِبُوا فَأَرْضِهِمْ، وَإِنْ طَلَبُوا فَأَعْطَاهُمْ، وَلَا تَكُنْ عَلَيْهِمْ ثِقَلًا فَيَمَلُّوا حَيَاتَكَ وَيَتَمَنَّوْا مَوْتَكَ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: لِلَّهِ دُرُكٌ يَا أَبَا بَحْرٍ، يَا غُلَامُ، أَنْتَ يَزِيدُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَمَرَ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَمِائَةِ ثَوْبٍ. فَقَالَ يَزِيدُ: مَنْ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: الْأَخْنَفُ. فَقَالَ يَزِيدُ: لَا جَرَمَ، لَأُقَاسِمَنَّه. فَبَعَثَ إِلَى الْأَخْنَفِ بِخَمْسِينَ أَلْفًا

(١) انظر: البداية والنهاية ١١ / ٦٦١

(٢) أي فيه مرض أثر الجدري.

(٣) تاريخ دمشق ٣٩٤/١٨

وَحَمْسِينَ ثَوْبًا.

وَقَدْ كَانَ يَزِيدُ أَوَّلَ مَنْ غَزَا مَدِينَةَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ، فِي قَوْلِ يَعْقُوبَ بْنِ سُفْيَانَ. وَقَالَ حَلِيفَةُ بْنُ حَيَّاطٍ: سَنَةُ خَمْسِينَ. (١) ثُمَّ حَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بَعْدَ مَرْجِعِهِ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ (٢) «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَوَّلُ جَيْشٍ يَغْزُو مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ».

قال ابن كثير: (٣) وَهُوَ الْجَيْشُ الثَّانِي الَّذِينَ رَأَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنَامِهِ عِنْدَ أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ، مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرِ، فَقَالَتْ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: " أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ » يَعْني مِنَ الْجَيْشِ الْأَوَّلِ الَّذِينَ رَأَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرِ، يَرْكَبُونَ نَجَجَ الْبَحْرِ، فَكَانَ أَمِيرَ الْأَوَّلَى أَبُوهُ مُعَاوِيَةُ. حِينَ غَزَا قُبْرُسَ، فَفَتَحَهَا فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ أَيَّامَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَكَانَتْ مَعَهُمْ أُمُّ حَرَامٍ، فَمَاتَتْ هُنَالِكَ بِقُبْرُسَ، ثُمَّ كَانَ أَمِيرَ الْجَيْشِ الثَّانِي ابْنُهُ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، وَلَمْ تُدْرِكْ أُمُّ حَرَامٍ جَيْشَ يَزِيدَ هَذَا. وَذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ دَلَائِلِ الثُّبُوتِ.

وصية معاوية رضي الله عنه لابنه يزيد:

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: (٤) حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْمُعَلَّى قَالَ: قَالَ مُعَاوِيَةُ لِيَزِيدَ وَهُوَ يُوصِيهِ: يَا يَزِيدُ، اتَّقِ اللَّهَ فَقَدْ وَطَّأْتُ لَكَ هَذَا الْأَمْرَ، وَوُلِّيتَ مِنْ ذَلِكَ مَا وُلِّيتَ، فَإِنْ يَأْكُ حَيْرًا فَأَنَا أَسْعَدُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ شَقِيتَ بِهِ، فَارْقُ بِالنَّاسِ، وَأَعِمِّضْ عَمَّا بَلَغَكَ مِنْ قَوْلِ تُؤَدَّى بِهِ يَهْنَكَ عَيْشُكَ، وَتَصْلُحْ لَكَ رَعِيَّتُكَ، وَإِيَّاكَ وَالْمُنَاقَشَةَ وَحَمَلَ الْغَضَبِ، فَإِنَّكَ تُهْلِكُ نَفْسَكَ وَرَعِيَّتَكَ، وَإِيَّاكَ وَجَفْوَةَ أَهْلِ الشَّرَفِ،

(١) انظر: البداية والنهاية ١١/١٨٠.

(٢) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم (٢٩٢٤)

(٣) البداية والنهاية ١١/٦٤٣، قال الذهبي في السير ٤/٣٦ وله على هناته — حسنة، وهي غزو القسطنطينية، وكان أمير ذلك الجيش وفيهم مثل أبي أيوب الأنصاري.

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/٢٦، وانظر: البداية والنهاية ١١/٦٤٤.

وَلَا تُهْنُهُمْ وَلَا تَسْتَخِفَّ بِحَقِّهِمْ فَيُهَيِّنُوكَ وَيَسْتَخِفُّوا بِحَقِّكَ وَيَقْعُوا فِيكَ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَمْرًا فَادْعُ أَهْلَ السِّنِّ وَالتَّجَرِبَةِ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ مِنَ الْمَشَايخِ وَأَهْلِ التَّقْوَى، فَشَاوِرْهُمْ وَلَا تُخَالِفْهُمْ، وَإِيَّاكَ وَالْإِسْتِبْدَادَ بِرَأْيِكَ ؛ فَإِنَّ الرَّأْيَ لَيْسَ فِي صَدْرٍ وَاحِدٍ، وَصَدِّقْ مَنْ أَشَارَ عَلَيْكَ إِذَا حَمَلَكَ عَلَى مَا تَعْرِفُ، وَاخْزُنْ ذَلِكَ عَنْ نِسَائِكَ وَخَدَمِكَ، وَأَصْلِحْ نَفْسَكَ يَصْلُحْ لَكَ النَّاسُ، وَاحْضُرِ الصَّلَاةَ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ عَرَفَ النَّاسُ لَكَ حَقَّكَ، ، وَاعْرِفْ شَرَفَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ؛ فَإِنَّهُمْ أَصْلُكَ وَعَشِيرَتُكَ، وَاحْفَظْ لِأَهْلِ الشَّامِ شَرَفَهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ أَنْصَارُكَ وَحُمَاتُكَ وَجُنْدُكَ الَّذِينَ بِهِمْ تَصُولُ، وَاكْتُبْ إِلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ بِكِتَابٍ تَعِدُهُمْ فِيهِ مِنْكَ الْمَعْرُوفَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُنَشِطُ أَمَلَهُمْ، وَإِنْ وَقَدَ عَلَيْكَ وَافِدٌ مِنَ الْكُورِ كُلِّهَا فَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ وَأَكْرِمْهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ لِمَنْ وَرَاءَهُمْ. (١)

قال ابن كثير : وَقَدْ كَانَ يَزِيدُ فِيهِ خِصَالٌ مَحْمُودَةٌ مِنَ الْكَرَمِ وَالْحِلْمِ وَالْفَصَاحَةِ وَالشَّعْرِ وَالشَّجَاعَةِ وَحُسْنِ الرَّأْيِ فِي الْمُلْكِ، وَكَانَ ذَا جَمَالٍ، حَسَنَ الْمُعَاشَرَةِ، وَكَانَ فِيهِ أَيْضًا إِقْبَالٌ عَلَى الشَّهَوَاتِ وَالتَّهَوُّنِ بِالصَّلَوَاتِ وَإِمَاتَتِهَا فِي غَالِبِ الْأَوْقَاتِ .

رأي ابن كثير في الأخبار الواردة عن إمارة يزيد :

قال الإمام أحمد: (٢) حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، ثَنَا حَيَّوَةُ، حَدَّثَنِي بَشِيرُ بْنُ أَبِي عَمْرٍو الْخَوْلَانِيُّ، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ قَيْسٍ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَكُونُ خَلْفٌ مِنْ بَعْدِ سِتِّينَ سَنَةً أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا، ثُمَّ يَكُونُ خَلْفٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ.

وقال الحافظ أبو يعلى: (٣) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، ثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، ثَنَا كَامِلٌ أَبُو الْعَلَاءِ، سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "

(١) وهذه الوصية ذات معان عميقة في سياسة الناس والعدل بينهم، صدرت من رجل حكيم ومجرب.

(٢) المسند ٣٨/٣ وقال ابن كثير تفرد به أحمد، وانظر: إبراهيم الأقصم، أثر الأحاديث الواردة في خلفاء الدولة الأموية في الكتابة التاريخية، ص ٣٥٣-٣٦٥.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٢٢٠ وعزاه إلى أحمد والبخاري وأحمد رجال الصحيح، وانظر المسند ٦/٣٢٦ .

«تَعَوُّدُوا بِاللَّهِ مِنْ سَنَةِ سَبْعِينَ، وَمِنْ إِمَارَةِ الصَّبِيَّانِ» .

وَقَدْ أوردَ ابْنُ عَسَاكِرٍ أَحَادِيثَ فِي دَمِّ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، كُلُّهَا مَوْضُوعَةٌ، لَا يَصِحُّ شَيْءٌ مِنْهَا، وَأَجُودُ مَا وَرَدَ مَا ذَكَرْنَاهُ ؛ عَلَى ضَعْفِ أَسَانِيْدِهِ وَانْقِطَاعِ بَعْضِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . (١)

قال ابن كثير : (٢) يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ أَكْثَرُ مَا نُقِمَ عَلَيْهِ فِي عَمَلِهِ شُرْبُ الْخَمْرِ وَإِتْيَانُ بَعْضِ الْفَوَاحِشِ، فَأَمَّا قَتْلُ الْحُسَيْنِ فَإِنَّهُ - كَمَا قَالَ جَدُّهُ أَبُو سُفْيَانَ يَوْمَ أُحُدٍ - لَمْ يَأْمُرْ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَسُوِّهُ . وَلَمَّا خَرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَنْ طَاعَتِهِ وَخَلَعُوهُ، وَوَلَّوْا عَلَيْهِمُ ابْنَ مُطِيعٍ وَابْنَ حَنْظَلَةَ لَمْ يَذْكُرُوا عَنْهُ - وَهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَدَاوَةً لَهُ - إِلَّا مَا ذَكَرُوهُ عَنْهُ مِنْ شُرْبِهِ الْخَمْرِ وَإِتْيَانِهِ بَعْضَ الْقَادُورَاتِ، لَمْ يَتَّهِمُوهُ بِزَنْدَقَةٍ كَمَا يَقْدِفُهُ بِذَلِكَ بَعْضُ الرِّوَاغِضِ، بَلْ قَدْ كَانَ فَاسِقًا، وَالْفَاسِقُ لَا يَجُوزُ خَلْعُهُ ؛ لِمَا يُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَيْهِ مِنَ الْفِتْنَةِ وَوُقُوعِ الْهَرَجِ، كَمَا وَقَعَ زَمَنَ الْحَرَّةِ، فَإِنَّهُ بَعَثَ إِلَيْهِمْ مَنْ يَرُدُّهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ، وَأَنْظَرَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا لَمْ يَرْجِعُوا قَاتَلَهُمْ، وَقَدْ كَانَ فِي هَذَا كِفَايَةً، وَلَكِنَّهُ تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي أَمْرِهِ أَمِيرَ الْحَرْبِ أَنْ يُبَيِّحَ الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، حَتَّى وَقَعَ بِسَبَبِ ذَلِكَ خَطَأٌ كَبِيرٌ وَفَسَادٌ عَرِضٌ . (٣)

وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَجَمَاعَاتُ أَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ مِمَّنْ لَمْ يَنْقُضِ الْعَهْدَ، وَلَا بَايَعَ أَحَدًا بَعْدَ بَيْعَتِهِ لِيَزِيدَ .

(١) البداية والنهاية ٦٤٩/١١

(٢) المصدر نفسه ٦٥٠/١١

(٣) المصدر نفسه ٦٥٢/١١

وفاته :

مَاتَ يَزِيدُ بِحُوَارَيْنِ مِنْ قُرَى دِمَشْقَ فِي رَابِعِ عَشَرَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ. وَقَدْ حُمِلَ إِلَى دِمَشْقَ وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الْبَابِ الصَّغِيرِ .
 وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي مَدْعُورٍ: (١) حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ: آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا لَمْ أُحِبُّهُ، وَلَمْ أُرِدْهُ، وَاحْكُمْ بَيْنِي وَبَيْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ. وَكَانَ نَقْشُ خَاتَمِهِ: آمَنْتُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ.

بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ أَبِيهِ فِي رَجَبِ سَنَةِ سِتِّينَ، فَكَانَ يَوْمَ بُويِعَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً،
فَأَقْرَأَ نُؤَابُ أَبِيهِ عَلَى الْأَقَالِيمِ، لَمْ يَغْزِلْ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَهَذَا مِنْ ذِكَايِهِ. (١)

طلبه البيعة من أهل المدينة :

وَكَتَبَ يَزِيدُ إِلَى نَائِبِ الْمَدِينَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عُثْبَةَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ يَزِيدَ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُثْبَةَ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، أَكْرَمَهُ اللَّهُ وَاسْتَحْلَفَهُ وَحَوَّلَهُ وَمَكَنَ لَهُ، فَعَاشَ بِقَدَرٍ،
وَمَاتَ بِأَجَلٍ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَدْ عَاشَ مَحْمُودًا، وَمَاتَ بَرًّا تَقِيًّا، وَالسَّلَامُ. ثُمَّ أَمْرُهُ أَنْ يَأْخُذَ الْبَيْعَةَ
مِنْ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَبَعَثَ الْوَلِيدُ إِلَى مَرْوَانَ، فَقَرَأَ
عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَاسْتَشَارَهُ فِي أَمْرِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ، فَقَالَ: أَرَى أَنْ تَدْعُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِمَوْتِ
مُعَاوِيَةَ إِلَى الْبَيْعَةِ، فَأَرْسَلَ مِنْ فَوْرِهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ إِلَى الْحُسَيْنِ وَابْنِ
الزُّبَيْرِ وَهُمَا فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ لَهُمَا: أَجِيبَا الْأَمِيرَ. فَقَالَا: انْصَرِفْ، الْآنَ نَأْتِيهِ. ثُمَّ نَهَضَ
حُسَيْنٌ فَأَخَذَ مَعَهُ مَوَالِيَهُ، وَجَاءَ بَابَ الْأَمِيرِ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، وَمَرْوَانُ عِنْدَهُ، فَنَاولَهُ الْوَلِيدُ
بْنُ عُثْبَةَ الْكِتَابَ، وَنَعَى إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ، فَاسْتَرْجَعَ وَقَالَ: رَحِمَ اللَّهُ مُعَاوِيَةَ، وَعَظَّمْ لَكَ الْأَجْرَ.
فَدَعَاهُ الْأَمِيرُ إِلَى الْبَيْعَةِ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: إِنَّ مِثْلِي لَا يُبَايِعُ سِرًّا، وَلَكِنْ إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ
دَعَوْتَنَا مَعَهُمْ، فَكَانَ أَمْرًا وَاحِدًا. فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ وَكَانَ يُحِبُّ الْعَافِيَةَ، فَانْصَرَفَ عَلَى اسْمِ اللَّهِ
حَتَّى تَأْتَيْنَا فِي جَمَاعَةِ النَّاسِ، أَمَا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَلَمْ يَأْتِهِ ثُمَّ اتَّفَقَا عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى مَكَّةَ، وَلَمْ يَكُنْ
ابْنُ عُمَرَ بِالْمَدِينَةِ، وَإِنَّمَا كَانَ هُوَ وَابْنُ عَبَّاسٍ بِمَكَّةَ، فَلَقِيَهُمَا وَهُمَا مُقْبِلَانِ مِنْهَا، الْحُسَيْنُ وَابْنُ
الزُّبَيْرِ، فَقَالَا: مَا وَرَاءَكُمَا؟ قَالَا: مَوْتُ مُعَاوِيَةَ وَالْبَيْعَةُ لِيَزِيدَ. فَقَالَ لَهُمَا ابْنُ عُمَرَ: اتَّقِيَا اللَّهَ،
وَلَا تُفَرِّقَا بَيْنَ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ. وَقَدِمَ ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا جَاءَتِ الْبَيْعَةُ
مِنْ الْأَمْصَارِ بِاِيْعَا مَعَ النَّاسِ، وَأَمَّا الْحُسَيْنُ وَابْنُ الزُّبَيْرِ، فَإِنَّهُمَا قَدِمَا مَكَّةَ فَوَجَدَا بِهَا وَالِي مَكَّةَ
عَمْرُو بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، فَخَافَاهُ وَقَالَا: إِنَّا جِئْنَا عَوَاذًا بِهَذَا الْبَيْتِ .



الفصل الثاني الأحداث في عهده

دعوة أهل العراق الحسين بن علي بن أبي طالب، عليه السلام، ومقتله .

لما تُوفِّيَ الْحُسَيْنُ كَانَ الْحُسَيْنُ يَفْدُ إِلَى مُعَاوِيَةَ فِي كُلِّ عَامٍ فَيُعْطِيهِ وَيُكْرِمُهُ، وَقَدْ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ غَزَوْا الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ مَعَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ. وَلَمَّا أَخَذَتِ الْبَيْعَةُ لِيَزِيدَ فِي حَيَاةِ مُعَاوِيَةَ، كَانَ الْحُسَيْنُ مِمَّنْ امْتَنَعَ مِنْ مُبَايَعَتِهِ، فَلَمَّا مَاتَ مُعَاوِيَةُ سَنَةَ سِتِّينَ وَبُوعَ لِيَزِيدَ، بَايَعَ ابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَصَمَّ عَلَى الْمُخَالَفَةِ الْحُسَيْنُ وَابْنُ الزُّبَيْرِ، وَخَرَجَا مِنَ الْمَدِينَةِ فَارَيْنَ إِلَى مَكَّةَ فَأَقَامَا بِهَا، فَعَكَفَ النَّاسُ عَلَى الْحُسَيْنِ يَفْدُونَ إِلَيْهِ وَيَقْدُمُونَ عَلَيْهِ، وَقَدَّكَثُرَ وُرُودُ الْكُتُبِ عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِ الْعِرَاقِ يَدْعُونَهُ إِلَيْهِمْ، وَفِيهَا: أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ اخْضَرَ الْجَنَابُ وَأَيَّنَعَتِ الثِّمَارُ فَإِذَا شِتٌّ فَأَقْدَمَ عَلَى جُنْدٍ لَكَ مُجَنَّدٍ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ.

فَاجْتَمَعَتِ الرُّسُلُ كُلُّهَا بِكُتُبِهَا عِنْدَ الْحُسَيْنِ، وَجَعَلُوا يَسْتَحِثُّونَهُ وَيَسْتَفْدِمُونَهُ عَلَيْهِمْ، لِيُبَايِعُوهُ عَوَضًا عَنْ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ؛ وَيَتَكَلَّمُونَ فِي دَوْلَتِهِ، وَأَتَتْهُمْ لَمْ يُبَايِعُوا أَحَدًا إِلَى الْآنَ، وَأَنْتَهُمْ يَنْتَظِرُونَ قُدُومَكَ إِلَيْهِمْ لِيُقَدِّمُوكَ عَلَيْهِمْ .

بعث الحسين مسلم بن عقيل إلى الكوفة :

بَعَثَ الْحُسَيْنُ ابْنَ عَمِّهِ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الْعِرَاقِ، لِيَكْشِفَ لَهُ حَقِيقَةَ هَذَا الْأَمْرِ، فَلَمَّا دَخَلَ مُسْلِمُ الْكُوفَةَ نَزَلَ عَلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: مُسْلِمُ بْنُ عَوْسَجَةَ الْأَسَدِيُّ. فَتَسَامَعَ أَهْلُ الْكُوفَةِ بِقُدُومِهِ فَجَاءُوا إِلَيْهِ فَبَايَعُوهُ عَلَى إِمْرَةِ الْحُسَيْنِ، وَحَلَفُوا لَهُ لِيَنْصُرَهُ بَأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، فَاجْتَمَعَ عَلَى بَيْعَتِهِ مِنْ أَهْلِهَا اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، ثُمَّ تَكَاثَرُوا حَتَّى بَلَغُوا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا، فَكَتَبَ مُسْلِمٌ إِلَى الْحُسَيْنِ لِيَقْدِمَ عَلَيْهِمْ فَقَدْ تَمَهَّدَتْ لَهُ الْبَيْعَةُ وَالْأُمُورُ، وَانْتَشَرَ خَبَرُهُمْ حَتَّى بَلَغَ أَمِيرَ الْكُوفَةِ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ عَنْ ذَلِكَ صَفْحًا وَلَا يَعْبَأُ بِهِ وَلَكِنَّهُ خَطَبَ النَّاسَ، وَنَهَاهُمْ عَنْ الْإِخْتِلَافِ وَالْفِتْنَةِ، وَأَمَرَهُمْ بِالِاتِّلَافِ وَالسُّنَّةِ، وَقَالَ: إِنِّي لَا أَقَاتِلُ مَنْ لَا يُقَاتِلُنِي، وَلَا آخِذُكُمْ بِالْظَّنَّةِ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَئِنْ فَارَقْتُمْ إِمَامَكُمْ وَنَكَلْتُمْ بَيْعَتَهُ، لَأُقَاتِلَنَّكُمْ مَا دَامَ فِي يَدِي مِنْ سَيْفِي قَائِمَتُهُ. فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ سَعِيدٍ الْحَضْرَمِيُّ. فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِالْعَشْمِ، وَإِنَّ الَّذِي

سَلَكَتُهَا أَيْهَا الْأَمِيرُ مَسَلْتُكَ الْمُسْتَضْعَفِينَ. فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ: لِأَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْأَعَزِّينَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ. ثُمَّ نَزَلَ،

عزل النعمان وتولية ابن زياد الكوفة:

كَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ الْحَضْرَمِيُّ إِلَى يَزِيدَ يُعْلِمُهُ بِالْأَحْدَاثِ فِي الْكُوفَةِ، فَبَعَثَ يَزِيدُ، بِعِزْلِ النُّعْمَانَ عَنِ الْكُوفَةِ وَضَمَّهَا إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ مَعَ الْبَصْرَةِ. ثُمَّ كَتَبَ يَزِيدُ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ: إِذَا قَدِمْتَ الْكُوفَةَ فَتَطَلَّبْ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَيْهِ فَاقْتُلْهُ أَوْ انْفِهِ، فَسَارَ ابْنُ زِيَادٍ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْكُوفَةِ، فَلَمَّا دَخَلَهَا دَخَلَهَا مُتَلَتِّمًا بِعِمَامَةٍ سَوْدَاءَ، فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِمَلَأٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا قَالَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ. فَيَقُولُونَ: وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ، مَرْحَبًا يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ. يَظُنُّونَ أَنَّهُ الْحُسَيْنُ، وَقَدْ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ قُدُومَهُ، فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ عَلَتُهُمْ كَأَبَّةٌ وَحُزْنٌ شَدِيدٌ، فَتَحَقَّقَ عُبَيْدُ اللَّهِ الْخَبَرَ، وَنَزَلَ فَصَرَ الْإِمَارَةَ مِنَ الْكُوفَةِ. وَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى أَنْ الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ. فَاجْتَمَعَ النَّاسُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. أَصْلَحَهُ اللَّهُ، وَلَا يَنْبَغُ مِصْرُكُمْ وَتَعَرُّكُمْ وَفَيْئُكُمْ، وَأَمْرِي بِإِنْصَافٍ مَظْلُومِكُمْ، وَإِعْطَاءٍ مُحْرُومِكُمْ، وَبِالْإِحْسَانِ إِلَى سَامِعِكُمْ وَمُطِيعِكُمْ، وَبِالشَّدَّةِ عَلَى مُرِيبِكُمْ وَعَاصِيِكُمْ، وَأَنَا مُتَثَلِّفٌ فِيكُمْ أَمْرَهُ وَمُنْقِذٌ عَهْدَهُ. ثُمَّ نَزَلَ وَأَمَرَ الْعُرَفَاءَ أَنْ يَكْتُتُوا مَنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْحُرُورِيَّةِ وَأَهْلِ الرِّيبِ وَالْخِلَافِ وَالشَّقَاقِ، وَأَيُّمَا عَرِيفٍ لَمْ يُطْلِعْنَا عَلَى ذَلِكَ صُلِبَ وَنُفِيَ وَأُسْقِطَتْ عِرَافَتُهُ مِنَ الدِّيَوَانِ.

عبيد الله بن زياد يَحْتَالُ لِكُشْفِ أَمْرِ مُسْلِمٍ

لَمَّا اسْتَقَرَّ أَمْرُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ أَرْسَلَ مَوْلى لَهُ اسْمُهُ مَعْقِلٌ - وَمَعَهُ ثَلَاثَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ فِي صُورَةٍ قَاصِدٍ مِنْ بِلَادِ حِمَصَ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَلَطَّفُ وَيَسْتَدِلُّ عَلَى الدَّارِ الَّتِي يُبَايِعُونَ بِهَا مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ، حَتَّى دَخَلَهَا، وَهِيَ دَارُ هَانِي بْنِ عُرْوَةَ، فَبَايَعَ وَأَدْخَلُوهُ عَلَى مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ، فَلَزِمَهُمْ أَيْامًا حَتَّى اطَّلَعَ عَلَى جَلِيَّةِ أَمْرِهِمْ، فَدَفَعَ الْمَالَ إِلَى أَبِي ثَمَامَةَ الصَّائِدِيِّ بِأَمْرِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ

وَكَانَ هُوَ الَّذِي يَقْبِضُ مَا يُؤْتَى بِهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَيَشْتَرِي السِّلَاحَ وَكَانَ مِنْ فُرْسَانِ الْعَرَبِ -
فَرَجَعَ ذَلِكَ الْمَوْلَى، وَأَعْلَمَ عُبَيْدُ اللَّهِ بِالذَّارِ وَصَاحِبِهَا،

وَكَانَ هَانِئُ أَحَدِ الْأَمْراءِ الْكِبَارِ وَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ مُنْذُ قَدِيمِ الْكُوفَةِ وَتَمَارُضِ،
فَذَكَرَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ، وَقَالَ: مَا بَالُ هَانِئٍ لَمْ يَأْتِنِي مَعَ الْأَمْراءِ؟ فَقَالُوا: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنَّهُ يَشْتَكِي.
فَقَالَ: قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ يَجْلِسُ عَلَى بَابِ دَارِهِ.

فَجَاءَ الْأَمْراءُ إِلَى هَانِئِ بْنِ عُرْوَةَ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَدْخَلُوهُ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَالْتَمَتَ
عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى الْقَاضِي شُرَيْحٍ، فَقَالَ مُتَمَتِّلًا بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي ... عَذِيرُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ

فَلَمَّا سَلَّمَ هَانِئُ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ: يَا هَانِئُ، أَتَيْنَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي.
فَقَامَ ذَلِكَ الْمَوْلَى - الَّذِي دَخَلَ دَارَ هَانِئٍ فِي صُورَةِ قَاصِدٍ مِنْ حِمَصَ - فَقَالَ: أَتَعْرِفُ هَذَا؟
قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا رَأَاهُ هَانِئُ قُطِعَ بِهِ وَأُسْقِطَ فِي يَدِهِ، فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُهُ
إِلَى مَنْزِلِي، وَلَكِنَّهُ جَاءَ فَطَرَحَ نَفْسَهُ عَلَيَّ. فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَأْتِنِي بِهِ. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ تَحْتَ
قَدَمَيَّ مَا رَفَعْتُهُمَا عَنْهُ. فَقَالَ: أَذْنُوهُ مِنِّي. فَأَذْنُوهُ فَضَرْبُهُ بِحَرْبَةٍ عَلَى وَجْهِهِ، فَشَجَّهَ عَلَى
حَاجِبِهِ، وَكَسَرَ أَنْفَهُ، وَتَنَاوَلَ هَانِئُ سَيْفَ شُرَيْحٍ لِيَسْلُمَهُ، فَدَفَعَ عَنْ ذَلِكَ،
وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: قَدْ أَحَلَّ اللَّهُ لِي دَمَكَ ؛ لِأَنَّكَ حُرُورِيٌّ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ، فَحَبَسَهُ فِي جَانِبِ الدَّارِ.

مسلم بن عقيل يعلن الثورة:

وَلَمَّا سَمِعَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ مَا صَارَ عَلَى هَانِئِ بْنِ عُرْوَةَ رَكِبَ وَنَادَى بِشِعَارِهِ: يَا مَنْصُورُ أَمِتْ.
فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنَ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَكَانَ مَعَهُ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ، وَمَعَهُ رَايَةُ
حَضْرَاءَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ نَوْفَلٍ بِرَايَةِ حَمْرَاءَ، فَتَرَبَّهْمُ مَيْمَنَةً وَمَيْسَرَةً، وَسَارَ هُوَ فِي
الْقَلْبِ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ فِي أَمْرِ هَانِئٍ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنَ الْإِخْتِلَافِ، وَأَشْرَافُ
النَّاسِ وَأَمْرَاؤُهُمْ تَحْتَ مِنْبَرِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَتِ النَّظَارَةُ يَقُولُونَ: جَاءَ مُسْلِمُ بْنُ
عَقِيلٍ. فَبَادَرَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَدَخَلَ الْقَصْرَ وَمَنْ مَعَهُ، وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ، فَلَمَّا انْتَهَى مُسْلِمُ إِلَى

بَابِ الْقَصْرِ وَقَفَ بِحَيْثِهِ هُنَاكَ، فَأَشْرَفَ أُمَرَاءُ الْقَبَائِلِ الَّذِينَ عِنْدَ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي الْقَصْرِ، فَأَشَارُوا إِلَى قَوْمِهِمُ الَّذِينَ مَعَ مُسْلِمٍ بِالْأَنْصِرَافِ وَتَهَدَّدُوهُمْ وَوَعَدُوهُمْ وَتَوَعَّدُوهُمْ، وَأَخْرَجَ عُبَيْدُ اللَّهِ بَعْضَ الْأُمَرَاءِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرْكَبُوا فِي الْكُوفَةِ يُحْدِلُونَ النَّاسَ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ بَحِيَّةً إِلَى ابْنِهَا وَأَخِيهَا فَتَقُولُ: ارْجِعْ، النَّاسُ يَكْفُونُكَ. وَيَقُولُ الرَّجُلُ لِابْنِهِ وَأَخِيهِ: كَأَنَّكَ غَدًا بِجُنُودِ الشَّامِ قَدْ أَقْبَلْتَ، فَمَاذَا تَصْنَعُ مَعَهُمْ؟ فَتَحَاذَلِ النَّاسُ وَقَصَرُوا وَتَصَرَّوْا وَانْصَرَفُوا عَنْ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ حَتَّى بَقِيَ وَحْدَهُ، لَيْسَ مَعَهُ مَنْ يَدُلُّهُ عَلَى الطَّرِيقِ، وَلَا مَنْ يُوَاسِيهِ بِنَفْسِهِ، فَأَوَى إِلَى بَيْتِ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: طَوْعَةُ، فَخَافَ ابْنُهَا عَقُوبَةَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذَهَبَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ، فَأَعْلَمَهُ بِأَنَّ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ فِي دَارِهِمْ، فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَسَارَّ أَبَاهُ بِذَلِكَ وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: مَا سَأَلَكَ بِهِ؟ فَقَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَّ مُسْلِمًا فِي بَعْضِ دُورِنَا. فَخَسَّ بِقَضِيبٍ فِي جَنْبِهِ، وَقَالَ: قُمْ فَأَتِنِي بِهِ السَّاعَةَ.

وَبَعَثَ ابْنُ زِيَادٍ صَاحِبَ شُرْطَتِهِ وَمَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ فِي سَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ فَارِسًا، فَلَمْ يَشْعُرْ مُسْلِمٌ إِلَّا وَقَدْ أُحِيطَ بِالْدَّارِ الَّتِي هُوَ فِيهَا، فَأَعْطَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَمَانَ، فَأَمَّكَهُ مِنْ يَدِهِ، وَجَاءُوا بِبَغْلَةٍ، فَأَرْكَبُوهُ عَلَيْهَا، وَسَلَبُوا مِنْهُ سَيْفَهُ، فَلَمْ يَبْقَ يَمْلِكُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا، وَلَمَّا انْتَهَى مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ أُدْخِلَ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ، فَلَمَّا أَوْقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَقْبَلَ ابْنُ زِيَادٍ عَلَيْهِ فَقَالَ: إِلَيَّ يَا ابْنَ عَقِيلٍ، أَتَيْتَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ جَمِيعًا وَكَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةً؛ لِئُشَتَّتَهُمْ، وَتُفَرَّقَ كَلِمَتُهُمْ، وَتَحْمِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ؟ ! قَالَ: كَلَّا لَسْتُ لَذَلِكَ أَتَيْتُ، وَلَكِنْ أَهْلُ الْمِصْرِ زَعَمُوا أَنَّ أَبَاكَ قَتَلَ خِيَارَهُمْ، وَسَفَكَ دِمَاءَهُمْ، وَعَمِلَ فِيهِمْ أَعْمَالَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، فَأَتَيْنَاهُمْ لِنَأْمُرَ بِالْعَدْلِ وَنَدْعُو إِلَى حُكْمِ الْكِتَابِ.

وصية مسلم بن عقيل

لما قَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: إِنِّي قَاتِلُكَ . قَالَ: فَدَعْنِي أُوصِي إِلَى بَعْضِ قَوْمِي. قَالَ: أَوْصِ. فَنَظَرَ فِي جُلَسَائِهِ وَفِيهِمْ عُمَرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ. فَقَالَ: يَا عُمَرُ، إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَرَابَةً، وَلِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ، وَهُوَ سِرٌّ. فَأَبَى أَنْ يَقُومَ مَعَهُ حَتَّى أَذِنَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ، فَقَامَ فَتَنَحَّى قَرِيبًا مِنْ ابْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ: إِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فِي الْكُوفَةِ؛ سَبْعُمِائَةِ دِرْهَمٍ فَأَقْضِهَا عَنِّي، وَاسْتَوْهَبَ جُثَّتِي مِنْ ابْنِ زِيَادٍ فَوَارَهَا، وَابْعَثْ إِلَى الْحُسَيْنِ، فَإِنِّي قَدْ كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَعْلِمُهُ أَنَّ النَّاسَ مَعَهُ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا مُقْبِلًا. فَقَامَ عُمَرُ فَعَرَضَ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ مَا قَالَ لَهُ، فَأَجَازَ لَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ.

قتل مسلم بن عقيل

أَمَرَ ابْنُ زِيَادٍ بِمُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ، فَأَصْعَدَ إِلَى أَعْلَى الْقَصْرِ، وَهُوَ يُكَبِّرُ وَيَسْتَغْفِرُ وَيُصَلِّي عَلَى مَلَائِكَةِ اللَّهِ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ احْكُم بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِ غُرُونَا وَخَذُلُونَا. ثُمَّ ضَرَبَ عُنُقَهُ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: بُكَيْرُ بْنُ حُمَرَانَ. ثُمَّ أَلْقَى رَأْسَهُ إِلَى أَسْفَلِ الْقَصْرِ، وَاتَّبَعَ رَأْسَهُ بِجَسَدِهِ.

ثُمَّ أَمَرَ بِهَانِي بْنِ عُرْوَةَ الْمَذْحِجِيِّ، فَضَرَبَتْ عُنُقَهُ بِسُوقِ الْغَنَمِ، وَصَلَبَ بِمَكَانٍ مِنَ الْكُوفَةِ يُقَالُ لَهُ: الْكُنَاسَةُ. فَقَالَ أَحَدُ الشُّعْرَاءِ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةً، وَيُقَالُ: إِنَّهَا لِلْفَرَزْدَقِ:

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِينَ مَا الْمَوْتُ فَانْظُرِي ... إِلَى هَانِي فِي السُّوقِ وَابْنِ عَقِيلٍ
أَصَابَهُمَا أَمْرُ الْإِمَامِ فَأَصْبَحَا ... أَحَادِيثَ مَنْ يَسْعَى بِكُلِّ سَبِيلٍ
إِلَى بَطْلِ قَدْ هَشَّمَ السَّيْفُ وَجْهَهُ ... وَآخِرُ يَهُوَى فِي طَمَارِ قَتِيلٍ
تَرَى جَسَدًا قَدْ غَيَّرَ الْمَوْتُ لَوْنَهُ ... وَنَضَحَ دَمٌ قَدْ سَالَ كُلَّ مَسِيلٍ

عزم الحسين عليه السلام بالمسير إلى العراق :

لَمَّا تَوَاتَرَتِ الْكُتُبُ إِلَى الْحُسَيْنِ مِنْ جِهَةِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَتَكَرَّرَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، وَجَاءَهُ كِتَابُ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ بِأَهْلِهِ، ثُمَّ وَقَعَ فِي غُبُونِ ذَلِكَ مَا وَقَعَ مِنْ مَقْتَلِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ وَالْحُسَيْنِ لَا يَعْلَمُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ قَدْ عَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَيْهِمُ وَالْقُدُومَ عَلَيْهِمْ، فَاتَّفَقَ خُرُوجُهُ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ قَبْلَ مَقْتَلِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ يَوْمَ وَاحِدٍ - فَإِنَّ مُسْلِمًا قُتِلَ يَوْمَ عَرَفَةَ

نصائح الصحابة لحسين بن علي رضي الله عنهما بترك الخروج للعراق

وَلَمَّا اسْتَشْعَرَ النَّاسُ خُرُوجَهُ أَشْفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، وَحَذَرُوهُ مِنْهُ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ ذُوو الرَّأْيِ مِنْهُمْ وَالْمَحَبَّةَ لَهُ بِعَدَمِ الْخُرُوجِ إِلَى الْعِرَاقِ، وَأَمَرُوهُ بِالْمُقَامِ بِمَكَّةَ، وَذَكَرُوهُ مَا جَرَى لِأَخِيهِ وَأَخِيهِ مَعَهُمْ.

نصيحة ابن عباس رضي الله عنهما

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، (١) عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: اسْتَشَارَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ فِي الْخُرُوجِ فَقُلْتُ: لَوْلَا أَنْ يُزْرَى بِي وَبِكَ لَشَبِثْتُ يَدَيَّ فِي رَأْسِكَ. فَكَانَ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ أَنْ قَالَ: لِأَنْ أُقْتَلَ فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقْتَلَ بِمَكَّةَ. قَالَ: فَكَانَ هَذَا الَّذِي سَلَا نَفْسِي عَنْهُ.

وَرَوَى أَبُو مُخَنَّفٍ، (٢) عَنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ الْوَالِجِيِّ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ سَمْعَانَ، أَنَّ حُسَيْنًا لَمَّا أَجْمَعَ الْمَسِيرَ إِلَى الْكُوفَةِ أَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَمِّ، إِنَّهُ قَدْ أَرْجَفَ النَّاسُ أَنَّكَ سَافِرٌ إِلَى الْعِرَاقِ، فَبَيِّنْ لِي مَا أَنْتَ صَانِعٌ. فَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَجْمَعْتُ الْمَسِيرَ فِي أَحَدِ يَوْمَيَّ هَذَيْنِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَخْبِرْنِي إِنْ كَانَ قَدْ دَعَاكَ بَعْدَ مَا قَتَلُوا أَمِيرَهُمْ وَنَفَقُوا عَدُوَّهُمْ وَضَبَطُوا بِلَادَهُمْ، فَسِرْ إِلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانَ أَمِيرُهُمْ عَلَيْهِمْ فَاهِرًا لَهُمْ، وَعُمَّالُهُ تَحِيَّ بِلَادَهُمْ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا دَعَاكَ لِلْفِتْنَةِ وَالْقِتَالِ، وَلَا آمَنُ عَلَيْكَ أَنْ يَسْتَنْفِرُوا إِلَيْكَ النَّاسَ، فَيَكُونُ الَّذِينَ دَعَاكَ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْكَ. فَقَالَ الْحُسَيْنُ: إِنِّي أَسْتَحِيرُ اللَّهَ وَأَنْظُرُ مَا يَكُونُ.

نصيحة ابن عمر رضي الله عنهما

وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ، عَنْ شَبَابَةَ بْنِ سَوَّارٍ قَالَ: (٣) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَالِمٍ الْأَسَدِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ كَانَ بِمَالٍ لَهُ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى الْعِرَاقِ، فَلَحِقَهُ عَلَى مَسِيرَةِ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَقَالَ لَهُ: الْعِرَاقَ. وَإِذَا مَعَهُ طَوَامِيرُ وَكُتُبٌ. فَقَالَ: هَذِهِ كُتُبُهُمْ وَبَيْعَتُهُمْ. فَقَالَ: لَا تَأْتِهِمْ. فَأَبَى، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا؛ إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَيَّرَهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَاخْتَارَ

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٨٥٩) وقال الهيثمي في المجمع ١٩٢/٩ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٢) تاريخ الطبري ٣٥٣/٥

(٣) البيهقي، ودلائل النبوة ٤٧٠/٦

الْآخِرَةَ، وَلَمْ يُرِدِ الدُّنْيَا، وَإِنَّكَ بَضْعَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاللَّهُ لَا يَلِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ أَبَدًا، وَمَا صَرَفَهَا اللَّهُ عَنْكُمْ إِلَّا لِلَّذِي هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ. فَأَبَى أَنْ يَرْجِعَ. قَالَ: فَأَعْتَنَقَهُ ابْنُ عُمَرَ، وَبَكَى وَقَالَ: أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ مِنْ قَتِيلٍ.

نصيحة عبدالله بن الزبير رضي الله عنه

وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ: (١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ الْحَمِيدِيُّ، ثَنَا سُفْيَانُ، ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَرِيكٍ، عَنْ بَشْرِ بْنِ غَالِبٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لِلْحُسَيْنِ: أَيْنَ تَذْهَبُ؟ ! إِلَى قَوْمٍ قَتَلُوا أَبَاكَ وَطَعَنُوا أَحَاكَ؟ فَقَالَ: لِأَنْ أُقْتَلَ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تُسْتَحَلَّ بِي. يَعْنِي مَكَّةَ.

وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: (٢) حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ هِشَامَ بْنَ يُوسُفَ يَقُولُ، عَنْ مَعْمَرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يُحَدِّثُ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: أَتَتْنِي بَيْعَةُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا يَخْلِفُونَ بِالطَّلَاقِ وَالْعَتَاقِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ: أَتَخْرُجُ إِلَى قَوْمٍ قَتَلُوا أَبَاكَ وَأَخْرَجُوا أَحَاكَ؟ قَالَ هِشَامُ: فَسَأَلْتُ مَعْمَرًا عَنِ الرَّجُلِ فَقَالَ: هُوَ ثِقَّةٌ.

نصيحة محمد بن الحنفية :

وَكَانَ أَهْلُ الْكُوفَةِ يَكْتُبُونَ إِلَى حُسَيْنٍ يَدْعُونَهُ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ، كُلُّ ذَلِكَ يَأْتِي، فَقَدِمَ مِنْهُمْ قَوْمٌ إِلَى مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ يَطْلُبُونَ إِلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُمْ، فَأَبَى وَجَاءَ إِلَى الْحُسَيْنِ فَأَخْبَرَهُ بِمَا عَرَضُوا عَلَيْهِ وَقَالَ: إِنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يَأْكُلُوا بَنًا، وَيُشِيطُوا دِمَاءَنَا. (٣)

(١) المعرفة والتاريخ ٧٥٣/٢

(٢) تاريخ دمشق ٢٠٣/١٤ وانظر نسب قريش لمصعب الزبير ص ٢٣٩

(٣) المصدر السابق

نصيحة أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

جاءه أبو سعيد الخدري (١) فقال: يا أبا عبد الله، إني لكم ناصح، وإني عليكم مشفق، وقد بلغني أنه كاتبك قوم من شيعتك بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم، فلا تخرج، فإني سمعت أباك يقول بالكوفة: والله لقد مللتهم وأبغضتهم، وملوني وأبغضوني، وما بلوت منهم وفاء، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخي، والله ما لهم ثبات ولا عزم على أمر، ولا صبر على السيف.

نصيحة أبي واقد الليثي رضي الله عنه

وقال أبو واقد الليثي: بلغني خروج الحسين بن علي، فأدركته بمل، فناشدته الله أن لا يخرج، فإنه يخرج في غير وجه خروج، إنما خرج يقتل نفسه. فقال: لا أرجع. (٢)

نصيحة جابر بن عبد الله رضي الله عنه

وقال جابر بن عبد الله: كلمت حسيناً فقلت: اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض، فوالله ما حمدتم ما صنعتم. فعصاني. (٣)

وقال سعيد بن المسيب لو أن حسيناً لم يخرج لكان خيراً له. (٤)

نصيحة أبي بكر بن عبد الرحمن

وأما أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (٥) فقال: يا ابن عم، إن الرّحم تظأري عليك، وما أدري كيف أنا عندك في النصيحة لك؟ قال: يا أبا بكر، ما أنت ممن يستعش ولا يتهم، فقل. قال: قد رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك، وأنت تريد أن تسير إليهم، وهم عبيد الدنيا، فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك، ويخذلك من أنت أحب إليه ممن

(١) المصدر السابق وانظر سير أعلام النبلاء ٢٩٤/٣.

(٢) ابن سعد الطبقة الخامسة من الصحابة ٤٤٥/١.

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه ٤٤٦/١.

(٥) المصدر نفسه ٤٤٧/١.

يَنْصُرُهُ، فَأَذْكُرَكَ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ. فَقَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ يَا ابْنَ عَمِّ خَيْرًا، وَمَهُمَا يَقْضِي اللَّهُ مِنْ أَمْرٍ يَكُنْ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: عِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ.

توجه الحسين للعراق

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: وَبَعَثَ الْحُسَيْنُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِ مِنْ حَفٍّ مَعَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُمْ تِسْعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا وَنِسَاءً وَصَبِيَّانَ مِنْ إِخْوَانِهِ وَبَنَاتِهِ وَنِسَائِهِمْ، وَتَبِعَهُمْ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ فَأَذْرَكَ حُسَيْنًا بِمَكَّةَ، فَأَعْلَمَهُ أَنَّ الْخُرُوجَ لَيْسَ لَهُ بِرَأْيٍ يَوْمِهِ هَذَا، فَأَبَى الْحُسَيْنُ أَنْ يَقْبَلَ، فَمَنَعَ مُحَمَّدُ ابْنَ الْحَنْفِيَّةِ وَلَدَهُ، فَلَمْ يَبْعَثْ مَعَهُ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى وَجَدَ الْحُسَيْنُ فِي نَفْسِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَقَالَ: تَرَعْبُ بَوْلَدِكَ عَنْ مَوْضِعٍ أَصَابَ فِيهِ؟ فَقَالَ مُحَمَّدٌ: وَمَا حَاجَتِي أَنْ تُصَابَ، وَبُصَابُونَ مَعَكَ؟ وَإِنْ كَانَتْ مُصِيبَتُكَ أَكْثَرُ عِنْدَنَا مِنْهُمْ. (١) فَخَرَجَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْعِرَاقِ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَسِتِّينَ شَيْخًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ فِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سِتِّينَ. (٢)

وَكَتَبَ يَزِيدُ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ: (٣) قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الْحُسَيْنَ قَدْ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْعِرَاقِ، فَضَعَ الْمَنَاطِرَ وَالْمَسَالِحَ، وَاحْتَرَسَ وَاحْبَسَ عَلَى الظَّنَّةِ وَخُذَ عَلَى التُّهْمَةِ، غَيْرَ أَنَّ لَا تَقْتُلَ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ، وَاكْتُبْ إِلَيَّ فِي كُلِّ مَا يَخْدُثُ مِنْ خَبَرٍ، وَالسَّلَامُ. لَقِيَ الْحُسَيْنُ فِي الطَّرِيقِ الْفَرَزْدَقَ، (٤) فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: أَعْطَاكَ اللَّهُ سُؤْلَكَ وَأَمْلَكَ فِيمَا تُحِبُّ. فَسَأَلَهُ الْحُسَيْنُ عَنْ أَمْرِ النَّاسِ وَمَا وَرَاءَهُ، فَقَالَ لَهُ: قُلُوبُ النَّاسِ مَعَكَ، وَسُيُوفُهُمْ مَعَ بَنِي أُمَيَّةَ، وَالْقَضَاءُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ. فَقَالَ لَهُ: صَدَقْتَ، لِلَّهِ الْأَمْرُ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَكُلَّ يَوْمٍ رُبْنَا فِي شَأْنٍ، إِنْ نَزَلَ الْقَضَاءُ بِمَا نُحِبُّ فَنَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى نِعَمَائِهِ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ عَلَى أَذَاءِ الشُّكْرِ، وَإِنْ حَالَ الْقَضَاءُ دُونَ الرَّجَاءِ، فَلَمْ يَعْتَدِ مَنْ كَانَ الْحَقُّ نَيْتَهُ، وَالتَّقْوَى سَرِيرَتَهُ، وَكَانَ الْحُسَيْنُ لَا يَمُرُّ بِمَاءٍ مِنْ مِيَاهِ الْعَرَبِ إِلَّا اتَّبَعُوهُ.

(١) ابن سعد الطبقة الخامسة ٤٥١/١

(٢) تاريخ دمشق ٢٠٤/١٤-٢١٢ والبداية والنهاية ٥٠٧/١١

(٣) تاريخ دمشق ٢١٤/١٤

(٤) تاريخ الطبري ٣٨٦/٥ من طريق أبي مخنف .

وَقَدْ مَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَخْبَارِ النَّاسِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَمْ أَخْرُجْ مِنَ الْكُوفَةِ حَتَّى قُتِلَ مُسْلِمٌ بَنُ عَقِيلٍ وَهَانِيٌّ بَنُ عُرْوَةَ، وَرَأَيْتُهُمَا يَجْرَانِ بِأَرْجُلَيْهِمَا فِي السُّوقِ. فَجَعَلَ الْحُسَيْنُ يَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. مِرَارًا.

فَقُلْنَا لَهُ: اللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ. فَقَالَ: لَا حَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُمَا. فَقُلْنَا: حَارَ اللَّهُ لَكَ.

فَقَالَ الْحُسَيْنُ: قَدْ خَذَلْتَنَا شِيعَتُنَا، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ الْإِنْصِرَافَ فَلْيَنْصَرِفْ مِنْ غَيْرِ حَرَجٍ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِنَّا ذِمَامٌ. قَالَ: فَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ أَيَادِي سَبَا يَمِينًا وَشِمَالًا، حَتَّى بَقِيَ فِي أَصْحَابِهِ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهُ مِنْ مَكَّةَ وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ إِنَّمَا اتَّبَعُوهُ لِأَنَّهُ يَأْتِي بَلَدًا قَدْ اسْتَقَامَتْ لَهُ طَاعَةُ أَهْلِهَا، فَكَرِهَ أَنْ يَسِيرُوا مَعَهُ إِلَّا وَهُمْ يَعْلَمُونَ عِلَامَ يُقْدِمُونَ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ إِذَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْأَمْرَ لَمْ يَصْحَبْهُ إِلَّا مَنْ يُرِيدُ مُوَاسَاةً فِي الْمَوْتِ مَعَهُ. (١)

مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ: (١) حَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ، عَنْ بَعْضِ مَشِيخَتِهِ قَالَ: قَالَ الْحُسَيْنُ حِينَ نَزَلُوا كَرْبَلَاءَ: مَا اسْمُ هَذِهِ الْأَرْضِ؟ قَالُوا: كَرْبَلَاءُ. قَالَ: كَرْبُ وَبَلَاءٌ.

وَبَعَثَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ يُقَاتِلُهُمْ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ: يَا عُمَرُ؛

اخْتَرِ مِنِّي إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ :

- إِمَّا أَنْ تَتْرَكَنِي أَرْجِعَ كَمَا جِئْتُ .

- فَإِنْ أَبَيْتَ هَذِهِ فَسَيِّرْنِي إِلَى يَزِيدَ فَأَضَعُ يَدِي فِي يَدِهِ فَيَحْكُمَ فِيَّ مَا رَأَى.

- فَإِنْ أَبَيْتَ هَذِهِ فَسَيِّرْنِي إِلَى التُّرْكِ فَأُقَاتِلَهُمْ حَتَّى أَمُوتَ.

فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ بِذَلِكَ، فَهَمَّ أَنْ يُسَيِّرَهُ إِلَى يَزِيدَ، فَقَالَ شِمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ: لَا، إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ عَلَى حُكْمِكَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ. وَأَبْطَأَ عُمَرُ عَنْ قِتَالِهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ابْنُ زِيَادٍ شِمْرَ بْنَ ذِي الْجَوْشَنِ فَقَالَ لَهُ: إِنْ تَقَدَّمَ عُمَرُ فَقَاتِلْ، وَإِلَّا فَاقْتُلْهُ وَكُنْ أَنْتَ مَكَانَهُ. وَكَانَ مَعَ عُمَرَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَقَالُوا لَهُمْ: يَعْزِضُ عَلَيْكُمُ ابْنُ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ خِصَالٍ، فَلَا تَقْبَلُوا مِنْهَا شَيْئًا؟ ! فَتَحَوَّلُوا مَعَ الْحُسَيْنِ فَقَاتَلُوا مَعَهُ.

وَلَمَّا قَدِمَ شِمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ (٢) عَلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ بِكِتَابِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ لَهُ عُمَرُ: أَبْعَدَ اللَّهُ دَارَكَ، وَقَبَّحَ مَا جِئْتَ بِهِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّكَ الَّذِي صَرَفْتَهُ عَنِ الَّذِي عَرَضْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي طَلَبَهَا الْحُسَيْنُ. فَقَالَ لَهُ شِمْرٌ: فَأَخْبِرْنِي مَا أَنْتَ صَانِعٌ؛ أَتُقَاتِلُهُمْ أَنْتَ أَوْ تَارِكِي وَإِيَّاهُمْ؟ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَا، وَلَا كَرَامَةَ لَكَ، أَنَا أَتَوَلَّى ذَلِكَ. وَجَعَلَهُ عَلَى الرَّجَالَةِ، وَنَهَضُوا إِلَيْهِمْ عَشِيَّةَ يَوْمِ الْخَمِيسِ التَّاسِعِ مِنَ الْمُحَرَّمِ، فَقَامَ شِمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ فَقَالَ: أَيُّنَ بَنُو أُخْتِنَا؟ فَقَامَ إِلَيْهِ الْعَبَّاسُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَجَعْفَرُ وَعُثْمَانُ بَنُو عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، (٣)

(١) تاريخ دمشق ٢٢٠/١٤

(٢) تاريخ الطبري ٤١٣/٥ - ٤٢٠ من طريق أبي مخنف وغيره .

(٣) أمهم من بني كلاب واسمها فاطمة بنت حزام أم البنين.

فَقَالَ: أَنْتُمْ آمِنُونَ. فَقَالُوا: إِنْ أَمَنْتَنَا وَابْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِلَّا فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِأَمَانِكَ. قَالَ: ثُمَّ نَادَى عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ فِي الْجَيْشِ: يَا حَيْلَ اللَّهِ ازْكَبِي وَأُبَشِّرِي. فَرَكِبُوا وَزَحَفُوا إِلَيْهِمْ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِئِذٍ، هَذَا وَحُسَيْنٌ جَالِسٌ أَمَامَ حَيْمَتِهِ مُحْتَبِيًا بِسَيْفِهِ، وَنَعَسَ فَحَقَّقَ بِرَأْسِهِ، وَسَمِعَتْ أُخْتُهُ زَيْنَبُ الضَّجَّةَ فَدَنَتْ مِنْهُ فَأَيَّقَظَتْهُ، فَرَجَعَ بِرَأْسِهِ كَمَا هُوَ، وَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ لِي: "إِنَّكَ تَرُوحُ إِلَيْنَا". قَالَ لَهُ أَخُوهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ: يَا أَخِي، جَاءَكَ الْقَوْمُ. فَقَالَ: أَذْهَبَ إِلَيْهِمْ فَسَلُّهُمْ مَا بَدَأَ لَهُمْ. فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ فِي نَحْوِ مِنْ عِشْرِينَ فَارِسًا فَقَالَ: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: جَاءَ أَمْرُ الْأَمِيرِ؛ إِمَّا أَنْ تَأْتُوا عَلَى حُكْمِهِ، وَإِمَّا أَنْ نُقَاتِلَكُمْ. فَقَالَ: مَكَانَكُمْ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَأَعْلِمَهُ.

ثُمَّ رَجَعَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ مِنْ عِنْدِ الْحُسَيْنِ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: يَقُولُ لَكُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: ارْجِعْ فَارْزُدْهُمْ هَذِهِ الْعَشِيَّةَ، لَعَلَّنَا نُصَلِّيَ لِرَبَّنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَنَدْعُوهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، فَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ مِنِّي أَنِّي أُحِبُّ الصَّلَاةَ لَهُ، وَتِلَاوَةَ كِتَابِهِ، وَالِاسْتِغْفَارَ وَالِدُعَاءَ.

وَأَوْصَى الْحُسَيْنُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ إِلَى أَهْلِهِ، وَخَطَبَ أَصْحَابَهُ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَقَالَ لَهُمْ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى أَهْلِهِ فِي لَيْلَتِهِ هَذِهِ، فَقَدْ أَذِنْتُ لَهُ، فَإِنَّ الْقَوْمَ إِمَّا يُرِيدُونَنِي. فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ وَأَبْنَاؤُهُ وَبَنُو أَخِيهِ: لَا بَقَاءَ لَنَا بَعْدَكَ.

وَتَكَلَّمَ جَمَاعَةُ أَصْحَابِهِ بِكَلَامٍ يُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَا نُفَارِقُكَ، وَأَنْفُسُنَا الْفِدَاءُ لَكَ، نَقِيكَ بِنُحُورِنَا وَجِبَاهِنَا، وَأَيْدِينَا وَأَبْدَانِنَا، فَإِذَا نَحْنُ قُتِلْنَا وَقَتِينَا وَقَضِينَا مَا عَلَيْنَا. وَبَاتَ الْحُسَيْنُ وَأَصْحَابُهُ طَوْلَ لَيْلِهِمْ يُصَلُّونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَيَدْعُونَ وَيَتَضَرَّعُونَ، وَخِيُولَ حَرَسِ عَدُوِّهِمْ تَدُورُ مِنْ وَرَائِهِمْ.

فَلَمَّا صَلَّى عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ الصُّبْحَ بِأَصْحَابِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ انْتَصَبَ لِلْقِتَالِ، وَصَلَّى الْحُسَيْنُ أَيْضًا بِأَصْحَابِهِ، ثُمَّ شَرَعَ يَذْكُرُ لِلنَّاسِ فَضْلَهُ وَنَسَبَهُ، وَعُلُوَّ قَدْرِهِ، وَشَرَفَهُ، وَيَقُولُ: رَاجِعُوا أَنْفُسَكُمْ، هَلْ يَصْلُحُ لَكُمْ قِتَالُ مِثْلِي، وَأَنَا ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

فَأَخَذُوا لَا يُكَلِّمُونَهُ. قَالَ: فَنَادَى: يَا شَبَثَ بْنَ رِئَعٍ، يَا حَجَّارُ بْنَ أَبَجَرَ، يَا قَيْسُ بْنَ الْأَشْعَثِ، يَا زَيْدُ بْنَ الْحَارِثِ، أَلَمْ تَكُتُبُوا إِلَيَّ أَنَّهُ قَدْ أَيْنَعَتِ التِّمَارُ وَاحْضَرَّ الْجَنَابُ، فَأَقْدَمَ عَلَيْنَا، فَإِنَّكَ إِمَّا تَقْدُمُ عَلَى جُنْدٍ مُجَنَّدٍ. فَقَالُوا لَهُ: لَمْ نَفْعَلْ. فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ

فَعَلْتُمْ، وَأَقْبَلُوا يَرْحَمُونَ نَحْوَهُ، وَقَدْ تَخَيَّرَ إِلَى جَيْشِ الْحُسَيْنِ مِنْ أَوْلِيكَ طَائِفَةٌ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ
فَارِسًا وَقَالَ لِمَوْلَاهُ: يَا دُوَيْدُ، أَدْنِ رَأْيَتَكَ. فَأَذْنَاهَا، ثُمَّ شَمَّرَ عُمَرُ عَنْ سَاعِدِهِ، وَرَمَى بِسَهْمِهِ،
وَقَالَ: اشْهَدُوا إِنِّي أَوَّلُ مَنْ رَمَى الْقَوْمَ. قَالَ: فَتَرَامَى النَّاسُ بِالنَّبَالِ، وَكَثُرَتِ الْمُبَارَزَةُ يَوْمَئِذٍ بَيْنَ
الْفَرِيقَيْنِ، وَالنَّصْرُ فِي ذَلِكَ لِأَصْحَابِ الْحُسَيْنِ؛ لِقُوَّةِ بَأْسِهِمْ، وَأَنَّهُمْ مُسْتَمِيتُونَ، لَا عَاصِمَ لَهُمْ
إِلَّا سُيُوفُهُمْ، فَأَشَارَ بَعْضُ الْأَمْراءِ عَلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ بِعَدَمِ الْمُبَارَزَةِ، وَحَمَلَ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ
أَمِيرَ الْمَيْمَنَةِ، ثُمَّ حَمَلَ شَمَّرَ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ بِالْمَيْسَرَةِ، وَقَصَدُوا نَحْوَ الْحُسَيْنِ، فَدَافَعَتْ عَنْهُ
الْقُرَّسَانُ مِنْ أَصْحَابِهِ دِفَاعًا عَظِيمًا، وَكَافَحُوا دُونَهُ مُكَافَحَةً بَلِيغَةً، وَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ قُتِلَ مِنْ بَنِي
أَبِي طَالِبٍ يَوْمَئِذٍ عَلِيُّ الْأَكْبَرُ ابْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ،

قَالُوا: (١) وَمَكَثَ الْحُسَيْنُ نَهَارًا طَوِيلًا لَا يَأْتِي إِلَيْهِ رَجُلٌ إِلَّا رَجَعَ عَنْهُ؛ لَا يُحِبُّ أَنْ يَلِيَّ
قَتْلَهُ، حَتَّى جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي بَدَاءَ يُقَالُ لَهُ: مَالِكُ بْنُ النُّسَيْرِ. فَضَرَبَ الْحُسَيْنُ بِالسَّيْفِ عَلَى
رَأْسِهِ فَجَرَحَهُ، ثُمَّ جَاءَ شَمَّرُ (٢) وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّجْعَانِ حَتَّى أَحَاطُوا بِالْحُسَيْنِ وَهُوَ عِنْدَ
فُسْطَاطِهِ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ أَحَدٌ يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، فَحَمَلَتِ الرِّجَالُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ عَلَى الْحُسَيْنِ،
ثُمَّ جَاءَ إِلَيْهِ سَنَانُ بْنُ أَنَسٍ بْنِ عَمْرِو النَّحْعِيِّ، فَطَعَنَهُ بِالرُّمْحِ فَوَقَعَ، ثُمَّ نَزَلَ فَذَبَحَهُ وَحَزَرَ
رَأْسَهُ، ثُمَّ دَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى خَوْلِيِّ بْنِ يَزِيدَ. وَقِيلَ: إِنَّ الَّذِي قَتَلَهُ شَمَّرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ. وَقُتِلَ
مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ نَفْسًا.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: (٣) حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ، ثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: أُتِيَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ
زِيَادٍ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ، فَجُعِلَ فِي طَسْتٍ، فَجَعَلَ يَنْكُثُ عَلَيْهِ، وَقَالَ فِي حُسْنِهِ شَيْئًا، فَقَالَ أَنَسٌ:
إِنَّهُ كَانَ أَشَبَّهُهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ مُحْضُوبًا بِالْوَسْمَةِ. وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي
الْمَنَاقِبِ.

(١) تاريخ الطبري ٤٤٨/٥

(٢) المصدر نفسه ٤٥٠/٥

(٣) المسند ٢٦١/٣ وانظر صحيح البخاري (٣٧٤٨)

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ بَعْدَ هَذَا فِي الرَّأْسِ هَلْ سَيَّرَهُ ابْنُ زِيَادٍ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى يَزِيدَ بِالشَّامِ أَمْ لَا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، وَالْأَوَّلُ أَشْبَهُ، وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ آثَارٌ كَثِيرَةٌ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ. (١)

وَأَمَّا بَقِيَّةُ أَهْلِهِ وَنِسَاؤُهُ وَحَرَمُهُ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَكُلَّ يَهُمٍ مَنِ يَحْرُسُهُمْ وَيَكْلُوهُمْ، فَأَرْكَبُوهُمْ عَلَى الرِّوَاكِ فِي الْهَوَاجِ، ثُمَّ سَارُوا بِهِمْ مِنْ كَرْبَلَاءَ حَتَّى دَخَلُوا الْكُوفَةَ، فَأَكْرَمَهُمْ، عبيد الله ابن زياد، وَأَجْرَى عَلَيْهِمُ النِّفَقَاتِ وَالْكَسَاوِي وَالصِّلَاتِ، ثُمَّ سَيَّرَهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى الشَّامِ مَعَ شِيرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ، وَمَعَهُمْ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ: يَا عَلِيُّ، أَبُوكَ الَّذِي قَطَعَ رَحِمِي، وَجَهَلَ حَقِّي، وَنَارَعَنِي سُلْطَانِي، فَصَنَعَ اللَّهُ بِهِ مَا قَدْ رَأَيْتَ، فَقَالَ عَلِيُّ: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا} [الحديد: ٢٢]. (٢)

ثُمَّ أُنْزِلَ النِّسَاءُ عِنْدَ حَرَمِهِ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ، فَاسْتَقْبَلَهُنَّ نِسَاءُ آلِ مُعَاوِيَةَ يَبْكِينَ وَيَنْحَنُّ عَلَى الْحُسَيْنِ، ثُمَّ أَمَرَ يَزِيدُ الثُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ أَنْ يَبْعَثَ مَعَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ رَجُلًا أَمِينًا، مَعَهُ رِجَالٌ وَخَيْلٌ، وَيَكُونُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ مَعَهُمْ، وَلَمَّا وَدَّعَهُمْ يَزِيدُ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ: قَبِّحَ اللَّهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي صَاحِبُهُ، مَا سَأَلَنِي خَصْلَةً إِلَّا أَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا، وَلَدَفَعْتُ الْحَتْفَ عَنْهُ بِكُلِّ مَا اسْتَطَعْتُ، وَلَوْ هَلَكَ بَعْضُ وَلَدِي، وَلَكِنَّ اللَّهَ قَضَى مَا رَأَيْتَ. ثُمَّ جَهَّزَهُ وَأَعْطَاهُ مَالًا جَزِيلًا، وَقَالَ لَهُ: كَاتِبِي بِكُلِّ حَاجَةٍ تَكُونُ لَكَ، وَكَسَاهُمْ وَأَوْصَى بِهِمْ ذَلِكَ الرَّسُولُ. (٣)

قال ابن كثير: (٤) وَهَذَا يَرُدُّ قَوْلَ الرَّافِضَةِ: إِنَّهُمْ حُمِلُوا عَلَى جَنَائِبِ الْإِبِلِ سَبَايَا عَرَايَا. حَتَّى كَذَبَ مَنْ زَعَمَ مِنْهُمْ أَنَّ الْإِبِلَ الْبَحَاتِيَّ إِنَّمَا نَبَتَتْ لَهَا الْأَسْنِمَةُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَتَسْتُرَ عَوْرَاتِهِنَّ.

(١) البداية والنهاية ٥٥٨/١١ والذي رجحه ابن تيمية أن الرأس لم ينقل إلى الشام، لكن ما رجحه ابن كثير، هو أن الرأس وصل إلى يزيد، ثم بعثه إلى المدينة ودفن في البقيع بجوار أمه انظر للتوسع: الشيباني، مواقف المعارضة من خلافة يزيد ص ٣٠٦-٣٢٥

(٢) تاريخ الطبري ٤٦١/٥

(٣) المصدر نفسه

(٤) البداية والنهاية ٥٦٤/١١

ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ فَضَائِلِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

رَوَى الْبُخَارِيُّ،^(١) مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ وَمَهْدِيٍّ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ، سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي نُعْمٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَنِ الْمُحَرَّمِ يَقْتُلُ الذُّبَابَ، فَقَالَ: أَهْلُ الْعِرَاقِ يَسْأَلُونَ عَنْ قَتْلِ الذُّبَابِ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا». وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ:^(٢) ثَنَا أَبُو أَحْمَدَ، ثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الْجَحَافِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " «مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي» ". يَعْنِي حَسَنًا وَحُسَيْنًا.

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ:^(٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غَيْلَانَ، ثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ فَضِيلِ بْنِ مَرْزُوقٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنِ الْبَرَاءِ، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْصَرَ حَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا » ". ثُمَّ قَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ،^(٤) عَنْ زَيْدِ بْنِ الْحُبَابِ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ، وَأَهْلِ السُّنَنِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ حَدِيثِ الْحُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُنَا، إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَعَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ، يَمْشِيَانِ وَيَعْتُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا، فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " صَدَقَ اللَّهُ: { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ } [التغابن: ١٥] " فَنَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْتُرَانِ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا » " وهذا لفظ الترمذي .

(١) البخاري (٣٧٥٣، ٧٩٩٤)

(٢) المسند برقم (٧٨٧٦)

(٣) سنن الترمذي (٣٧٨٢) وصحيح سنن الترمذي (٢٩٧٦)

(٤) المسند ٣٥٤/٥ وصحيح سنن أبي داود (٩٨١)

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: (١) حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، ثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُعَيْمٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ» وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢) مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَغَيْرِهِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يُحِبُّهُمَا وَيُكْرِمُهُمَا وَيَحْمِلُهُمَا وَيُعْطِيهِمَا فِي الدِّيَّانِ كَمَا يُعْطِي آبَاهُمَا، وَجِيءَ مَرَّةً بِخُلٍّ مِنَ الْيَمَنِ، فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ، وَلَمْ يُعْطِهِمَا مِنْهَا شَيْئًا، وَقَالَ: لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ يَصْلُحُ لَهُمَا. ثُمَّ بَعَثَ إِلَى نَائِبِ الْيَمَنِ، فَاسْتَعْمَلَ لَهُمَا حُلَّتَيْنِ تُنَاسِبُهُمَا. (٣)

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: (٤) أَنَا يَعْلَى بْنُ عُبَيْدٍ، ثَنَا عُبيدُ اللَّهِ بْنُ الْوَلِيدِ الْوَصَّافِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدٍ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: حَجَّ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ خَمْسًا وَعِشْرِينَ حَجَّةً مَاشِيًا، وَنَجَائِثُهُ تُقَادُ بَيْنَ يَدَيْهِ

قال ابن كثير (٥) : وَالصَّوَابُ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الْحَسَنُ أَحُوهُ، كَمَا حَكَاهُ الْبُخَارِيُّ وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ، (٦) عَنْ ابْنِ عَوْنٍ، أَنَّ الْحَسَنَ كَتَبَ إِلَى الْحُسَيْنِ يَعْيبُ عَلَيْهِ إِعْطَاءَ الشُّعْرَاءِ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ: إِنَّ خَيْرَ الْمَالِ مَا وَفَى الْعَرَضَ.

(١) المسند ٦٢/٣

(٢) صحيح سنن الترمذي (٢٩٦٥)

(٣) تاريخ دمشق ١٧٧/١٤

(٤) الطبقة الخامسة من الصحابة ١/٤٠٠ برقم (٣٧١) والطبراني في الكبير (٢٨٤٤) من طريق الزبير بن بكار .

(٥) البداية والنهاية ١١/٥٩٠

(٦) تاريخ دمشق ١٨١/١٤ من طريق الأصمعي به .

الأخبار المنبئة عن مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما

أورد الحافظ ابن كثير عددا من الأخبار والآثار المنبئة عن مقتل الحسين رضي الله عنهما ثم علق في آخرها.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: (١) حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ حَسَّانَ، ثَنَا عُمَارَةُ، يَعْنِي ابْنَ زَادَانَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ «اسْتَأْذَنُ مَلِكَ الْفُطُرِ أَنْ يَأْتِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَذِنَ لَهُ، فَقَالَ لَأُمِّ سَلَمَةَ: " احْفَظِي عَلَيْنَا الْبَابَ لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ ". فَجَاءَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ فَوُتِبَ حَتَّى دَخَلَ، فَجَعَلَ يَصْعَدُ عَلَى مَنْكِبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَتُحِبُّهُ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " نَعَمْ ". قَالَ: فَإِنَّ أُمَّتَكَ تَقْتُلُهُ، وَإِنْ شِئْتَ أَرَيْتُكَ الْمَكَانَ الَّذِي يُقْتَلُ فِيهِ. قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ، فَأَرَاهُ تُرَابًا أَحْمَرَ، فَأَخَذَتْ أُمُّ سَلَمَةَ ذَلِكَ التُّرَابَ، فَصَرَّتْهُ فِي طَرَفِ ثَوْبِهَا. قَالَ: فَكُنَّا نَسْمَعُ: يُقْتَلُ بِكَرْبَلَاءَ » .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: (٢) حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أَوْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِإِحْدَاهُمَا: " «لَقَدْ دَخَلَ عَلَيَّ الْبَيْتَ مَلِكٌ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيَّ قَبْلَهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّ ابْنَكَ هَذَا حُسَيْنٌ مَقْتُولٌ، وَإِنْ شِئْتَ أَرَيْتُكَ الْأَرْضَ الَّتِي يُقْتَلُ بِهَا ». قَالَ: " فَأَخْرَجَ تُرْبَةً حُمْرَاءَ " . وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ.

قال ابن كثير: (٣) وَلَقَدْ بَالَعَ الشَّيْعَةُ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فَوَضَعُوا أَحَادِيثَ كَثِيرَةً وَكَذِبًا فَاحِشًا ؛ مِنْ كَوْنِ الشَّمْسِ كَسَفَتْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى بَدَتْ النُّجُومُ، وَمَا رُفِعَ يَوْمَئِذٍ حَجَرٌ إِلَّا وَجَدَ تَحْتَهُ دَمًا، وَأَنَّ أَرْجَاءَ السَّمَاءِ احْمَرَّتْ، وَأَنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ تَطْلُعُ وَشُعَاعُهَا كَأَنَّهُ دَمٌ، وَصَارَتِ السَّمَاءُ كَأَنَّهُا عَلَقَةٌ، وَأَنَّ الْكَوَاكِبَ صَارَ يَضْرِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ دَمًا أَحْمَرَ، وَأَنَّ الْحُمْرَةَ لَمْ تَكُنْ فِي السَّمَاءِ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ. وَرَوَى ابْنُ هُبَيْرَةَ، عَنْ أَبِي قَبِيلٍ الْمُعَاوِرِيِّ، أَنَّ الشَّمْسَ كَسَفَتْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى بَدَتْ النُّجُومُ وَقَتَ الظُّهْرِ. وَأَنَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ لَمَّا دَخَلُوا بِهِ قَصْرَ الْإِمَارَةِ جَعَلَتِ الْحَيَّطَانُ تَسِيلُ دَمًا. وَأَنَّ الْأَرْضَ أَظْلَمَتْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

(١) المسند ٢٦٥/٣

(٢) المسند ٢٩٤/٦ وانظر: السلسلة الصحيحة (٨٢٢) .

(٣) البداية والنهاية ٥٧٦/١١

وَلَمْ يُمَسَّ رَعْفَرَانٌ وَلَا وَرْسٌ مِمَّا كَانَ مَعَهُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا اخْتَرَقَ مِنْ مَسَّهُ. وَلَمْ يُرْفَعْ حَجَرٌ مِنْ حِجَارَةِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ إِلَّا ظَهَرَ تَحْتَهُ دَمٌ عَبِيطٌ. وَأَنَّ الْإِبِلَ الَّتِي غَنَمُوهَا مِنْ إِبِلِ الْحُسَيْنِ حِينَ طَبَحُوهَا صَارَ لَحْمُهَا مِثْلَ الْعَلَقَمِ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَكَاذِيبِ وَالْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ الَّتِي لَا يَصِحُّ مِنْهَا شَيْءٌ. (١)

وَأَمَّا مَا رُوِيَ مِنَ الْأُمُورِ وَالْفِتَنِ الَّتِي أَصَابَتْ مَنْ قَتَلَهُ فَأَكْثَرُهَا صَحِيحٌ ؛ فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ نَجَا مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَّا أُصِيبَ بِمَرَضٍ، وَأَكْثَرُهُمْ أَصَابَهُ الْجُنُونُ.

قال ابن كثير: (٢) وَلِلشَّيْعَةِ وَالرَّافِضَةِ فِي صِفَةِ مَصْرِعِ الْحُسَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَذِبٌ كَثِيرٌ وَأَحْبَارٌ بَاطِلَةٌ، وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ كِفَايَةً، وَفِي بَعْضِ مَا أوردناه نَظْرٌ، وَلَوْلَا أَنَّ ابْنَ جَرِيرٍ وَغَيْرَهُ مِنَ الْحَقَّاطِ الْأَثَمَةِ ذَكَرُوهُ مَا سَقَمْتُه، وَأَكْثَرُهُ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي مُحَمَّدٍ لُوطِ بْنِ يَحْيَى، وَقَدْ كَانَ شَيْعِيًّا، وَهُوَ ضَعِيفُ الْحَدِيثِ عِنْدَ الْأَثَمَةِ، وَلَكِنَّهُ أَحْبَابِيٌّ حَافِظٌ، عِنْدَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِهِ، وَلِهَذَا يَتَرَامَى عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُصَنِّفِينَ مِمَّنْ بَعْدَهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ أَسْرَفَ الرَّافِضَةُ فِي دَوْلَةِ بَنِي بُؤْيَةِ فِي حُدُودِ الْأَرَبِ مِائَةً وَمَا حَوْلَهَا، فَكَانَتْ الدَّبَادِبُ (الطبول) تُضْرَبُ بِبَعْدَادَ وَنَحْوِهَا مِنَ الْبِلَادِ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَيَذَرُ الرَّمَادُ وَالتَّبَنُّ فِي الطَّرِيقَاتِ وَالْأَسْوَاقِ، وَتُعَلَّقُ الْمُسُوحُ عَلَى الدَّكَاكِينِ، وَيُظْهِرُ النَّاسُ الْحُزْنَ وَالْبُكَاءَ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ لِيَلْتَمِذَ مُوَافَقَةً لِلْحُسَيْنِ، لِأَنَّهُ قُتِلَ عَطْشَانَ (فيما زعموا)، ثُمَّ تَخْرُجُ النِّسَاءُ حَاسِرَاتٍ عَنْ وُجُوهُنَّ يَنْحَنُّ وَيَلْطِمُنَّ وَجُوهُنَّ وَصُدُورَهُنَّ، (٣) حَافِيَاتٍ فِي الْأَسْوَاقِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْبِدْعِ الشَّيْعِيَّةِ، وَالْأَهْوَاءِ الْفُطَيْعَةِ، وَالْهَتَائِكِ الْمُخْتَرَعَةِ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهَذَا وَأَشْبَاهِهِ أَنْ يُشَبِّعُوا عَلَى دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةٍ ؛ لِأَنَّهُ قُتِلَ فِي أَيَّامِهِمْ.

وَقَدْ عَاكَسَ الرَّافِضَةُ وَالشَّيْعَةُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ النَّوَاصِبُ مِنَ أَهْلِ الشَّامِ فَكَانُوا فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ يَطْبُحُونَ الْخُبُوبَ وَيَعْتَسِلُونَ وَيَتَطَيَّبُونَ وَيَلْبَسُونَ أَفْحَرَ ثِيَابِهِمْ، وَيَتَّخِذُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ

(١) تاريخ دمشق ٢٢٦/٤-٢٣١

(٢) البداية والنهاية ٥٧٦/١١

(٣) وهذا الذي ذكره ابن كثير لا يزال الروافض يعملونه وأكثر وقد كشفتهم الفضائيات ووسائل التواصل فنقلت هذه المظاهر التي لا يقبلها عقل سليم صحيح.

عيداً، يصنعون فيه أنواع الأَطِعمَةِ، ويُظهِرونَ الشُّرُورَ وَالْفَرَحَ ؛ يُريدُونَ بِذَلِكَ عِنَادَ الرِّوَاضِ وَمُعَاكَسَتَهُمْ. (١)

رأي ابن كثير في مقتل الحسين : (٢)

قال ابن كثير: وَقَدْ تَأَوَّلَ عَلَيْهِ مَنْ قَتَلَهُ أَنَّهُ جَاءَ لِيُفَرِّقَ كَلِمَةَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ اجْتِمَاعِهَا، وَلِيُخْلَعَ مَنْ بَايَعَهُ النَّاسُ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " (٣) الْحَدِيثُ بِالزَّجْرِ عَنْ ذَلِكَ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ، وَالتَّوَعُّدِ عَلَيْهِ.

وَيَتَقَدَّرُ أَنْ تَكُونَ طَائِفَةٌ مِنَ الْجَهْلَةِ قَدْ تَأَوَّلُوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوهُ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ قَتْلُهُ، بَلْ كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ إِجَابَتُهُ إِلَى مَا سَأَلَ مِنْ تِلْكَ الْخِصَالِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا، فَإِذَا دُمَّتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْجَبَّارِينَ لَمْ تُدَمَّ الْأُمَّةُ بِكَمَالِهَا وَتُتَّهَمَ عَلَى نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ، وَلَا كَمَا سَلَكُوهُ، بَلْ أَكْثَرُ الْأُمَّةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا كَارِهِ مَا وَقَعَ مِنْ قَتْلِهِ وَقَتْلِ أَصْحَابِهِ سِوَى شِرْذِمَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَبَحَّهُمُ اللَّهُ، وَأَكْثَرُهُمْ كَانُوا قَدْ كَاتَبُوهُ لِيَتَوَصَّلُوا بِهِ إِلَى أَغْرَاضِهِمْ وَمَقَاصِدِهِمُ الْفَاسِدَةِ، فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ ابْنُ زِيَادٍ مِنْهُمْ بَلَّغَهُمْ مَا يُرِيدُونَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَخَذَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَحَمَلَهُمْ عَلَيْهِ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، فَاذْكُفُوا عَنِ الْحُسَيْنِ وَخَذَلُوهُ ثُمَّ قَتَلُوهُ، وَلَيْسَ كُلُّ ذَلِكَ الْجَيْشِ كَانَ رَاضِيًا بِمَا وَقَعَ مِنْ قَتْلِهِ، بَلْ وَلَا يَزِيدُ بَنُ مُعَاوِيَةَ رِضَى بِذَلِكَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - وَلَا كَرِهَهُ، وَالَّذِي يَكَادُ يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ يَزِيدَ لَوْ قَدَرَ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ لَعَفَا عَنْهُ، كَمَا أَوْصَاهُ بِذَلِكَ أَبُوهُ، وَكَمَا صَرَخَ هُوَ بِهِ مُخْبِرًا عَنْ نَفْسِهِ بِذَلِكَ. وَقَدْ لَعَنَ ابْنُ زِيَادٍ عَلَى فِعْلِهِ ذَلِكَ وَشَتَّمَهُ فِيمَا يَظْهَرُ وَيَبْدُو، وَلَكِنْ لَمْ يَغْزِلْهُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا عَاقِبَهُ وَلَا أَرْسَلَ يَعِيبُ عَلَيْهِ ذَلِكَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَكُلُّ مُسْلِمٍ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُخْزِنَهُ هَذَا الَّذِي وَقَعَ مِنْ قَتْلِهِ، رِضَى اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ مِنْ سَادَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ، وَابْنُ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي هِيَ

(١) لم يعد لهذه المظاهر من وجود في بلاد أهل السنة والله الحمد .

(٢) البداية والنهاية ١١/٥٧٨ وذكر ذلك على سبيل العرض والمناقشة وليس على سبيل التقرير .

(٣) صحيح مسلم ، كتب الإمامة ، باب : حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ونص الحديث "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه"

أَفْضَلُ بُنَاتِهِ، وَقَدْ كَانَ عَابِدًا وَشُجَاعًا وَسَخِيًّا. وَلَكِنْ لَا يَحْسُنُ مَا يَفْعَلُهُ الشَّيْعَةُ مِنْ إِظْهَارِ
الْجَزَعِ وَالْحُزْنِ الَّذِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُ تَصَنُّعٌ وَرِيَاءٌ، وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ أَفْضَلَ مِنْهُ، وَهُمْ لَا يَتَّخِذُونَ مَقْتَلَهُ
مَأْتَمًا كَيَوْمِ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ، فَإِنَّ أَبَاهُ قُتِلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ خَارِجٌ إِلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ فِي السَّابِعِ
عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ، وَكَذَلِكَ عُثْمَانُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عَلِيٍّ، عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ
وَالْجَمَاعَةِ، وَقَدْ قُتِلَ وَهُوَ مُحْصُورٌ فِي دَارِهِ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سِتِّ
وَثَلَاثِينَ، وَقَدْ دُبِحَ مِنَ الْوَرِيدِ إِلَى الْوَرِيدِ، وَلَمْ يَتَّخِذِ النَّاسُ يَوْمَ مَقْتَلِهِ مَأْتَمًا، وَكَذَلِكَ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، قُتِلَ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ صَلَاةَ الْفَجْرِ، وَهُوَ
يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَلَمْ يَتَّخِذِ النَّاسُ يَوْمَ قَتْلِهِ مَأْتَمًا، وَكَذَلِكَ الصِّدِّيقُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ، وَلَمْ يَتَّخِذِ النَّاسُ
يَوْمَ وَقَاتِهِ مَأْتَمًا، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ قَبَضَهُ
اللَّهُ إِلَيْهِ كَمَا مَاتَ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ، وَلَمْ يَتَّخِذْ أَحَدٌ يَوْمَ مَوْتِهِ مَأْتَمًا يَفْعَلُونَ فِيهِ مَا يَفْعَلُهُ هَؤُلَاءِ
الْجَهْلَةُ مِنَ الرَّافِضَةِ يَوْمَ مَصْرَعِ الْحُسَيْنِ، وَلَا ذَكَرَ أَحَدٌ أَنَّهُ ظَهَرَ يَوْمَ مَوْتِهِمْ وَقَبْلَهُمْ شَيْءٌ مِمَّا
ادَّعَاهُ هَؤُلَاءِ يَوْمَ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُتَقَدِّمَةِ، مِثْلَ كُسُوفِ الشَّمْسِ وَالْحُمْرَةِ الَّتِي تَطْلُعُ
فِي السَّمَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَأَحْسَنُ مَا يُقَالُ عِنْدَ ذِكْرِ هَذِهِ الْمَصَائِبِ وَأَمْثَالِهَا: مَا رَوَاهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ جَدِّهِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَابُ بِمُصِيبَةٍ فَيَتَذَكَّرُهَا وَإِنْ تَقَادَمَ
عَهْدُهَا، فَيُحَدِّثُ لَهَا اسْتِزْجَاعًا، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ يَوْمٍ أُصِيبَ بِهَا»". رَوَاهُ الْإِمَامُ
أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهَ. (١)

قَبْرُ الْحُسَيْنِ (ع)

وَأَمَّا قَبْرُ الْحُسَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَدْ اشتهرَ عِنْدَ أَكْثَرِ الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّهُ فِي مَشْهَدٍ عَلِيٍّ بِمَكَانٍ مِنَ الطَّفِّ عِنْدَ نَهْرِ كَرْبَلَاءَ، فَيُقَالُ: إِنَّ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ مَبْنِيٌّ عَلَى قَبْرِهِ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ أَنَّ مَوْضِعَ مَقْتَلِهِ عَفَا أَثَرُهُ، حَتَّى لَمْ يَطَّلِعْ أَحَدٌ عَلَى تَعْيِينِهِ بِحَبْرٍ. وَقَدْ كَانَ أَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ يُنْكِرُ عَلَى مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَعْرِفُ قَبْرَ الْحُسَيْنِ (ع) (١) وَأَمَّا رَأْسُهُ (ع) فَالْمَشْهُورُ بَيْنَ أَهْلِ التَّارِيخِ وَعُلَمَاءِ السِّيَرِ أَنَّهُ بَعَثَ بِهِ ابْنُ زِيَادٍ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ، وَعِنْدِي أَنَّ الْأَوَّلَ أَشْهُرُ. (٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ اخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ الرَّأْسُ؛ فَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ أَنَّ يَزِيدَ بَعَثَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ نَائِبِ الْمَدِينَةِ فَدَفَنَهُ عِنْدَ أُمِّهِ بِالْبَقِيعِ. وَادَّعَتِ الطَّائِفَةُ الْمُسَمَّوْنَ بِالْفَاطِمِيِّينَ، الَّذِينَ مَلَكَوا الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ قَبْلَ سَنَةِ أَرْبَعِمِائَةٍ إِلَى مَا بَعْدَ سَنَةِ سِتِّينَ وَسِتِّمِائَةٍ، أَنَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ وَصَلَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَدَفَنُوهُ بِهَا وَبَنُوا عَلَيْهِ الْمَشْهَدَ الْمَشْهُورَ بِهِ بِمِصْرَ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ: تَاجُ الْحُسَيْنِ (المشهد الحسيني). بَعْدَ سَنَةِ خَمْسِمِائَةٍ. وَقَدْ نَصَّ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَيْمَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّهُ لَا أَصْلَ لَذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يُرَوِّجُوا بِذَلِكَ بُطْلَانَ مَا ادَّعَوْهُ مِنَ النَّسَبِ الشَّرِيفِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ كَذَبَةٌ خَوْنَةٌ، وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْقَاضِي الْبَاقِلَانِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَيْمَةِ الْعُلَمَاءِ فِي دَوْلَتِهِمْ فِي حُدُودِ سَنَةِ أَرْبَعِمِائَةٍ.

(١) تاريخ بغداد ١/١٤٣

(٢) البداية والنهاية ١١/٥٨٠، وسبق ذكر رأي ابن تيمية.

علاقة أهل الحجاز بيزيد:

في (سنة ٦٢ هـ) عزل يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد عن الحجاز وولّاه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : فَلَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ احْتَاطَ عَلَى الْأَمْوَالِ ، وَأَخَذَ الْعَبِيدَ الَّذِينَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ فَحَبَسَهُمْ، فَتَجَهَّزَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ إِلَى يَزِيدَ وَبَعَثَ إِلَى عَبِيدِهِ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ السَّجْنِ وَيَلْحَقُوا بِهِ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى يَزِيدَ أَكْرَمَهُ وَاحْتَرَمَهُ وَرَحَّبَ بِهِ، وَأَذِنَ مَجْلِسَهُ، ثُمَّ إِنَّهُ عَاتَبَهُ فِي تَقْصِيرِهِ فِي شَأْنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ، وَإِنَّ جُلَّ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْحِجَازِ مَالِئُوهُ عَلَيْنَا وَأَحْبُوهُ، وَلَمْ يَكُنْ لِي جُنْدٌ أَقْوَى بِهِمْ عَلَيْهِ لَوْ نَاهَضْتُهُ، وَقَدْ كَانَ يَحْذَرُنِي وَيَخْتَرِسُ مِنِّي، وَكُنْتُ أَزْفُقُ بِهِ كَثِيرًا، وَأُدارِيهِ لِأَسْتَمَكِنَ مِنْهُ فَأَتْبُ عَلَيْهِ، مَعَ أَبِي قَدْ ضَيِّقْتُ عَلَيْهِ وَمَنْعْتُهُ مِنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، وَجَعَلْتُ عَلَى مَكَّةَ وَطُرُقِهَا وَشَعَائِهَا رِجَالًا لَا يَدْعُونَ أَحَدًا يَدْخُلُهَا حَتَّى يَكْتُبُوا إِلَيَّ اسْمَهُ وَاسْمَ أَبِيهِ، وَمِنْ أَبِي بِلَادِ اللَّهِ هُوَ وَمَا جَاءَ لَهُ، وَمَاذَا يُرِيدُ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَوْ مِنْ أَرَى أَنَّهُ يُرِيدُهُ رَدَدْتُهُ صَاحِرًا، وَإِلَّا خَلَيْتُ سَبِيلَهُ، وَقَدْ وَلَّيْتُ الْوَلِيدَ، وَسَيِّئْتُكَ مِنْ عَمَلِهِ وَأَمْرِهِ مَا لَعَلَّكَ تَعْرِفُ بِهِ فَضْلَ مُبَالَعَتِي فِي أَمْرِكَ وَمُنَاصَحَتِي لَكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ. (١)

وَأَمَّا الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ فَإِنَّهُ أَقَامَ بِالْحِجَازِ، وَقَدْ هَمَّ مَرَارًا أَنْ يَبْطِشَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَلَا يَجِدُهُ إِلَّا مُتَحَذِّرًا مُتَمَنِّعًا ، وَثَارَ بِالْإِمَامَةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: نَجْدَةُ بْنُ عَامِرٍ الْحَنْفِيُّ. حِينَ قُتِلَ الْحُسَيْنُ، وَخَالَفَ يَزِيدَ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَلَمْ يُخَالِفِ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، لَهُ أَصْحَابٌ يَتَّبِعُونَهُ،

وقد اجتمعوا في حج سنة (٦٢ هـ) ، فلما كَانَ يَوْمَ عَرَفَةَ دَفَعَ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بِاجْتِمَاعِهِمْ، وَتَخَلَّفَ عَنْهُ أَصْحَابُ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَأَصْحَابُ نَجْدَةَ، ثُمَّ دَفَعَ كُلُّ فَرِيقٍ وَحْدَهُمْ. وَكَتَبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ (٢) إِلَى يَزِيدَ: إِنَّكَ بَعَثْتَ إِلَيْنَا رَجُلًا أَحْرَقَ، لَا يَتَّجِهْ لِأَمْرِ رُشْدٍ وَلَا يَزْعُمُ لِعِظَةِ الْحَكِيمِ، فَلَوْ بَعَثْتَ إِلَيْنَا رَجُلًا سَهْلَ الْخُلُقِ، لَيِّنَ الْكَنْفِ، رَجَوْتُ أَنْ يَسْهَلَ مِنَ الْأُمُورِ مَا اسْتَوْعَرَ مِنْهَا، وَأَنْ يَجْتَمَعَ مَا تَفَرَّقَ، فَاَنْظُرْ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ فِيهِ صَلَاحَ خَوَاصِنَا وَعَوَامِنَا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. قَالُوا: فَعَزَلَ يَزِيدُ الْوَلِيدَ، وَوَلَّى عُثْمَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ،

(١) البداية والنهاية ٦٠٨/١١

(٢) في البداية والنهاية وكتب نجدة ، والتصويب ما ذكره الطبري في تاريخه ٤٨٠/٥ وابن الأثير في الكامل .

فَسَارَ إِلَى الْحِجَازِ، وَإِذَا هُوَ فَتًى غِرٌّ حَدَثُ عُمْرٍ، لَمْ يُمَارِسِ الْأُمُورَ، فَطَمِعُوا فِيهِ، وَلَمَّا دَخَلَ
الْمَدِينَةَ بَعَثَ إِلَى يَزِيدَ مِنْهَا وَفْدًا، فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ الْعَسِيلِيُّ الْأَنْصَارِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ
أَبِي عَمْرٍو بْنِ حَفْصِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَحْزُومِيُّ، وَالْمُنْدَرُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَرِجَالٌ كَثِيرٌ مِنْ أَشْرَافِ
أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَقَدِمُوا عَلَى يَزِيدَ، فَأَكْرَمَهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَأَعْظَمَ جَوَائِزَهُمْ، ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ
إِلَى الْمَدِينَةِ، إِلَّا الْمُنْدَرُ بْنُ الزُّبَيْرِ، فَإِنَّهُ سَارَ إِلَى صَاحِبِهِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بِالْبَصْرَةِ، وَكَانَ يَزِيدُ
قَدْ أَجَازَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ نَظِيرَ أَصْحَابِهِ مِنْ أَوْلِيكَ الْوَفْدِ .

خلع أهل المدينة ليزيد :

وَلَمَّا رَجَعَ وَفَدُ الْمَدِينَةِ إِلَيْهَا أَظْهَرُوا شَتَمَ يَزِيدَ وَعَيْبَهُ، وَقَالُوا: إِنَّا نُسْهِدُكُمْ أَنَّا قَدْ
خَلَعْنَاهُ. فَتَابَعَهُمُ النَّاسُ عَلَى خَلْعِهِ، وَبَايَعُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَنْظَلَةَ الْعَسِيلِ عَلَى الْمَوْتِ، وَأَنْكَرَ
عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَرَجَعَ الْمُنْدَرُ بْنُ الزُّبَيْرِ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَافَقَ
أَوْلِيكَ عَلَى خَلْعِ يَزِيدَ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ يَزِيدَ بَعَثَ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَنْهَاهُمْ
عَمَّا صَنَعُوا، وَيُحَذِّرُهُمْ غِبَّ ذَلِكَ، وَيَأْمُرُهُمُ بِالرُّجُوعِ إِلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، فَسَارَ
إِلَيْهِمْ فَفَعَلَ مَا أَمَرَهُ يَزِيدُ وَخَوَّفَهُمُ الْفِتْنَةَ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ الْفِتْنَةَ وَخِيْمَةٌ. وَقَالَ: لَا طَاقَةَ لَكُمْ
بِأَهْلِ الشَّامِ ، فَعَصَاهُ النَّاسُ، فَلَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ، فَانْصَرَفَ وَكَانَ الْأَمْرُ وَاللَّهُ كَمَا قَالَ سَوَاءٌ (١)

وقعة الحرة سنة (٦٣هـ):

فِي سَنَةِ (٦٣ هـ) كَانَتْ وَقَعَةُ الْحَرَّةِ، وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَمَّا خَلَعُوا يَزِيدَ، وَوَلَّوْا
عَلَى قُرَيْشٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُطِيعٍ، وَعَلَى الْأَنْصَارِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَنْظَلَةَ بْنَ أَبِي عَامِرٍ وَعَلَى قَبَائِلِ
الْمُهَاجِرِينَ مَعْقِلَ بْنَ سِنَانٍ الْأَشْجَعِيَّ، فَلَمَّا كَانَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السَّنَةِ أَظْهَرُوا ذَلِكَ، وَاجْتَمَعُوا
عِنْدَ الْمَنْبَرِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَقُولُ: قَدْ خَلَعْتُ يَزِيدَ كَمَا خَلَعْتُ عِمَامَتِي هَذِهِ. وَيُلْقِيهَا
عَنْ رَأْسِهِ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا عَلَى إِخْرَاجِ عَامِلٍ يَزِيدَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، وَهُوَ عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي
سُفْيَانَ ابْنِ عَمِّ يَزِيدَ، وَعَلَى إِجْلَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَاعْتَرَلَ النَّاسَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ

زَيْنُ الْعَابِدِينَ، وَكَذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لَمْ يَخْلَعْ يَزِيدَ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ،
وَقَدْ قَالَ ابْنُ عُمَرَ لِأَهْلِهِ: لَا يَخْلَعَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَزِيدَ فَيَكُونَ الْفَيْصَلُ - وَيُرْوَى: الصَّيْلُ -
بَيْنِي وَبَيْنَهُ. (١)

وَأَنْكَرَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي مُبَايَعَتِهِمْ لِابْنِ مُطِيعٍ وَابْنِ حَنْظَلَةَ عَلَى الْمَوْتِ، وَقَالَ: إِنَّمَا
كُنَّا نُبَايِعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْ لَا نَفَرَّ.
وَكَذَلِكَ لَمْ يَخْلَعْ يَزِيدَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَقَدْ سُئِلَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ فِي ذَلِكَ،
فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ وَأَبَى أَشَدَّ الْإِبَاءِ، وَنَاطَرَهُمْ وَجَادَهُمْ فِي يَزِيدَ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ مَا اتَّهَمُوهُ بِهِ .
وَكَتَبَ بَنُو أُمَيَّةَ إِلَى يَزِيدَ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْحَصْرِ وَالْإِهَانَةِ، وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ،
وَبَعَثُوا ذَلِكَ مَعَ الْبَرِيدِ، فَلَمَّا قَدِمَ بِذَلِكَ عَلَى يَزِيدَ وَقَرَأَ الْكِتَابَ فَاَنْزَعَجَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى عَمْرِو
بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَاسْتَشَارَهُ فِيمَنْ يَبْعَثُهُ إِلَيْهِمْ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ ذَلِكَ،
فَأَبَى وَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَزَلَنِي عَنْهَا وَهِيَ مَضْبُوطَةٌ، وَأُمُورُهَا مُحْكَمَةٌ، فَأَمَّا الْآنَ فَإِنَّمَا هِيَ
دِمَاءٌ قُرَيْشٍ تُرَاقُ بِالصَّعِيدِ، فَلَا أُحِبُّ أَنْ أَتَوَلَّى ذَلِكَ مِنْهُمْ، لِيَتَوَلَّى ذَلِكَ مَنْ هُوَ أَبْعَدُ مِنْهُمْ
مِنِّْي.

إرسال يزيد الجيش لقتال أهل المدينة:

وَلَى يَزِيدَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ الْمُرِّيَّ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَعِيفٌ ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ عَشْرَةَ آلَافٍ فَارِسٍ
وَقِيلَ: اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا، وَنَادَى مُنَادِي يَزِيدَ بِدِمَشْقَ أَنْ سِيرُوا عَلَى أَخَذِ اعْطِيَاتِكُمْ كَامِلًا
وَمَعُونَةَ أَرْبَعِينَ دِينَارًا.

وَقَالَ يَزِيدُ لِمُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ: إِذَا قَدِمْتَ الْمَدِينَةَ وَلَمْ تُصَدِّ عَنْهَا، وَسَمِعُوا وَأَطَاعُوا فَلَا
تَتَعَرَّضُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، وَامْضِ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَإِنْ صَدُّوكَ عَنِ الْمَدِينَةِ فَادْعُهُمْ ثَلَاثًا، فَإِنْ
رَجَعُوا إِلَى الطَّاعَةِ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، وَإِلَّا فَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَانْظُرْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ
الْحُسَيْنِ فَاكْثُفْ عَنْهُ وَاسْتَوِصْ بِهِ خَيْرًا، وَأَذِنْ لِمَجْلِسِهِ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فِي شَيْءٍ مِمَّا دَخَلُوا فِيهِ.
وَقَالَ لَهُ: إِنْ حَدَثَ بِكَ أَمْرٌ فَعَلَى النَّاسِ خُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ السَّكُونِيُّ.

وَسَارَ مُسْلِمٌ مَعَهُ مِنَ الْجِيُوشِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْهَا جَاءَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ فَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ النَّصْرَ فَاَنْزِلْ شَرْقِيَّ الْمَدِينَةِ فِي الْحَرَّةِ، فَإِذَا خَرَجُوا إِلَيْكَ كَانَتْ الشَّمْسُ فِي أَقْفَيْتِكُمْ وَفِي وُجُوهِهِمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ وَإِلَّا فَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكَ عَلَيْهِمْ؛ إِذْ خَالَفُوا الْإِمَامَ، وَخَرَجُوا مِنَ الطَّاعَةِ. فَشَكَرَهُ مُسْلِمٌ بْنُ عُقْبَةَ عَلَى ذَلِكَ، وَامْتَنَلَ مَا أَشَارَ بِهِ، فَانْزَلَ شَرْقِيَّ الْمَدِينَةِ فِي الْحَرَّةِ، وَدَعَا أَهْلَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، كُلُّ ذَلِكَ يَأْتُونَ إِلَّا الْمُحَارَبَةَ وَالْمُقَاتِلَةَ، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ قَالَ لَهُمْ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ - وَهُوَ يَوْمُ الْأَرْبَعَاءِ لِلْيَلْتَنِ بَقِيْنَا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةً ثَلَاثٌ وَسِتِّينَ - قَالَ لَهُمْ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، مَضَتْ الثَّلَاثُ، وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ لِي: إِنَّكُمْ أَصْلُهُ وَعَشِيرَتُهُ، وَإِنَّهُ يَكْرَهُ إِرَاقَةَ دِمَائِكُمْ، وَإِنَّهُ أَمَرَنِي أَنْ أُوجِّلَكُمْ ثَلَاثًا، فَقَدْ مَضَتْ فَمَا أَنْتُمْ صَانِعُونَ؟ أَتَسَالِمُونَ أَمْ تُحَارِبُونَ؟

فَقَالُوا: بَلَى نُحَارِبُ، ثُمَّ تَهَيَّأُوا لِلْقِتَالِ، وَقَدْ كَانُوا اتَّخَذُوا حُنْدَقًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ وَجَعَلُوا جَيْشَهُمْ أَرْبَعَةَ أَرْبَاعٍ، عَلَى كُلِّ رُبْعٍ أَمِيرٌ، وَجَعَلُوا أَجَلَ الْأَرْبَاعِ الرَّبْعَ الَّذِي فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ الْعَسِيلِ، ثُمَّ افْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ انْهَزَمَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ إِلَيْهَا، وَقَدْ قُتِلَ مِنَ الْقَرِيقَيْنِ خَلْقٌ مِنَ السَّادَاتِ وَالْأَعْيَانِ، مِنْهُمْ؛ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ، وَبَنُو لَهُ سَبْعَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ الْعَسِيلِ، وَأَخُوهُ لِأُمِّهِ مُحَمَّدُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ. ثُمَّ أَبَاحَ مُسْلِمٌ بْنُ عُقْبَةَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ السَّلَفُ: مُسْرِفُ بْنُ عُقْبَةَ - قَبَّحَهُ اللَّهُ - الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَمَا أَمَرَهُ يَزِيدُ، وَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ أَشْرَافِهَا وَقُرَّائِهَا، وَانْتَهَبَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً مِنْهَا. (١) وَقَدْ اخْتَفَى جَمَاعَةٌ مِنَ سَادَاتِ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَخَرَجَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ فَلَجَأَ إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَلَحِقَهُ رَجُلٌ مِنَ أَهْلِ الشَّامِ. قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهُ انْتَضَيْتُ سَيْفِي فَقَصَدَنِي، فَلَمَّا رَأَيْتُ صَمَّمَ عَلَى قَتْلِي، فَشِمْتُ سَيْفِي، ثُمَّ قُلْتُ: {إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ} [المائدة: ٢٩].

(١) انظر: ابن سعد، الطبقة الخامسة ٦٥/٢ بإسناد جمعي وهو عند الطبري ٤٨٤/٥-٤٩٥ بتفصيل أكثر من طريق هشام الكلبي عن أبي مخنف؛ وما يذكر في بعض المصادر من المبالغة في عدد القتلى والإجهاد على الجرحى وانتهاك المحارم والوقوع على النساء غير صحيح، بل هو من وضع رواة الشيعة وأهل الأهواء، ولا يحتمله حال المجتمع، ولم يسبق له مثيل حتى مع غير المسلمين مما ينفي وقوعه على الصورة التي تذكرها الروايات وتبالغ فيها. انظر: الطبقة الخامسة من الصحابة ٦٥/٢-٦٦ في الهامش.

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ قَالَ: صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَمَضَى وَتَرَكَنِي . (١)

قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَأَبُو مَعْشَرٍ: كَانَتْ وَقْعَةُ الْحَرَّةِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِلْيَلْتَنِ بَقِيَّتَا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةً ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

وَجَاءَ الْخُبَرُ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ بِمَا حَصَلَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ لَيْلَةَ مُسْتَهْلٍ الْمُحَرَّمِ، مَعَ سَعِيدِ مَوْلَى الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، فَحَزَبُوا حُزْنًا شَدِيدًا، وَتَاهَبُوا لِقِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ.

رَأَى ابْنُ كَثِيرٍ فِي يَزِيدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ :

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : وَقَدْ أَخْطَأَ يَزِيدُ خَطَأً فَاحِشًا فِي قَوْلِهِ لِمُسْلِمٍ بْنِ عُقْبَةَ أَنْ يُبَيِّحَ الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَهَذَا خَطَأٌ كَبِيرٌ، فَإِنَّهُ وَقَعَ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْمَفَاسِدِ الْعَظِيمَةِ فِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ، مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَدْ أَرَادَ بِإِرْسَالِ مُسْلِمٍ بْنِ عُقْبَةَ تَوْطِيدَ سُلْطَانِهِ وَمُلْكِهِ، وَدَوَامَ أَيَّامِهِ، فَعَاقَبَهُ اللَّهُ بِنَقِيضِ قَصْدِهِ، فَقَصَمَهُ اللَّهُ قَاصِمُ الْجَبَابِرَةِ، وَأَخَذَهُ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ . (٢)

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي " صَحِيحِهِ " : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ، ثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى، ثَنَا الْجُعَيْدُ، عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « لَا يَكِيدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ إِلَّا أَنْمَاعٌ كَمَا يَنْمَاعُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ » . (٣)

وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْقَرَّاطِ الْمَدَنِيِّ - وَاسْمُهُ دِينَارٌ - عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « لَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ دَوْبَ الرِّصَاصِ " أَوْ: " دَوْبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ " . » (٤)

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: أَحْبَبَنِي حَيَّوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ، عَنْ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ

(١) رواه ابن سعد في الطبقات ٢٨/٧ عن يحيى بن عباد بإسناد حسن .

(٢) قال الذهبي في السير ٣٦/٤ كانت دولته أقل من أربع سنين ، ولم يمهل الله على فعله بأهل المدينة لما خلعه .

(٣) البخاري (١٨٧٧)

(٤) مسلم ح (١٣٦٣ و ١٣٨٧)

يَسَارٍ عَنِ السَّائِبِ بْنِ خَلَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ أَحَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَافَهُ اللَّهُ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (١)

قال ابن كثير : وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَأَمْثَالِهِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى التَّرْخِيسِ فِي لَعْنَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ اخْتَارَهَا الْحَلَالُ، وَأَبُو بَكْرِ عَبْدُ الْعَزِيزِ، وَالْقَاضِي أَبُو يَعْلَى، وَابْنُ الْقَاضِي أَبُو الْحُسَيْنِ، وَانْتَصَرَ لِدَلِيلِ الشَّيْخِ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوَازِيِّ فِي مُصَنَّفٍ مُفْرَدٍ وَجَوَّزَ لَعْنَهُ، وَمَنَعَ مِنْ ذَلِكَ آخَرُونَ - وَصَنَّفُوا فِيهِ أَيْضًا - لِئَلَّا يُجْعَلَ لَعْنُهُ وَسِيلَةً إِلَى أَبِيهِ أَوْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَحَمَلُوا مَا صَدَرَ عَنْهُ مِنْ سُوءِ التَّصَرُّفَاتِ عَلَى أَنَّهُ تَأَوَّلَ وَأَخْطَأَ. (٢)

وَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ مَعَ ذَلِكَ إِمَامًا فَاسِقًا، وَالْإِمَامُ إِذَا فَسَقَ لَا يُعْزَلُ بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ، عَلَى أَصَحِّ قَوْلِي الْعُلَمَاءِ، بَلْ وَلَا يَجُوزُ الْخُرُوجُ عَلَيْهِ ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ إِثَارَةِ الْفِتْنَةِ، وَوُقُوعِ الْهَرَجِ، كَمَا جَرَى.

وَأَمَّا مَا يَذْكُرُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ لَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَمَا جَرَى عَلَيْهِمْ عِنْدَ الْحَرَّةِ مِنْ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ وَجَيْشِهِ، فَرِحَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، فَإِنَّهُ كَانَ يَرَى أَنَّهُ الْإِمَامُ، وَقَدْ خَرَجُوا عَنْ طَاعَتِهِ، وَأَمَرُوا عَلَيْهِمْ غَيْرَهُ، فَلَهُ قِتَالُهُمْ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى الطَّاعَةِ، وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، كَمَا أُنْذَرَهُمْ بِذَلِكَ عَلَى لِسَانِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ وَمُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: " «مَنْ جَاءَكُمْ وَأَمَرَكُمْ جَمِيعٌ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَكُمْ فَاقْتُلُوهُ كَاتِبًا مَنْ كَانَ» ". (٣)

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم (٦٦٣٢)

(٢) قال الذهبي في السير ٣٦/٤ ويزيد ممن لا نسبه ولا نجه ، وله نظراء من خلفاء الدولتين وكذلك في ملوك النواحي . بل فيهم من هو شر منه ، وإنما عظم الخطب لكونه ولي بعد وفاة النبي بتسع وأربعين سنة والعهد قريب والصحابة موجودون ، وقال ابن تيمية في الفتاوى ٤٨٣/٤ وبلغني أنا جدنا أبا عبد الله بن تيمية سئل عن يزيد فقل : لا تنقص ولا تزيد . وهذا أعدل الأقوال فيه وفي أمثاله وأحسنها .

(٣) مسلم (١٨٥٢)

الحِصَارُ الْأَوَّلُ لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي مَكَّةَ

فِي سَنَةِ (٦٤ هـ) فِي أَوَّلِ الْمُحَرَّمِ مِنْهَا سَارَ مُسْلِمٌ بَنُ عُقْبَةَ إِلَى مَكَّةَ قَاصِدًا قِتَالَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَمَنْ مَعَهُ ، وَاسْتَحْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ رَوْحَ بْنَ زَيْبَاعٍ، فَلَمَّا بَلَغَ ثَنِيَّةَ هَرَشَى (١) بَعَثَ إِلَى رُءُوسِ الْأَجْنَادِ فَجَمَعَهُمْ، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَهْدَ إِلَيَّ إِنْ حَدَثَ بِي حَدَثُ الْمَوْتِ أَنْ أَسْتَحْلِفَ عَلَيْكُمْ حُصَيْنَ بْنَ مُنِيرٍ السَّكُونِيَّ، وَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ لِي مَا فَعَلْتُ، ثُمَّ دَعَا بِهِ فَقَالَ: انْظُرْ يَا بَنُ بَرْدَعَةَ الْحِمَارِ فَاحْفَظْ مَا أُوصِيكَ بِهِ. ثُمَّ أَمَرَهُ إِذَا وَصَلَ مَكَّةَ أَنْ يُنَاجِزَ ابْنَ الزُّبَيْرِ قَبْلَ ثَلَاثِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أَعْمَلْ عَمَلًا قَطُّ بَعْدَ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ قَتْلِي أَهْلَ الْمَدِينَةِ .

ثُمَّ مَاتَ، قَبَّحَهُ اللَّهُ، وَدُفِنَ بِالْمُشَلَّلِ. (٢)

وَسَارَ حُصَيْنُ بْنُ مُنِيرٍ بِالْجَيْشِ نَحْوَ مَكَّةَ، فَانْتَهَى إِلَيْهَا لِأَرْبَعِ بَقِيَّةٍ مِنَ الْمُحَرَّمِ فِيمَا قَالَهُ الْوَاقِدِيُّ. وَقَدْ تَلَاحَقَ بِابْنِ الزُّبَيْرِ جَمَاعَاتٌ مِمَّنْ بَقِيَ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَنْصَافِ إِلَيْهِ أَيْضًا نَجْدُهُ بْنُ عَامِرٍ الْحَنْفِيُّ مِنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ؛ لِيَمْنَعُوا الْبَيْتَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَنَزَلَ حُصَيْنُ بْنُ مُنِيرٍ ظَاهِرَ مَكَّةَ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي أَهْلِ مَكَّةَ وَمَنْ التَفَّ مَعَهُ، فَأَقْتَتَلُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا. ثُمَّ أَقْتَتَلُوا فِي بَقِيَّةِ شَهْرِ الْمُحَرَّمِ وَصَفَرًا بِكَمَالِهِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ السَّبْتِ ثَالِثُ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ، نَصَبُوا الْمَجَانِيقَ عَلَى الْكُعْبَةِ، وَرَمَوْهَا حَتَّى بِالنَّارِ، فَاحْتَرَقَ جِدَارُ الْبَيْتِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ هَكَذَا قَالَ الْوَاقِدِيُّ.

وَاسْتَمَرَّ الْحِصَارُ إِلَى مُسْتَهْلِ رَبِيعِ الْآخِرِ، وَجَاءَ النَّاسَ نَعْيُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَأَنَّهُ قَدْ مَاتَ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ، فَحِينَئِذٍ خَمَدَتِ الْحَرْبُ وَطَفِئَتْ نَارُ الْفِتْنَةِ. (٣)

(١) ثنية هرشى : قال في معجم البلدان : هرشى بالفتح ثم السكون وشين معجمة وألف مقصورة في طريق مكة قرية من الجحفة ويرى منها البحر .

(٢) المشلل ، آخر حرة القديدية من جهة البحر في طرف وادي قديد الشمالي كان عليها صنم مناة .

(٣) البداية والنهاية ٦٣٥/١١

وَذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ ^(١) أَنَّ حُصَيْنًا وَابْنَ الزُّبَيْرِ اتَّعَدَا لَيْلَةً أَنْ يَجْتَمِعَا، فَاجْتَمَعَا بِظَاهِرِ مَكَّةَ، فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: إِنْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ هَلَكَ فَأَنْتَ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ بَعْدَهُ، فَهَلُمَّ فَارْحَلْ مَعِيَ إِلَى الشَّامِ، فَوَاللَّهِ لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ اثْنَانِ. فَيُقَالُ: إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ لَمْ يَتَّقِ مِنْهُ بِذَلِكَ، وَأَعْلَظَ لَهُ فِي الْمَقَالِ، فَتَفَرَّ مِنْهُ ابْنُ مُثَرِّ، ثُمَّ كَرَّ بِالْجَيْشِ رَاجِعًا إِلَى الشَّامِ، وَارْتَحَلَتْ بَنُو أُمَيَّةَ مَعَ الْجَيْشِ إِلَى الشَّامِ.

ولما انصرف أهل الشام عن مكة أمن الناس ودعا ابن الزبير من يومه ذلك إلى نفسه، وسمي أمير المؤمنين، وترك الشعار الذي كان يدعى به عائذ البيت . وفارقه الخوارج، وبايعه أهل مكة في رجب من هذه السنة (٦٤هـ)

مقاتلة ابن الزبير

جَعَلَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ الْوَالِي الْأُمَوِي عَلَى الْمَدِينَةِ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ لِحَرْبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي "الصَّحِيحَيْنِ" ^(٢) أَنَّ أَبَا شُرَيْحٍ الْخَزَاعِيَّ قَالَ لِعَمْرُو بْنِ سَعِيدٍ، وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ: ائْذَنْ لِي أَتِيهَا الْأَمِيرُ أَنْ أُحَدِّثَكَ حَدِيثًا قَامَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَدَمُ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ، سَمِعْتُهُ أُذْنًا يَ وَوَعَاهُ قَلْبِي وَأَبْصَرْتُهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ؛ إِنَّهُ حَمَدَ اللَّهَ وَاتَّقَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "«إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهَا لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ قَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»". وَفِي رِوَايَةٍ: "«فَإِنْ أَحَدٌ تَرَحَّصَ بِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا فَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ، وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ»". فَقِيلَ لِأَبِي شُرَيْحٍ: مَا قَالَ لَكَ؟ فَقَالَ: قَالَ لِي: نَحْنُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْكَ يَا أَبَا شُرَيْحٍ، إِنَّ الْحَرَمَ لَا يُعِيدُ عَاصِيًا وَلَا فَارًّا بِدَمٍ، وَلَا فَارًّا بِخَرَبَةٍ.

(١) تاريخ الرسل والأمم ٥٠١/٥

(٢) البخاري رقم (١٠٤) ومسلم (١٣٥٤).

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَلَى عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ شُرْطَةُ الْمَدِينَةِ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ؛ فَتَتَبَعَ أَصْحَابَ أَخِيهِ وَمَنْ يَهْوَى هَوَاهُ، فَضَرَبَهُمْ ضَرْبًا شَدِيدًا، حَتَّى ضَرَبَ مِنْ جُمْلَةٍ مَنْ ضَرَبَ أَخَاهُ الْمُنْدِرَ بْنَ الزُّبَيْرِ وَجَمَاعَةً مِنَ الْأَعْيَانِ ثُمَّ جَاءَ الْعَزْمُ مِنْ يَزِيدَ إِلَى عَمْرُو بْنِ سَعِيدٍ فِي تَطَلُّبِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنْهُ وَإِنْ بَايَعَ، حَتَّى يُؤْتَى بِهِ إِلَيَّ فِي جَامِعَةٍ (١)، وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ قَدْ مَنَعَ الْحَارِثَ بْنَ خَالِدٍ الْمَخْزُومِيَّ نَائِبَ وَالِي مَكَّةَ مِنْ أَنْ يُصَلِّيَ بِأَهْلِ مَكَّةَ، فَحِينَئِذٍ صَمَّمَ عَمْرُو عَلَى تَجْهِيزِ سَرِيَّةٍ إِلَى مَكَّةَ لِقَاتِلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، بِقِيَادَةِ عَمْرُو بْنِ الزُّبَيْرِ وَجَعَلَ عَلَى مَقْدُمَتِهِ أُنَيْسَ بْنَ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيَّ فِي سَبْعِمِائَةِ مُقَاتِلٍ. فَعَسَكَرَ أُنَيْسٌ بِالْجُرْفِ، وَأَشَارَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ عَلَى عَمْرُو بْنِ سَعِيدٍ أَنْ لَا يَعْزُو مَكَّةَ، وَأَنْ يَتْرَكَ ابْنَ الزُّبَيْرِ بِهَا، فَإِنَّهُ عَمَّا قَلِيلٍ إِنْ لَمْ يُقْتَلَ يَمُتْ، فَقَالَ أَخُوهُ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ وَاللَّهِ لَنَعْزُوَنَّهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ.

فَسَارَ أُنَيْسٌ وَاتَّبَعَهُ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ فِي بَقِيَّةِ الْجَيْشِ، وَكَانُوا أَلْفَيْنِ، حَتَّى نَزَلَ بِالْأَبْطَحِ، وَنَزَلَ أُنَيْسٌ بِذِي طَوًى، فَكَانَ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَيُصَلِّي وَرَاءَهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَأَرْسَلَ عَمْرُو إِلَى أَخِيهِ يَقُولُ لَهُ: بَرِّ يَمِينَ الْخُلَيْفَةِ، وَأَنَّهُ وَفِي عُنُقِكَ جَامِعَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، وَلَا تَدَعِ النَّاسَ يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَاتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّكَ فِي بَلَدٍ حَرَامٍ، فَأَبَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ذَلِكَ، وَقَالَ: مَا عِنْدِي خِلَافٌ وَهَا أَنَا أَصْلِي خَلْفَكَ، فَلَمْ يَسْتَجِبْ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ وَأَهْلُ الشَّامِ، فَأَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ لِعَمْرُو: مَوْعِدُكَ الْمَسْجِدُ. وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ فِي سَرِيَّةٍ، فَاقْتَتَلُوا مَعَ أُنَيْسَ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ، فَهَزَمُوا أُنَيْسًا هَزِيمَةً قَبِيحَةً، وَتَفَرَّقَ عَنْ عَمْرُو بْنِ الزُّبَيْرِ أَصْحَابُهُ، وَهَرَبَ عَمْرُو إِلَى دَارِ ابْنِ عُلْفَمَةَ، فَأَجَارَهُ أَخُوهُ عُبَيْدَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، فَلَامَهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَقَالَ: بُحَيْرُ مَنْ فِي عُنُقِهِ حُقُوقُ النَّاسِ! ثُمَّ ضَرَبَهُ بِكُلِّ مَنْ ضَرَبَهُ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا الْمُنْدِرَ بْنَ الزُّبَيْرِ وَابْنَهُ؛ فَإِنَّهُمَا أَبَيَا أَنْ يَسْتَقِيدَا مِنْ عَمْرٍو، وَسَجَنَهُ فِي سِجْنٍ عَارِمٍ.

(١) الجامعة: الغل الذي يجمع فيه اليدان إلى بعض وترتبط بالعنق.

الفصل الثالث

الفتوحات وولاية البلدان والحج

الفتوحات

غزو بلاد الترك

في سنة (٦١هـ) ولي يزيد بن معاوية سلم بن زياد سجستان وخراسان حين وفد عليه،
ولاه من العمر أربعة وعشرون سنة، وعزل عنها أخويه عبّاداً وعبد الرحمن، وسار سلم إلى
عمله، فجعل ينتخب الوجوه والفرسان، ويخرض الناس على الجهاد، ثم خرج في جحفل
عظيم ليغزو بلاد الترك ومعه امرأته أم محمد بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاص، فكانت
أول امرأة من العرب قطع بها النهر، وولدت هناك ولداً أسموه صغدياً، وبعتت إليها امرأة
صاحب الصغد بتاجها من ذهب ولآلئ، وكان المسلمون قبل ذلك لا يشتون في تلك
البلاد، فشئت بها سلم بن زياد.

غزو خوارزم

وبعت سلم بن زياد المهلب بن أبي صفرة إلى مدينة الترك، وهي خوارزم، فحاصروهم
حتى صالحوه على نيف وعشرين ألف ألف، وكان يأخذ منهم غرضاً عوضاً، فيأخذ الشيء
بنصف قيمته، فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف، فحظي بذلك المهلب عند
سلم بن زياد ثم بعث من ذلك ما اصطفاه ليزيد بن معاوية مع مرزبان، ومعه وفد، وصالح
سلم أهل سمرقند في هذه الغزوة على مال جزيل.

ولايته على البلدان

ولاية الحجاز:

فِي سَنَةِ (٦٠هـ) فِي رَمَضَانَ ، عَزَلَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ عَنْ إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ ،
وَأَضَافَهَا إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَالِي مَكَّةَ ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي رَمَضَانَ .
وَفِي سَنَةِ (٦١هـ) عَزَلَ يَزِيدُ عَنْ إِمْرَةِ الْحَرَمَيْنِ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ ، وَأَعَادَ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ
أَبِي سُفْيَانَ ، فَوَلَّاهُ الْمَدِينَةَ .
وَلَمْ يَذْكُرْ ابْنُ كَثِيرٍ تَغْيِيرًا فِي عَهْدِ يَزِيدٍ لِلْوَلَاةِ فِي بَقِيَّةِ الْبُلْدَانِ .

ولاية الحج

حَجَّ بِالنَّاسِ سَنَةَ ٦٠هـ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ حَيْثُ وَلَاهُ يَزِيدُ مَكَّةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ .
قَالَ أَبُو مَعْشَرَ: لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ السِّيَرِ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ حَجَّ بِالنَّاسِ فِي سَنَةِ ٦١هـ
وَهُوَ أَمِيرُ الْحَرَمَيْنِ ، وَحَجَّ بِالنَّاسِ أَيْضًا سَنَةَ ٦٢هـ .
قَالَ الْوَاقِدِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ ابْنِ عَوْفٍ قَالَ: وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سَنَةِ (٦٣هـ)
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ الْعَائِدَ ، وَيَرْوُونَ الْأَمْرَ شُورَى . وَكَذَلِكَ سَنَةَ ٦٤هـ
قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ : حَجَّ بِالنَّاسِ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِينَ
وَثَلَاثَ وَخَمْسِينَ فِي خِلَافَةِ وَالِدِهِ .

مشاهير من توفي في خلافته

- ١- الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وقد مضت أخباره وترجمته .
- ٢- جابر بن عتيك بن قيس، أبو عبد الله الأنصاري شهد بدرًا وما بعدها، وكان حامل راية بني معاوية يوم الفتح.
- ٣- حمزة بن عمرو الأسلمي صحابي جليل القدر، ثبت في " الصحيحين " عن عائشة، أنها قالت: «سأل حمزة بن عمرو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني كثير الصيام، أفأصوم في السفر؟ فقال له " إن شئت فصم، وإن شئت فأفطر » . قال الواقدي: وهو الذي بشر كعب بن مالك بتوبة الله عليه، فأعطاه ثوبيه.
- ٤- شيبه بن عثمان بن أبي طلحة العبدري الحنفي صاحب مفتاح الكعبة، وأظهر شيبه الإسلام يوم الفتح، وشهد حنينًا وفي قلبه شيء من الشك، وقد هم بالفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأطلع الله على ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم، فأخبره بما هم به، فأسلم باطنًا، وجاد إسلامه، وقاتل يومئذ وصبر فيمن صبر. ولي الحجابة بعد عثمان بن طلحة، واستقرت الحجابة في بنيه وبنينهم، وإليه ينسب بنو شيبه، وهم حجة الكعبة.
- ٥- أم سلمة أم المؤمنين هند بنت أبي أمية حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، كانت أولًا تحت ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد، فمات عنها، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخل بها في شوال سنة ثنتين بعد وقعة بدر. وكانت من حسان النساء وعابداتهن، وتوفيت في سنة (٦١هـ).
- ٦- بُريدة بن الحصيب الأسلمي، كان إسلامه حين اجتاز به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر إلى المدينة، وقد تلقاه بُريدة في ثمانين نفسًا من أهله، فأسلموا، وصلى بهم صلاة العشاء، وعلمه ليلتين صَدْرًا من سورة " مريم "، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة بعد أحد، فشهد بقیة المشاهد كلها، ثم خرج إلى غزو خراسان، فمات بمرو في خلافة يزيد بن معاوية.

- ٧- الرِّبِيعُ بْنُ حُثَيْمٍ أَبُو يَزِيدَ الثَّوْرِيُّ الْكُوفِيُّ، أَحَدُ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ. قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: مَا رَأَيْتُكَ إِلَّا ذَكَرْتَ الْمُحِبِّينَ، وَلَوْ رَأَيْتُكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَحَبَّكَ.
- ٨- عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ أَبُو شَبْلٍ النَّخَعِيُّ الْكُوفِيُّ كَانَ مِنْ أَكْبَارِ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَعُلَمَائِهِمْ، وَكَانَ يُشَبَّهُ بِابْنِ مَسْعُودٍ. وَقَدْ رَوَى عَلْقَمَةُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَعَنْهُ خَلْقٌ مِنَ التَّابِعِينَ.
- ٩- عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ الْفَهْرِيُّ بَعَثَهُ مُعَاوِيَةُ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ، فَافْتَتَحَهَا، وَاحْتَطَّ الْقَيْرَوَانَ، وَكَانَ مَوْضِعُهَا غَيْضَةً لَا تُرَامُ؛ مِنَ السِّبَاعِ وَالْحَيَاتِ وَالْحَشَرَاتِ، فَدَعَا اللَّهُ تَعَالَى، فَجَعَلَ يَخْرُجْنَ بِأَوْلَادِهِنَّ مِنَ الْأَوْكَارِ وَالْجِحَارِ، فَبَنَاهَا، قَتَلَ شَهِيدًا عليه السلام.
- ١٠- عُمَرُو بْنُ حَزْمٍ صَحَابِيُّ جَلِيلٌ، اسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَجْرَانَ وَعُمُرُهُ سَبْعَ عَشْرَةِ سَنَةً، وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً، وَأَذَرَكَ أَيَّامَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ.
- ١١- مَسْلَمَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ الزُّرْقِيُّ وُلِدَ عَامَ الْهِجْرَةِ، وَسَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ، وَوَلِيَ الْجُنْدَ بِهَا لِمُعَاوِيَةَ وَيَزِيدَ، وَمَاتَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ٦٢ هـ.
- ١٢- تَوْفَلُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الدَّبَلِيُّ صَحَابِيُّ جَلِيلٌ، شَهِدَ بَدْرًا وَأُحُدًا وَالْخُنْدَقَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَتْ لَهُ فِي الْمُسْلِمِينَ نِكَايَةٌ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَشَهِدَ فَتْحَ مَكَّةَ وَحُنَيْنًا، وَحَجَّ مَعَ أَبِي بَكْرٍ سَنَةَ تِسْعٍ، وَشَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ، وَعُمَرَ سِتِينَ سَنَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمِثْلَهَا فِي الْإِسْلَامِ. قَالَهُ الْوَاقِدِيُّ.

إِمَارَةُ مُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ (١)

هو أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَيُقَالُ: أَبُو لَيْلَى الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ. وَأُمُّهُ أُمُّ هَاشِمٍ بِنْتُ أَبِي هَاشِمٍ بْنِ عُبَيْدَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، بُويعَ لَهُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ، وَكَانَ وَلِيَّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ فِي رَابِعِ عَشَرَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا نَاسِكًا، وَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ. قِيلَ: إِنَّهُ مَكَثَ فِي الْمُلْكِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا. وَكَانَ فِي مُدَّةِ وَلَايَتِهِ مَرِيضًا، لَمْ يَخْرُجْ إِلَى النَّاسِ، وَكَانَ الصَّحَّاحُ بْنُ قَيْسٍ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَيَسُدُّ الْأُمُورَ.

وَمَاتَ مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ هَذَا عَنْ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً وَقِيلَ: ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا. وَصَلَّى عَلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ فَإِنَّهُ أَوْصَى إِلَيْهِ بِذَلِكَ، وَشَهِدَ دَفْنَهُ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ، وَكَانَ الصَّحَّاحُ بْنُ قَيْسٍ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي بِالنَّاسِ بَعْدَهُ حَتَّى اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لِمَرْوَانَ بِالشَّامِ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ بَابِ الصَّغِيرِ بِدِمَشْقَ. وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قِيلَ لَهُ: أَلَا تُوصِي؟ فَقَالَ: لَا أَنْزُوذُ مَرَارَتَهَا وَأَتْرُكُ حَلَاوَتَهَا لِبَنِي أُمَيَّةَ. وَتَرَكَ الْأَمْرَ شُورَى،

وقال ابن حزم : لاعقب لمعاوية بن يزيد (٢)

وكان رحمه الله أبيض شديد البياض، كثير الشعر، كبير العينين، أقى الأنف، جميل الوجه، حسن الجسم،

قال أبو زرعة الدمشقي (٣): معاوية وعبدالرحمن وخالد أخوة أشقاء، وكانوا من صالحى القوم.

(١) من مصادر ترجمته، المعارف لابن قتيبة ص ٣٥٢، تاريخ دمشق ٣٩٥/١٦، تاريخ الإسلام ٨٣/٣، سير أعلام

النبلاء ١٣٩/٤، والعبر ٦٩/١، والبداية والنهاية ٦٦٢/١١.

(٢) جمهرة أنساب العرب ص ١١٢.

(٣) تاريخ أبي زرعة ٣٥٨/١

إِمَارَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٧٣-٦٤

الفصل الأول

ترجمته وخلافته

ترجمته ﷺ (١)

نسبه :

هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ بْنِ حُوَيْلِدٍ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزَّى بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ، أَبُو بَكْرٍ، وَيُقَالُ لَهُ: أَبُو حُبَيْبٍ، الْقُرَشِيُّ الْأَسَدِيُّ، أَوَّلُ مَوْلُودٍ وُلِدَ بَعْدَ الْهَجْرَةِ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، ذَاتُ الْيَطَاقَيْنِ، هَاجَرَتْ وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ فَوَلَدَتْهُ بِقُبَاءٍ أَوَّلَ مَقْدِمِهِمُ الْمَدِينَةَ. (٢)

أسرته :

وَكَانَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ: حُبَيْبٌ وَحَمْرَةُ وَعَبَّادٌ وَثَابِتٌ، وَأُمُّهُمْ تَمَاضِرُ بِنْتُ مَنْظُورٍ الْفَزَارِيُّ، وَهَاشِمٌ وَقَيْسٌ وَعُرْوَةُ - قُتِلَ مَعَ أَبِيهِ - وَالزُّبَيْرُ، وَأُمُّهُمْ أُمُّ هَاشِمٍ رُحْلَةُ بِنْتُ مَنْظُورٍ، أُخْتُ تَمَاضِرَ. وَعَامِرٌ وَمُوسَى وَأُمُّ حَكِيمٍ وَفَاطِمَةُ وَفَاحِشَةُ، وَأُمُّهُمْ حَنْتَمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، وَبَكْرٌ وَرُقَيْيَةُ، وَأُمُّهُمَا عَائِشَةُ بِنْتُ عُثْمَانَ بْنِ عَقَّانَ، وَعَبْدُ اللَّهِ وَمُصْعَبٌ مِنْ أُمَّ وَلَدٍ، وَأَبَابَكْرٍ، وَأُمُّهُ رِبْطَةُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمَغِيرَةِ. (٣)

صفاته :

وَكَانَ آدَمَ نَحِيفًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ، وَكَانَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَثَرُ السُّجُودِ، كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، مُجْتَهِدًا، شَهْمًا، فَصِيحًا، صَوَامًا قَوَامًا، شَدِيدَ الْبَاسِ، ذَا أَنْفَةٍ، لَهُ نَفْسٌ شَرِيفَةٌ وَهَمَّةٌ عَالِيَةٌ، وَكَانَ خَفِيفَ اللَّحْيَةِ، لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مِنَ الشَّعْرِ إِلَّا قَلِيلًا، وَكَانَتْ لَهُ جُمَّةٌ، وَكَانَ لَهُ لَحْيَةٌ صَفْرَاءُ. قَالَ مُصْعَبُ الزُّبَيْرِيُّ: كَانَ عَارِضًا عَبْدُ اللَّهِ خَفِيفَيْنِ، وَمَا اتَّصَلَتْ لَحْيَتُهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً.

(١) من مصادر ترجمته: الطبقات الكبرى (الطبعة الخامسة ٣٠/٢)، الاستيعاب ٩٠٥/٣، أسد الغابة ٢٤٢/٣، سير

أعلام النبلاء ٣٦٣/٣، تاريخ الإسلام ١٦٧/٣ والعقد الثمين للفاسي ١٤١/٥ وغيرها .

(٢) انظر نسب قريش للزبيري ٢٣٧.

(٣) انظر عن أولاده نسب قريش (٢٤٠-٢٤٣) والطبعة الخامسة من الصحابة ٣٠/٢-٣١.

فضائله :

ثَبَّتَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ، (١) عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَسْمَاءَ، أَنَّهَا حَرَجَتْ بِعَبْدِ اللَّهِ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرَةً وَهِيَ حُبْلَى بِهِ، فَوَلَدَتْهُ بِقُبَاءٍ أَوَّلَ مَقْدِمِهِمُ الْمَدِينَةَ، فَأَتَتْ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَنَكَهُ، (٢) وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَدَعَا لَهُ، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَتْ الْيَهُودُ قَدْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ قَدْ سَحَرُوا الْمُهَاجِرِينَ ؛ فَلَا يُوَلَّدُ لَهُمْ فِي الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا وُلِدَ ابْنُ الزُّبَيْرِ كَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ، وَقَدْ سَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ جَيْشَ الشَّامِ حِينَ كَبَّرُوا عِنْدَ قَتْلِهِ، فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لِلَّذِينَ كَبَّرُوا عِنْدَ مَوْلِدِهِ خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَبَّرُوا عِنْدَ قَتْلِهِ. وَأَذَّنَ الصَّدِيقُ فِي أُذُنَيْهِ حِينَ وُلِدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَهُوَ صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَادِيثَ، وَرَوَى عَنْ أَبِيهِ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَغَيْرِهِمْ، وَعَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ، وَشَهِدَ الْجَمَلَ مَعَ أَبِيهِ وَهُوَ صَغِيرٌ، وَحَضَرَ خُطْبَةَ عُمَرَ بِالْجَانِبِيَّةِ، وَرَوَاهَا عَنْهُ بِطُولِهَا، وَقِيلَ أَسْنَدُ ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (٣) وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ أَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ شَرِبَ مِنْ دَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اخْتَجَمَ فِي طَسْتٍ، فَأَعْطَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ لِيُرِيقَهُ فَشَرِبَهُ، فَقَالَ لَهُ: «لَا تَمْسُكِ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ، وَوَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ، وَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ» (٤) وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، اذْهَبْ بِهَذَا الدَّمِ فَأَهْرِقْهُ حَيْثُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ فَلَمَّا بَعُدَ عَمَدَ إِلَى ذَلِكَ الدَّمِ فَشَرِبَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ: مَا صَنَعْتَ بِالدَّمِ؟ قَالَ: عَمَدْتُ إِلَى أَحَقَى مَوْضِعٍ عَلِمْتُ فَجَعَلْتُهُ فِيهِ. قَالَ: فَلَعَلَّكَ شَرِبْتَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: لَا تَمْسُكِ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ، وَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ، وَوَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ» (٥) فَكَانَتْ تِلْكَ الْقُوَّةُ الَّتِي بِهِ مِنْ ذَلِكَ الدَّمِ.

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ٤٥ (ح ٣٦١٩) وأحمد في المسند ٣٤٧/٦.

(٢) تحنيك الصبي : هو مضغ الشيء ووضعه في فم الصبي وذلك حنكه به وأولاه التمر والرطب أو العسل .

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣/٣٦٣.

(٤) المستدرک ٣/٥٥٤ تاريخ دمشق ١٦٢/٢٨، الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٧٠.

(٥) تاريخ دمشق ١٦٣/٢٨.

عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ قَالَ: كُنْتُ أَمْرُ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ يُصَلِّي حَلْفَ الْمَقَامِ كَأَنَّهُ حَشْبَةٌ مَنْصُوبَةٌ لَا يَتَحَرَّكُ. (١)

عَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ: كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا سَجَدَ وَقَعَتِ الْعَصَافِيرُ عَلَى ظَهْرِهِ، تَصْعَدُ وَتَنْزِلُ لَا تَرَاهُ إِلَّا جَذَمَ حَائِطٍ. (٢)

وَقَالَ أَحْمَدُ: (٣) تَعَلَّمَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ الصَّلَاةَ مِنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، وَابْنُ جُرَيْجٍ مِنْ عَطَاءٍ، وَعَطَاءٌ مِنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ مِنَ الصَّدِيقِ، وَالصَّدِيقُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ: (٤) كَانَ قَارِئًا لِكِتَابِ اللَّهِ، مُتَّبِعًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، قَانِتًا لِلَّهِ، صَائِمًا فِي الْهَوَاجِرِ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ، ابْنُ حَوَارِيِّ رَسُولِ اللَّهِ، وَأُمُّهُ بِنْتُ الصَّدِيقِ، وَحَالَتُهُ عَائِشَةُ حَبِيبَةُ اللَّهِ، زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ، فَلَا يَجْهَلُ حَقَّهُ إِلَّا مَنْ أَعْمَاهُ اللَّهُ.

وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ الْحِزَامِيُّ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَمَنْ لَا أَحْصِي كَثْرَةً مِنْ أَصْحَابِنَا، أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ كَانَ يُوَاصِلُ الصَّوْمَ سَبْعًا ؛ يَصُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَا يُفْطِرُ إِلَّا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، وَيَصُومُ بِالْمَدِينَةِ وَلَا يُفْطِرُ إِلَّا فِي مَكَّةَ، وَيَصُومُ بِمَكَّةَ فَلَا يُفْطِرُ إِلَّا فِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَ إِذَا أَفْطَرَ أَوَّلَ مَا يُفْطِرُ عَلَى لَبَنِ لُحْحَةٍ، وَسَمْنٍ، وَصَبْرٍ. (٥)

وَلَقَدْ جَاءَ سَيْلٌ مَرَّةً فَطَبَّقَ الْبَيْتَ، فَجَعَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَطُوفُ سِبَاحَةً (٦). وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لَا يُنَازِعُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْعِبَادَةِ، وَالشَّجَاعَةِ، وَالْفَصَاحَةِ، (٧) وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ عُثْمَانَ جَعَلَهُ فِي النَّفَرِ الَّذِينَ نَسَحُوا الْمَصَاحِفَ مَعَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ. (٨)

(١) سير أعلام النبلاء ٣/٣٦٩

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ دمشق ١١/٦٣٦ من طريق عبد الرزاق به.

(٤) صحيح البخاري بمعناه موقوفا على ابن عباس (٤٦٦٤-٤٦٦٦).

(٥) تاريخ دمشق ٢٨/١٧٥

(٦) المصدر السابق ٢٨/١٧٨

(٧) سير أعلام النبلاء ٣/٣٧٠

(٨) المصدر السابق .

(٥) هكذا في الصحيح والمراد العقبة التي في جهة المدينة (الحجون)

شَرُّهَا لِأُمَّهُ حَيْرٌ. ثُمَّ نَفَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، فَبَلَغَ الْحَجَّاجُ وَفُوفُ ابْنِ عُمَرَ عَلَيْهِ وَقَوْلُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَأُنْزِلَ عَنْ جِذْعِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ، فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولُ: لِتَأْتِيَنِي أَوْ لَا بُعَثَ إِلَيْكَ مَنْ يَسْحَبُكَ بِقُرُونِكَ. فَأَبَتْ، وَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا آتِيَهُ حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي. قَالَ: فَقَالَ الْحَجَّاجُ: أَرُونِي سَبْتِي. فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَدَّفُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتَنِي صَنَعْتُ بِعَدُوِّ اللَّهِ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ، بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ: يَا بَنَ ذَاتِ النَّطَاقِينَ، أَنَا وَاللَّهُ ذَاتِ النَّطَاقِينَ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّذِي لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ، أَمَّا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ حَدَّثَنَا أَنَّ فِي تَقْيِيفِ كَذَابًا وَمُبِيرًا، فَأَمَّا الْكَذَابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالَكَ إِلَّا إِيَّاهُ. قَالَ: فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا.

بيعته بالخلافة :

بيعته :

لَمَّا مَاتَ يَزِيدُ بن معاوية أَقْلَعَ الْجَيْشُ الْأُمَوِي الَّذِينَ كَانُوا يُحَاصِرُونَ ابْنَ الزُّبَيْرِ عَنْ مَكَّةَ وَهُوَ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ، وَرَجَعُوا مَعَ أَمِيرِهِمْ حُصَيْنِ بْنِ مُخَيَّرِ السَّكُونِيِّ إِلَى الشَّامِ وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِالْحِجَازِ وَمَا وَالَاهَا، وَبَايَعَهُ النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِ يَزِيدَ بَيْعَةً عَامَةً هُنَاكَ، ثُمَّ انْتَشَرَتْ بَيْعَتُهُ فِي الْعِرَاقِ وَمِصْرَ وَغَيْرِهَا .

وَاسْتَنَابَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَخَاهُ عُبَيْدَةَ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَأَمَرَهُ بِإِجْلَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ عَنِ الْمَدِينَةِ، فَأَجْلَاهُمْ فَرَحَلُوا إِلَى الشَّامِ، وَفِيهِمْ مَرْوَانُ وَابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ.

ثُمَّ بَعَثَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ بَعْدَ خُرُوبِ جَرْتِ بَيْنَهُمْ وَفِتْنِ كَثِيرَةٍ يَطُولُ اسْتِفْصَاؤُهَا، يَجْلِبُونَهُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، فَكَتَبَ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ لِيُصَلِّيَ بِهِمْ.

وَبَعَثَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ عَلَى الْخُرَاجِ، وَاسْتَوْسَقَ لَهُ الْمِصْرَانِ جَمِيعًا، وَأَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ مِصْرَ فَبَايَعُوهُ. وَاسْتَنَابَ عَلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَحْدَمٍ، وَأَطَاعَتْ لَهُ الْجَزِيرَةُ الْفَرَاتِيَّةُ.

وَبَعَثَ إِلَى الْيَمَنِ فَبَايَعُوهُ، وَإِلَى خُرَاسَانَ فَبَايَعُوهُ، وَإِلَى الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ بِالشَّامِ فَبَايَعَهُ، وَلَمْ يَبَايِعْ أَهْلُ دِمَشْقَ وَأَعْمَالَهَا مِنْ بِلَادِ الْأُرْدُنِّ ؛ فَقَدْ بَايَعُوا مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ لَمَّا رَجَعَ الْخُصَيْنُ بْنُ مُخَيَّرٍ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ.

وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ بُويعَ بِالْخِلَافَةِ عِنْدَ مَوْتِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَبَايَعَتْهُ الْأُمُصَارُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْحِجَازَ وَالْيَمْنَ وَالْعِرَاقَ وَمِصْرَ وَخُرَاسَانَ وَسَائِرَ بِلَادِ الشَّامِ إِلَّا دِمَشْقَ، وَتَمَّتِ الْبَيْعَةُ لَهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ، وَكَانَ النَّاسُ بِخَيْرٍ فِي زَمَانِهِ.

وَكَانَتْ وَلَايَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ مِنْ سَنَةِ (٦٤هـ) حَتَّى قَتَلَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ١٧/جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ٧٣هـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أَرَبَانَ الْوَرَّاقُ، ثَنَا يَعْقُوبُ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي الْمُغِيرَةِ، عَنْ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ حِينَ حُصِرَ: إِنَّ عِنْدِي نَجَائِبَ قَدْ أَعَدَدْتُهَا لَكَ، فَهَلْ لَكَ أَنْ نَحْوَلَ إِلَى مَكَّةَ، فَيَأْتِيكَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيكَ؟ قَالَ: لَا،

إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يُلْحَدُ بِمَكَّةَ كَبْشٌ مِنْ قُرَيْشٍ اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ، عَلَيْهِ مِثْلُ أَوْزَارِ النَّاسِ» وَهَذَا الْحَدِيثُ مُنْكَرٌ جَدًّا، وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ، وَيَعْقُوبُ هَذَا هُوَ الْقُمَيْيُّ، وَفِيهِ تَشْيِيعٌ وَضَعْفٌ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يُقْبَلُ تَفَرُّدُهُ بِهِ، وَبِتَقْدِيرِ صِحَّتِهِ فَلَيْسَ هُوَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَإِنَّهُ كَانَ عَلَى صِفَاتٍ حَمِيدَةٍ، وَقِيَامُهُ فِي الْإِمَارَةِ إِنَّمَا كَانَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ هُوَ كَانَ لَهُ الْأَمْرُ بَعْدَ مَوْتِ مُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ لَا مَحَالَةَ، وَهُوَ أَرْشَدُ مِنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، حَيْثُ نَارَعَهُ بَعْدَ أَنْ اجْتَمَعَتِ الْكَلِمَةُ عَلَيْهِ، وَقَامَتِ الْبَيْعَةُ لَهُ فِي الْأَفَاقِ، وَانْتَظَمَ لَهُ الْأَمْرُ .

تعليق :

لأنه قد اجتمع عليه الناس، ماعدا طائفة يسيرة من أهل الشام، وبويع لمروان في الشام بعد عقد البيعة لابن الزبير، وكان مروان قد عزم على المبايعة لابن الزبير، ولكن صده عن ذلك بعض أنصار بني أمية .

قال ابن حزم في جوامع السيرة (ص ٣٥٩): عبدالله ابن الزبير هو أمير المؤمنين في هذا الحين ونقل ابن عبد البر في ترجمة مروان في كتاب الاستيعاب (ص ٩١٠) عن الإمام مالك أنه قال: ابن الزبير كان أفضل من مروان، وكان أولى بالأمر من مروان ومن ابنه عبد الملك . وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٦ / ٩٩): ومذهب أهل الحق أن ابن الزبير كان مظلوما وأن الحجاج ورفقته كانوا خارجين عليه .

كما نقل السيوطي في تاريخ الخلفاء (ص ٢١٢) عن الذهبي أنه قال : إن مروان لا يعد في أمراء المؤمنين، بل هو باغ خارج على ابن الزبير ، ولا عهده لابنه بصحيح ، وإنما صحت خلافة عبد الملك من حين قتل ابن الزبير سنة (٧٣هـ). قال السيوطي وهو الأصح .

ولما وقع النزاع بينه وبين عبد الملك بن مروان امتنع بعض الصحابة والتابعين من البيعة له ، أو لعبد الملك ورأوا ألا يبايعوا حتى تجتمع الأمة على واحد، ومن أبرزهم عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، ومُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ. (١)

(١) انظر لتفصيل مواقفهم : عبدالله الخراشي، عبدالله بن الزبير والأمويون (١١٩-١٣٢) رسالة ماجستير جامعة الملك سعود .



الفصل الثاني

الأحداث في عهده

معارضة مروان بن الحكم وبيعته بالشام

وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ حُصَيْنَ بْنَ ثُمَيْرٍ لَمَّا رَجَعَ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، وَارْتَحَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الشَّامِ، وَانْتَقَلَتْ بَنُو أُمَيَّةَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الشَّامِ، اجْتَمَعُوا إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بَعْدَ مَوْتِ مُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَقَدْ كَانَ عَزَمَ عَلَى أَنْ يُبَايَعَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ بِدِمَشْقَ، وَقَدْ بَايَعَ أَهْلُهَا الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ عَلَى أَنْ يُصْلِحَ بَيْنَهُمْ وَيُقِيمَ لَهُمْ أَمْرَهُمْ حَتَّى يَجْتَمِعَ أُمُّهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَلَمَّا يَزَلُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ وَالْحُصَيْنُ بْنُ ثُمَيْرٍ بِمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، حَتَّى ثَنَوْهُ عَنْ رَأْيِهِ، وَحَذَرُوهُ مِنْ دُخُولِ سُلْطَانِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَمُلْكِهِ إِلَى الشَّامِ وَقَالُوا لَهُ: أَنْتَ شَيْخٌ قُرَيْشٍ وَسَيِّدُهَا، فَأَنْتَ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ، فَرَجَعَ مَرْوَانَ عَنِ الْبَيْعَةِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ، وَالتَفَّ عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مَعَ قَوْمِهِ بَنِي أُمَيَّةَ وَمَعَ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَوَافَقَهُمْ، وَجَعَلَ يَقُولُ: مَا فَاتَ شَيْءٌ.

معركة مرج راهط

كَانَتِ الْقَبَائِلُ الْقَيْسِيَّةُ قَدْ اتَّفَقَتْ مَعَ الضَّحَّاكَ عَلَى إِعْلَانِ الْبَيْعَةِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ، فَأَقَامَ بِدِمَشْقَ وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْجَيْشِ مِنْ قَيْسٍ وَمَنْ لَفَّ لَفِيفَهَا، وَبَعَثَ إِلَى أَمْرَاءِ الْأَجْنَادِ، وَبَايَعَ النَّاسُ لِابْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَتَبَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ، فَذَكَرَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ لِأَهْلِ مَكَّةَ وَشَكَرَهُ عَلَى صَنِيعِهِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِنِيَابَةِ الشَّامِ.

وَقَدْ بُويعَ لِمَرْوَانَ بِالْجَابِيَةِ^(١) فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ لِثَلَاثِ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ، سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ، وَمِنْ بَعْدِهِ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ.

فَلَمَّا تَمَهَّدَ لِمَرْوَانَ الْأَمْرُ سَارَ بِمَنْ مَعَهُ نَحْوَ الضَّحَّاكَ بْنِ قَيْسٍ، فَالْتَقَى بِمَرْجٍ رَاهِطٍ، فَغَلَبَهُ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ، وَقَتَلَهُ وَقَتَلَ مِنْ قَيْسٍ مَقْتَلَةً لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا^(٢).

وَقَالَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ: وَكَانَتْ وَقَعَةُ مَرْجٍ رَاهِطٍ فِي ذِي الْحِجَّةِ، مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بَعْدَ عِيدِ النَّحْرِ يَوْمَيْنِ^(٣).

(١) هذه وقعت بعد البيعة لعبدالله بن الزبير .

(٢) انظر التفصيل في البداية والنهاية ٦٧٦/١١ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق ٧١٢ / ١١

وَرُوي أَنَّهُ بَكَى عَلَى نَفْسِهِ يَوْمَ مَرَجٍ رَاهِطٍ، فَقَالَ:
أَبْعَدَ مَا كَبُرْتُ وَضَعُفْتُ صِرْتُ إِلَى أَنْ أَقْتُلَ النَّاسَ بِالسُّيُوفِ عَلَى الْمُلْكِ؟ ! .

استقلال مروان بالشام ومصر

وَبَعْدَ أَنْ اسْتَقَرَّ مُلْكُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِالشَّامِ أَرَادَ انْتِزَاعَ مِصْرَ مِنْ وَلَايَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ
فَدَخَلَهَا فِي سَنَةِ (٦٥هـ) مَعَ عَمْرُو بْنِ سَعِيدٍ الْأَشْدُقِ، فَأَخَذَاهَا مِنْ يَدِ نَائِبِهَا الَّذِي كَانَ
لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَحْدَمٍ، وَكَانَ سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ مَرْوَانَ قَصَدَهَا، فَخَرَجَ
إِلَيْهِ نَائِبُهَا ابْنُ جَحْدَمٍ، فَقَابَلَهُ مَرْوَانُ لِيُقَاتِلَهُ، فَاشْتَعَلَ بِهِ، وَخَلَصَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ بِطَائِفَةٍ مِنَ
الْجَيْشِ مِنْ وَرَاءِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَحْدَمٍ، فَدَخَلَ مِصْرَ، وَهَرَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَدَخَلَ مَرْوَانُ إِلَى
مِصْرَ، فَمَلَكَهَا وَجَعَلَ عَلَيْهَا وَلَدَهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ. (١).

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ مُلْكُهُ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ بَايَعَ مِنْ بَعْدِهِ لَوَلَدِهِ عَبْدَ الْمَلِكِ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لَوَلَدِهِ عَبْدَ
الْعَزِيزِ - وَالِدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - وَتَرَكَ الْبَيْعَةَ لِحَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَرَاهُ
أَهْلًا لِلْخِلَافَةِ، وَوَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ، وَإِنْ كَانَ خَالًا لِحَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، وَهُوَ الَّذِي
قَامَ بِأَعْبَاءِ بَيْعَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ إِنَّ أُمَّ خَالِدٍ دَبَّرَتْ أَمْرَ مَرْوَانَ فَسَمَّتَهُ، وَيُقَالُ: بَلَّ وَضَعَتْ
عَلَى وَجْهِهِ وَهُوَ نَائِمٌ وَسَادَةً، فَمَاتَ مَخْنُوقًا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ (٦٥هـ)، ثُمَّ إِنَّهَا أَعْلَنَتْ
الصُّرَاخَ هِيَ وَجَوَارِيهَا وَصَحْنًا: مَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَجَاءَ.

الفتنة في المشرق

فِي سَنَةِ (٦٤ هـ) بعد موت يزيد وابنه معاوية جَرَتْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ وَفَتْحٌ مُنْتَشِرَةٌ بِبِلَادِ الْمَشْرِقِ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى بِلَادِ خُرَاسَانَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ. وَقَهَرَ عُمَّالَهَا وَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا، قَبْلَ أَنْ يَسْتَقَرَّ مُلْكُ ابْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى تِلْكَ النُّوَاجِي، وَجَرَتْ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ وَبَيْنَ عَمْرٍو بْنِ مَرْثَدٍ وَغَيْرِهِ مِنْ وِلَاةِ الْمَشْرِقِ حُرُوبٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا وَتَفْصِيلُهَا، اكْتَفَيْنَا بِذِكْرِهَا إجمالًا ؛ إِذْ لَا يَتَعَلَّقُ بِتَفْصِيلِهَا كَبِيرٌ فَائِدَةٍ، وَهِيَ حُرُوبٌ فِتْنَةٌ وَقِتَالٌ بُعَاةٌ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانَ. (١)

بناء الكعبة في أيام ابن الزبير في سنة (٦٤ هـ)

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: لَمَّا أَرَادَ ابْنُ الزُّبَيْرِ هَدْمَ الْبَيْتِ شَاوَرَ النَّاسَ فِي هَدْمِهَا، فَأَشَارَ عَلَيْهِ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ بِذَلِكَ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَحْشَى أَنْ يَأْتِيَ بَعْدَكَ مَنْ يَهْدِمُهَا، فَلَا تَزَالُ تُهْدَمُ حَتَّى يَتَهَاوَنَ النَّاسُ بِحُرْمَتِهَا، وَلَكِنْ أَرَى أَنْ تُصْلَحَ مَا وَهَى مِنْهَا، وَتَدَعَ بَيْتًا أَسْلَمَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَأَحْجَارًا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ. فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: لَوْ اخْتَرَقَ بَيْتُ أَحَدِكُمْ مَا رَضِيَ حَتَّى يُجَدِّدَهُ، فَكَيْفَ بَيْتَ رَبِّكُمْ؟ ! ثُمَّ إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ اسْتَحَارَ اللَّهَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ غَدَا فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ، فَبَدَأَ يَنْقُضُ الرُّكْنَ إِلَى الْأَسَاسِ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْأَسَاسِ وَجَدُوا أَصْلًا بِالْحَجَرِ مُشَبَّكًا كَأَصَابِعِ الْيَدَيْنِ، فَدَعَا ابْنُ الزُّبَيْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ بَنَى الْبَيْتَ وَأَدْخَلَ الْحَجَرَ فِيهِ، وَجَعَلَ لِلْكَعْبَةِ بَابَيْنِ مَوْضُوعَيْنِ بِالْأَرْضِ ؛ بَابٌ يُدْخَلُ مِنْهُ وَبَابٌ يُخْرَجُ مِنْهُ، وَوَضَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ بِيَدِهِ، وَشَدَّهُ بِفِصَّةٍ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ تَصَدَّعَ، وَجَعَلَ طُولَ الْكَعْبَةِ سَبْعَةً وَعِشْرِينَ ذِرَاعًا، وَكَانَ طُولُهَا سَبْعَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا فَاسْتَقْصَرَهُ، وَزَادَ فِي وَسْعِ الْكَعْبَةِ عَشْرَةَ أَذْرُعٍ، وَلَطَخَ جُدْرَانَهَا بِالْمِسْكِ، وَسَتَرَهَا بِالذَّبْيَاجِ، وَكَانَتِ الْكَعْبَةُ قَدْ وَهَتْ مِنْ أَعْلَاهَا إِلَى أَسْفَلِهَا مِنْ حِجَارَةِ الْمَنْجَنِيْقِ، وَأَسْوَدَ الرُّكْنُ، وَأَنْصَدَعَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنَ النَّارِ الَّتِي كَانَتْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ. وَكَانَ سَبَبُ تَجْدِيدِ ابْنِ الزُّبَيْرِ لَهَا مَا ثَبَتَ فِي " الصَّحِيحَيْنِ " (٢) وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَسَانِيدِ وَالسُّنَنِ،

(١) المصدر السابق ٦٨٣/١١

(٢) البخاري في عدة مواضع (١٥٨٣، ١٢٦، ٤٤٨٤، ١٥٨٦) وكذا مسلم (٣٩٨/٤٠٦ = ١٣٣٣).

مِنْ طَرِيقٍ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْلَا حَدَّثَانِ قَوْمِكَ بِكُفْرِ لَنَقَضْتُ الْكُعْبَةَ وَلَأَدْخَلْتُ فِيهَا الْحِجَرَ، فَإِنَّ قَوْمَكَ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ، وَلَجَعَلْتُ لَهَا بَابًا شَرْفِيًّا وَبَابًا غَرِيبًا، يَدْخُلُ النَّاسُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَيَخْرُجُونَ مِنَ الْآخَرِ، وَلَأَلْصَقْتُ بِابِهَا بِالْأَرْضِ، فَإِنَّ قَوْمَكَ رَفَعُوا بِابِهَا لِيَدْخُلُوا مِنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا» .

فَبَنَاهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى ذَلِكَ كَمَا أَخْبَرْتُهُ بِهِ خَالَتُهُ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا. ثُمَّ لَمَّا غَلَبَهُ الْحِجَااجُ بْنُ يُوسُفَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، هَدَمَ الْحَائِطَ الشَّمَالِيَّ وَأَخْرَجَ الْحِجَرَ كَمَا كَانَ أَوَّلًا، وَأَدْخَلَ الْحِجَارَةَ الَّتِي هَدَمَهَا إِلَى جَوْفِ الْكُعْبَةِ فَرَضَّهَا فِيهَا، فَارْتَفَعَ الْبَابُ، وَسَدَّ الْعَرَبِيُّ، وَتَلَّكَ آثَارُهُ إِلَى الْآنَ، وَذَلِكَ بِأَمْرِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ بَلَّغَهُ الْحَدِيثُ، فَلَمَّا بَلَّغَهُ الْحَدِيثُ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ: وَدِدْنَا أَنَّا تَرَكْنَاهُ وَمَا تَوَلَّى مِنْ ذَلِكَ.

وَقَدْ هَمَّ الْمَهْدِيُّ بْنُ الْمَنْصُورِ الْعَبَّاسِيُّ أَنْ يُعِيدَهَا عَلَى مَا بَنَاهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ، وَاسْتَشَارَ الْإِمَامَ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَتَّخِذَهَا الْمُلُوكُ مَلْعَبَةً. يَعْنِي يَتَلَاعَبُونَ فِي بَنَائِهَا بِحَسَبِ آرَائِهِمْ، فَهَذَا يَرَى ابْنُ الزُّبَيْرِ، وَهَذَا يَرَى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ.

اجتماع الشيعة على سليمان بن صرد وانقسامهم

وَفِي سَنَةِ (٦٥هـ) اجْتَمَعَ مَلَأُ الشَّيْعَةِ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ بِالْكُوفَةِ، وَتَوَاعَدُوا النَّخِيلَةَ ؛ لِيَأْخُذُوا بِثَأْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَا زَالُوا فِي ذَلِكَ مُجَادِينَ، وَعَلَيْهِ عَازِمِينَ، مِنْ بَعْدِ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ بِكَرْبَلَاءَ فِي الْعَاشِرِ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ، فَاجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ بَعْدَ حُطْبٍ وَمَوَاعِظَ عَلَى تَأْمِيرِ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ عَلَيْهِمْ، فَتَعَاهَدُوا وَتَعَاقَدُوا، وَتَوَاعَدُوا النَّخِيلَةَ ؛ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ، ثُمَّ جَمَعُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ شَيْئًا كَثِيرًا وَأَعَدُّوهُ لِذَلِكَ. ، وَقَدْ طَمِعُوا فِي الْأَمْرِ بَعْدَ مَوْتِ يَزِيدَ وَابْنِهِ مَعَاوِيَةَ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ أَهْلَ الشَّامِ قَدْ ضَعُفُوا، فَعَدُّوا إِلَى سُلَيْمَانَ، وَاسْتَشَارُوهُ فِي الظُّهُورِ قَبْلَ الْأَجْلِ، فَمَنَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ. فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ مَا كَانَ، وَقَتْلَهُ ابْنُ زِيَادٍ، كَانَ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ يَوْمئِذٍ بِالْكُوفَةِ، فَبَلَغَ ابْنُ زِيَادٍ أَنَّهُ يَقُولُ: لَأَقُومَنَّ بِنَصْرَةِ مُسْلِمٍ، وَلَا أَخُذَنَّ بِثَأْرِهِ. فَأَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ،

وَضَرَبَهُ وَأَمَرَ بِسِجْنِهِ، فَكَتَبَ ابْنُ عُمَرَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ يَشْفَعُ عِنْدَهُ فِي إِخْرَاجِ الْمُحْتَارِ مِنَ السِّجْنِ، فَبَعَثَ يَزِيدُ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ يَأْمُرُهُ بِإِخْرَاجِهِ مِنَ السِّجْنِ، فَأَخْرَجَهُ ابْنُ زِيَادٍ وَنَفَاهُ، فَخَرَجَ الْمُحْتَارُ إِلَى الْحِجَازِ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَقْطَعَنَّ أُنَامِلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ وَلَا أَقْتُلَنَّ بِالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَدَدَ مَنْ قُتِلَ عَلَى دَمِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا. فَلَمَّا بَلَغَهُ مَوْتُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَاضْطِرَابُ أَهْلِ الْعِرَاقِ، خَرَجَ مِنَ الْحِجَازِ، فَقَصَدَ الْكُوفَةَ وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى إِلَى سَارِيَةِ هُنَالِكَ، حَتَّى أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، ثُمَّ صَلَّى مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ حَتَّى صُلِّيَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ وَعَظَّمُوهُ، وَجَعَلَ يَدْعُو إِلَى إِمَامِهِ الْمَهْدِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ، وَيُظْهِرُ الْإِنْتِصَارَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ لِلنَّاسِ الَّذِينَ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ مِنَ الشَّيْعَةِ، وَقَدْ حَشَى أَنْ يُبَادِرُوا إِلَى الْخُرُوجِ مَعَ سُلَيْمَانَ: إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ قَبْلِ وَلِيِّ الْأَمْرِ، وَمَعْدِنِ الْفَضْلِ، وَوَصِيِّ الْوَصِيِّ، وَالْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ، فَالْتَفَتَ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الشَّيْعَةِ، وَلَكِنَّ الْجُمْهُورَ مِنْهُمْ مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ. (١)

الْمُطَالَبَةُ بِثَارِ الْحُسَيْنِ مِمَّنْ قَتَلَهُ

فِي سَنَةِ (٦٥ هـ) اجْتَمَعَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ نَحْوُ مِنْ سَبْعَةِ عَشَرَ أَلْفًا، كُلُّهُمْ يَطْلُبُونَ الْأَخَذَ بِثَارِ الْحُسَيْنِ مِمَّنْ قَتَلَهُ، وَقَدْ حَاطَبَهُمْ سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ حِينَ خَرَجُوا مِنَ الْكُوفَةِ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بِالنَّحِيلَةِ، فَحَرَّضَهُمْ عَلَى الْجِهَادِ فِي ذَلِكَ، وَيَسْمَى هَؤُلَاءِ بِجَيْشِ التَّوَابِينَ، فَقَدْ كَانَ الشَّيْعَةُ يَجْتَمِعُونَ فِي دَارِ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ أَيَّامَ الْحُسَيْنِ (ع)، وَهُمْ الَّذِينَ كَتَبُوا إِلَيْهِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ الْقُدُومَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ خَذَلُوهُ، فَندَمُوا عَلَى فَعْلَتِهِمْ وَتَابُوا، وَرَأَوْا أَنَّ مِنْ تَوْبَتِهِمْ أَنْ يَقْتُلُوا مَنْ قَتَلَهُ وَمَنْ أَمَرَ بِقَتْلِهِ، وَلِهَذَا خَرَجُوا قَاصِدِينَ الشَّامَ لِقِتَالِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: لَوْ كَانَ هَذَا الْعَزْمُ وَالْاجْتِمَاعُ قَبْلَ وَصُولِ الْحُسَيْنِ إِلَى تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ لَكَانَ أَنْفَعَ لَهُ وَأَنْصَرُ مِنْ اجْتِمَاعِهِمْ لِنُصْرَتِهِ بَعْدَ أَرْبَعِ سِنِينَ. (٢)

(١) البداية والنهاية ٦٨٩/١١

(٢) البداية والنهاية ٦٩٣/١١

وَقَعَةُ عَيْنِ وَرْدَةَ

وسار سليمان بن صرد بأصحابه نحو الشام حتى وصلوا مكانا يسمى عين الوردة، فالتقوا مع جيش اهل الشام، فدعا الشاميون أصحاب سليمان إلى الدُّخُولِ فِي طَاعَةِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، ودعا أصحاب سليمان الشَّامِيِّينَ إِلَى أَنْ يُسَلِّمُوا إِلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ فَيَقْتُلُوهُ عَنِ الْحُسَيْنِ، وَامْتَنَعَ كُلٌّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ أَنْ يُجِيبَ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ الْآخَرُ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا فِي أَيَّامٍ

متعددة، فقتل فيها سليمان بن صرد وعامة أصحابه، (١)

وَكَتَبَ أَمْرَاءُ الشَّامِيِّينَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَأَظْفَرَهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَخَطَبَ النَّاسَ، وَأَعْلَمَهُمْ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْجُنُودِ وَمَنْ قُتِلَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَقَدْ قَالَ: أَهْلَكَ اللَّهُ رُءُوسَ الضُّلَّالِ؛ سُلَيْمَانَ بْنَ صُرْدٍ وَأَصْحَابَهُ. وَعَلَّقَ الرُّءُوسَ بِدِمَشْقَ. (٢)

فلما عاد فلُ جيش التوابين إلى العراق، كتب المختار بن أبي عبيد إلى رفاعة بن شداد رأس التوابين بعد سليمان بن صرد، يعزیه فیمن قتل منهم وَيَتَرَحَّمُ عَلَيْهِمْ، وَيَعْبِطُهُمْ بِمَا نَالُوا مِنَ الشَّهَادَةِ وَجَزِيلِ الثَّوَابِ، وَيَقُولُ: مَرْحَبًا بِالَّذِينَ أَعْظَمَ اللَّهُ أَجُورَهُمْ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ، وَاللَّهُ مَا خَطَا مِنْهُمْ أَحَدٌ خُطْوَةً إِلَّا كَانَ ثَوَابُ اللَّهِ لَهُ فِيهَا أَعْظَمَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَإِنَّ سُلَيْمَانَ قَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ، وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ وَجَعَلَ رُوحَهُ فِي أَرْوَاحِ النَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَبَعْدُ فَأَنَا الْأَمِيرُ الْمَأْمُورُ، وَالْأَمِينُ الْمَأْمُونُ، قَاتِلُ الْجَبَّارِينَ وَالْمُفْسِدِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَأَعِدُّوا وَاسْتَعِدُّوا وَأَبْشِرُوا، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَالطَّلَبِ بِدِمَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ. وَقَدْ كَانَ قَبْلَ قُدُومِهِمْ أَخْبَرَ النَّاسَ بِهَلَاكِهِمْ عَنْ رَبِّهِ الَّذِي كَانَ يَأْتِي إِلَيْهِ مِنَ الشَّيَاطِينِ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ يَأْتِيهِ شَيْطَانٌ فَيُوحِي إِلَيْهِ قَرِيبًا مِمَّا كَانَ يُوحِي شَيْطَانُ مُسَيْلِمَةَ إِلَيْهِ. (٣)

(١) المصدر السابق ١١/٧٠٢

(٢) المصدر السابق ١١/٧٠٣

(٣) المصدر السابق ١١/٧٠٢

وُثُبُ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيِّ الْكَذَّابِ بِالْكُوفَةِ

لَمَّا كَانَ الْمُحَرَّمُ مِنْ سَنَةِ (٦٦هـ) عَزَمَ الْمُخْتَارُ عَلَى الْخُرُوجِ لَطَلَبِ ثَارِ الْحُسَيْنِ -
فِيمَا يَزْعُمُ - فَلَمَّا صَمَّمَ عَلَى ذَلِكَ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الشَّيْعَةُ وَتَبَطُّوهُ عَنِ الْخُرُوجِ الْآنَ إِلَى وَقْتِ
آخَرَ، ثُمَّ أَنْفَذُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَمْرِ الْمُخْتَارِ وَمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ،
فَلَمَّا اجْتَمَعُوا بِهِ كَانَ مُلَحَّصُ مَا قَالَ لَهُمْ: إِنَّا لَا نَكْرَهُ أَنْ يَنْصُرَنَا اللَّهُ بِمَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ.
وَقَدْ كَانَ الْمُخْتَارُ بَلَغَهُ مَخْرَجُهُمْ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ، فَكَرِهَ ذَلِكَ، وَخَشِيَ أَنْ يُكَذِّبَهُ فِيمَا
أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِإِذْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ، فَلَمَّا رَجَعُوا أَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ،
فَعِنْدَ ذَلِكَ قَوِيَ أَمْرُ الشَّيْعَةِ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ. وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرُ الْكُوفَةِ
عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ مُطِيعٍ أَمْرَ الْقَوْمِ وَمَا اسْتَوْرُوا عَلَيْهِ، فَبَعَثَ الشَّرْطَ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ
الْكُوفَةِ، وَأَلْزَمَ كُلَّ أَمِيرٍ بِحِفْظِ نَاحِيَّتِهِ مِنْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا أَحَدٌ، فَلَمَّا كَانَ الْمَوْعِدُ خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ
بْنُ الْأَشْتَرِ قَاصِدًا إِلَى دَارِ الْمُخْتَارِ فِي مِائَةِ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ وَعَلَيْهِمُ الدُّرُوعُ تَحْتَ الْأَقْبِيَّةِ،
فَلَقِيَهُ إِيَّاسُ بْنُ مُضَارِبٍ فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا ابْنَ الْأَشْتَرِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ؟ إِنَّ أَمْرَكَ لِمُرِيبٌ،
فَوَاللَّهِ لَا أَدْعُكَ حَتَّى أُحْضِرَكَ إِلَى الْأَمِيرِ فَيَرَى فِيكَ رَأْيَهُ. فَتَنَاوَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ رُمْحًا مِنْ
يَدِ رَجُلٍ فَطَعَنَهُ فِي ثُغْرَةِ نَحْرِهِ، فَسَقَطَ وَأَمَرَ رَجُلًا فَاحْتَرَّ رَأْسَهُ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَى الْمُخْتَارِ فَأَلْقَاهُ
بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْمُخْتَارُ بَشَّرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ، فَهَذَا طَائِرٌ صَالِحٌ.

ثُمَّ طَلَبَ إِبْرَاهِيمُ مِنَ الْمُخْتَارِ أَنْ يَخْرُجَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، فَأَمَرَ الْمُخْتَارُ بِالنَّارِ أَنْ تُرْفَعَ، وَأَنْ
يُنَادَى بِشَعَارِ أَصْحَابِهِ: يَا مَنْصُورُ أُمَّتٍ، يَا ثَارَاتِ الْحُسَيْنِ. ثُمَّ نَهَضَ الْمُخْتَارُ فَجَعَلَ يَلْبَسُ
دِرْعَهُ وَسِلَاحَهُ، وَخَرَجَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ، فَجَعَلَ يَنْقَصِدُ الْأُمَرَاءُ الْمُؤَكَّلِينَ بِنَوَاحِي
الْبَلَدِ، فَيَطْرُدُهُمْ عَنْ أَمَاكِنِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، وَيُنَادِي بِشَعَارِ الْمُخْتَارِ.
فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، وَجَاءَتِ الشَّيْعَةُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ إِلَى الْمُخْتَارِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ
فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ عَيَّى جَيْشُهُ وَصَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ، وَقَدْ جَهَّزَ
ابْنُ مُطِيعٍ جَيْشًا؛ ثَلَاثَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ شَبْتُ بْنُ رَبِيعٍ، وَأَرْبَعَةَ آلَافٍ أُخْرَى مَعَ رَاشِدِ بْنِ إِيَّاسٍ
بْنِ مُضَارِبٍ، فَافْتَتَلُوا حَتَّى تَمَكَّنَ الْمُخْتَارُ مِنْ دَارِ الْإِمَارَةِ.

ثُمَّ إِنَّ الْمُخْتَارَ بَعَثَ الْأَمْرَاءَ إِلَى النَّوَاحِي وَالْبُلْدَانِ وَالْأَقَالِيمِ وَالرَّسَاتِيقِ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ وَخُرَّاسَانَ، وَعَقَدَ الْأُلُويَّةَ وَالرَّايَاتِ. وَقَرَّرَ الْإِمَارَةَ وَالْوَلَايَاتِ، وَجَعَلَ يَجْلِسُ لِلنَّاسِ غَدَوَةً وَعَشِيَّةً يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ اسْتَفْضَى الْقَضَاةَ (١).

تَتَبُّعُ الْمُخْتَارِ لِقَتْلَةِ الْحُسَيْنِ

وقد شرع المختار يتتبع قتلة الحسين من شريف ووضيع فيقتله، فأزحف أهل الكوفة بالمختار، وقالوا: هو كذاب، وقد قدم موالينا على أشرافنا، وزعم أن محمد ابن الحنفية قد أمره بالأخذ بئار الحسين، وهو لم يأمره بشيء، وإنما هو متقول عليه. وانتظروا بخروجهم عليه أن يخرج من الكوفة إبراهيم بن الأشتر فإنه قد عينه المختار في سبعة آلاف للقائه ابن زياد فلما خرج إبراهيم بن الأشتر اجتمع أشراف الناس في دار شبت بن ربيعي وأجمعوا أمرهم على قتال المختار، ثم وثبوا فركبت كل قبيلة مع أميرها في ناحية من نواحي الكوفة وقصدوا قصر الإمارة، وبعث المختار عمرو بن توبة بريداً إلى إبراهيم بن الأشتر ليرجع إليه سريعاً، وبعث المختار إلى أولئك يقول لهم: ماذا تنقمون؟ فإني أحييكم إلى جميع ما تطلبون، ولم يزل يطاولهم حتى قدم إبراهيم بن الأشتر بعد ثلاث، ثم أقتل الناس في نواحي الكوفة قتالاً عظيماً، وكثرت القتلى بينهم من الفريقين وجرت فصول وأحوال حربية يطول استقصاؤها،

ويعرف هذا اليوم بجبانة السبيع. وكان ذلك يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة

سنة ست وستين ثم كانت النصرة للمختار عليهم، وأسروا منهم خمسمائة أسير، وهرب أشراف الكوفة إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير وكان ممن هرب شمر بن ذي الجوشن - فبحه الله - فبعث المختار في طلبه فتمكنوا من قتله.

قالوا: ثم خطب المختار أصحابه فحرّضهم على تتبع من قتل الحسين من أهل الكوفة المقيمين بها، وكانوا يأتون بهم حتى يوقفوا بين يديه، فيأمر بقتلهم على أنواع من القتل، فمنهم من حرّقه بالنار، ومنهم من قطع أطرافه وتركه حتى مات، ومنهم من يرمى بالنبال حتى يموت. (٢)

(١) انظر: البداية والنهاية ١٢/١٣-١٥

(٢) البداية والنهاية ١٢/٢٤ وما بعدها.

مَقْتُلُ خَوَلِيٍّ الَّذِي احْتَزَرَ رَأْسَ الْحُسَيْنِ

بَعَثَ إِلَيْهِ الْمُخْتَارُ أَبَا عَمْرَةَ صَاحِبَ حَرْسِهِ، فَكَبَسَ بَيْتَهُ، فَحَمَلُوهُ إِلَى الْمُخْتَارِ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِ وَأَنْ يُحَرَّقَ بَعْدَ ذَلِكَ.
وَبَعَثَ الْمُخْتَارُ إِلَى حَكِيمِ بْنِ فَضِيلِ السَّنْبِسِيِّ فَقَتَلَ، وَكَذَا عُمَرَ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ
أَمِيرَ الْجَيْشِ الَّذِينَ قَتَلُوا الْحُسَيْنَ وَابْنَهُ فَقَتَلَا. (١)

كتاب المختار إلى محمد الحنفية

بَعَثَ الْمُخْتَارُ إِلَى مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا فِي ذَلِكَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِلْمَهْدِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ مِنَ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ سَلَامٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ
اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي نِقْمَةً عَلَى أَعْدَائِكُمْ، فَهُمْ بَيْنَ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ
وَطَرِيدٍ وَشَرِيدٍ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَ قَاتِلَكُمْ وَنَصَرَ مُؤَارِكَكُمْ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِرَأْسِ عُمَرَ بْنِ
سَعْدٍ وَابْنِهِ، وَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ شَرَكَ فِي دَمِ الْحُسَيْنِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ كُلِّ مَنْ قَدَرْنَا عَلَيْهِ، وَلَنْ يُعْجِزَ اللَّهُ
مَنْ بَقِيَ، وَلَسْتُ بِمُنْحَجِمٍ عَنْهُمْ حَتَّى لَا يَبْلُغَنِي أَنَّ عَلَى أَدِيمِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ إِزْمِيًّا فَكُتِبَ إِلَيَّ
أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ بِرَأْيِكَ أَتَّبِعُهُ وَأَكُنَّ عَلَيْهِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. (٢)

قال ابن كثير (٣): وَلَمْ يَذْكُرْ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ مُحَمَّدًا ابْنَ الْحَنْفِيَّةِ رَدَّ جَوَابَهُ، مَعَ أَنَّ ابْنَ
جَرِيرٍ قَدْ تَقَصَّى هَذَا الْفَصْلَ وَأَطَالَ شَرْحَهُ، وَلِهَذَا تَوَسَّعَ فِي إِيرَادِهِ بِرَوَايَاتِ أَبِي مُحَمَّدٍ لُوطِ بْنِ
يَحْيَى، وَهُوَ مَتَّهَمٌ فِيمَا يَرْوِيهِ، وَلَا سِيَّمَا فِي بَابِ التَّشْيِيعِ، وَهَذَا الْمَقَامُ لِلشَّيْعَةِ فِيهِ غَرَامٌ وَأَيُّ
غَرَامٍ، إِذْ فِيهِ الْأَخْذُ بِتَأْرِ الْحُسَيْنِ وَأَهْلِهِ مِنْ قَتَلَتِهِمْ وَالْإِنْتِقَامُ مِنْهُمْ. وَلَا شَكَّ أَنَّ قَتْلَ قَتَلَتِهِ
كَانَ مُتَحْتَمًّا، وَالْمُبَادَرَةُ إِلَيْهِ كَانَ مَغْنَمًا، وَلَكِنْ إِنَّمَا قَدَرَهُ اللَّهُ عَلَى يَدِ الْمُخْتَارِ الْكَذَّابِ الَّذِي
صَارَ بِدَعْوَاهُ إِتْيَانُ الْوَحْيِ إِلَيْهِ كَافِرًا، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ

(١) المصدر السابق ٢٨/١٢.

(٢) المصدر السابق ٢٨/١٢.

(٣) المصدر السابق ٢٨/١٢.

هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ» (١) وَقَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ مَا يَكْتُبُهُ الْكَاتِبُونَ:
 {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأنعام: ١٢٩]
 وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللَّهِ فَوْقَهَا ... وَلَا ظَالِمٍ إِلَّا سَيَبُلَى بِظَالِمٍ
 وَسَيَأْتِي فِي تَرْجَمَةِ الْمُخْتَارِ مَا يَدُلُّ عَلَى كَذِبِهِ وَافْتِرَائِهِ، وَادِّعَائِهِ نُصْرَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَهُوَ فِي
 نَفْسِ الْأَمْرِ مُتَسَتِّرٌ بِذَلِكَ لِيَجْمَعَ عَلَيْهِ رَعَاةً مِنَ الشَّيْعَةِ الَّذِينَ بِالْكُوفَةِ ؛ لِيُقِيمَ لَهُمْ دَوْلَةً
 وَيَصُولَ بِهِمْ وَيَجُولَ عَلَى مُخَالَفِيهِ صَوْلَةً. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَلَطَ عَلَيْهِ مِنْ انْتَقَمَ مِنْهُ،
 وَهَذَا هُوَ الْكَذَّابُ الَّذِي قَالَ فِيهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ الصِّدِّيقِ
 «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي تَقْيِيفِ كَذَابٍ وَمُيِيرٍ» (٢) فَهَذَا هُوَ الْكَذَّابُ، وَهُوَ يُظْهِرُ التَّشْيِيعَ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ
 فَهُوَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ التَّقْفِي.

مُصَانَعَةُ الْمُخْتَارِ ابْنِ الزُّبَيْرِ يُرِيدُ خِدَاعَهُ

وَلَمَّا عَلِمَ الْمُخْتَارُ أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ لَا يَنَامُ عَنْهُمْ، وَأَنَّ جَيْشَ الشَّامِ مِنْ قِبَلِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ
 مَرْوَانَ يَقْصِدُونَهُ مَعَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ لَا يُرَامُ، شَرَعَ يُصَانِعُ ابْنَ الزُّبَيْرِ، يُرِيدُ
 خِدَاعَهُ وَالْمَكْرَ بِهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ إِيَّيْ كُنْتُ بَايَعْتُكَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالنُّصْحِ لَكَ، فَلَمَّا
 رَأَيْتُكَ قَدْ أَعْرَضْتَ عَنِّي تَبَاعَدْتُ عَنْكَ، فَإِنْ كُنْتَ عَلَى مَا أَعْهَدُ مِنْكَ فَأَنَا عَلَى السَّمْعِ
 وَالطَّاعَةِ لَكَ. وَالْمُخْتَارُ يُخْفِي هَذَا كُلَّ الْإِخْفَاءِ عَنِ الشَّيْعَةِ، (٣)

فَإِذَا ذَكَرَ لَهُ أَحَدٌ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ أَظْهَرَ لَهُمْ أَنَّهُ أَبْعَدُ النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ.
 ثُمَّ كَتَبَ الْمُخْتَارُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ مَعَ صَالِحِ بْنِ مَسْعُودٍ الْحَنْعَمِيِّ كِتَابًا يَذْكُرُ فِيهِ أَنَّهُ بَعَثَ
 إِلَى الْمَدِينَةِ جَيْشًا لِنُصْرَتِهِ فَعَدَرَ بِهِمْ جَيْشُ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ أَبْعَثَ جَيْشًا آخَرَ إِلَى
 الْمَدِينَةِ وَتَبَعْتُ مِنْ قِبَلِكَ رُسُلًا إِلَيْهِمْ فَافْعَلْ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَحَبَّ

(١) صحيح البخاري رقم (٣٠٦٢) ومسلم برقم (١٧٨/١١١)

(٢) صحيح مسلم، باب كذاب ثقيف ومبيرا برقم (٢٢٩/٢٥٤٥).

(٣) البداية والنهاية ٣٢/١٢.

الْأُمُور كُلِّهَا إِلَيَّ مَا أَطِيعُ اللَّهَ فِيهِ، فَأَطِيعُ اللَّهَ فِيمَا أَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتَ، وَاعْلَمْ أَيُّ لَوْ أَرَدْتُ الْقِتَالَ لَوَجَدْتُ النَّاسَ إِلَيَّ سِرَاعًا، وَالْأَعْوَانَ لِي كَثِيرَةً، وَلَكِنِّي أَعْتَرُهُمْ وَأَضِيرُ، وَقَالَ لِصَالِحِ بْنِ مَسْعُودٍ: قُلْ لِلْمُخْتَارِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَكُفِّ عَنِ الدِّمَاءِ. (١)

خرافة كرسي المختار

وَذَكَرَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ أَنَّ الْمُخْتَارَ طَلَبَ مِنْ آلِ جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ (٢) الْكُرْسِيَّ الَّذِي كَانَ عَلَيَّ يَجْلِسُ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ مِمَّا يَقُولُ الْأَمِيرُ. فَأَلَحَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى عَلِمُوا أَنَّهُمْ لَوْ جَاءُوا بِأَيِّ كُرْسِيٍّ كَانَ لَقَبَلَهُ مِنْهُمْ، فَحَمَلُوا إِلَيْهِ كُرْسِيًّا مِنْ بَعْضِ الدُّورِ، فَقَالُوا: هَذَا هُوَ، فَخَرَجْتُ شَبَامٌ وَشَاكِرٌ (٣) وَسَائِرُ رُءُوسِ الْمُخْتَارِ بِهِ، وَقَدْ عَصَّبُوهُ بِالْحَرِيرِ وَالْدِّبَاجِ. وَيُرْوَى أَنَّ الْمُخْتَارَ كَانَ يُظْهِرُ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ بِمَا يُعْطَمُ أَصْحَابُهُ هَذَا الْكُرْسِيَّ. وَقَدْ قَالَ فِي هَذَا الْكُرْسِيِّ أَعْشَى هَمْدَانَ: (٤)

شَهِدْتُ عَلَيْكُمْ أَنَّكُمْ سَبِيئَةٌ ... وَإِنِّي بِكُمْ يَا شُرْطَةَ الشِّرْكِ عَارِفُ
وَأُقْسِمُ مَا كُرْسِيُّكُمْ بِسَكِينَةٍ ... وَإِنْ كَانَ قَدْ لُقِمْتُ عَلَيْهِ اللَّفَافُ
وَأَنْ لَيْسَ كَالْتَّابُوتِ فِينَا وَإِنْ سَعَتْ ... شَبَامٌ حَوَالِيهِ وَنَهْدٌ وَخَارِفُ
وَإِنِّي أَمُرُّوْ أَحْبَبْتُ آلَ مُحَمَّدٍ ... وَتَابَعْتُ وَحْيًا ضَمِنَتْهُ الْمَصَاحِفُ
وَتَابَعْتُ عَبْدَ اللَّهِ لَمَّا تَتَابَعْتُ ... عَلَيْهِ قُرَيْشٌ شَمْطُهَا وَالْعَطَارِفُ

قال ابن كثير: (٥)

هَذَا وَأَمْثَالُهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ عَقْلِ الْمُخْتَارِ وَأَتْبَاعِهِ وَضَعْفِهِ وَقِلَّةِ عِلْمِهِ وَكَثْرَةِ جَهْلِهِ وَرَدَاءَةِ فَهْمِهِ وَتَرْوِيحِهِ الْبَاطِلَ عَلَى أَتْبَاعِهِ وَتَشْبِيهِهِ الْبَاطِلَ بِالْحَقِّ لِيُضِلَّ بِهِ الطَّعَامَ وَيَجْمَعَ عَلَيْهِ جُهَالُ الْعَوَامِّ.

(١) البداية والنهاية ٣٤/١٢.

(٢) جعدة بن هبيرة المخزومي أمه أم هانئ بنت أبي طالب أخت علي رضي الله عنه وقد أسندوا هذه الخرافة إليه لقربته من علي بن أبي طالب.

(٣) شبام وشاكر: قبائل التفت على المختار وصدقوه.

(٤) اسمه عبدالرحمن بن عبدالله من شقراء العصر الأموي، وفاته سنة ٨٣ هـ.

(٥) البداية والنهاية ٤٠/١٢.

مَقْتُلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ

فِي سَنَةِ (٦٧هـ) كَانَ مَقْتُلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ عَلَى يَدَيِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْثَرِ النَّحْعِيِّ ؛
وَذَلِكَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْثَرِ خَرَجَ مِنَ الْكُوفَةِ يَوْمَ السَّبْتِ لِثَمَانٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فِي
السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ، ثُمَّ اسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَهُوَ سَائِرٌ لِقَصْدِ ابْنِ زِيَادٍ فِي أَرْضِ الْمُوصِلِ فَكَانَ
اجْتِمَاعُهُمَا بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: الْحَازِرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُوصِلِ خَمْسَةُ فَرَاسِخَ. فَعَبَأَ جَيْشَهُ وَكَتَبَ
كَتَائِبُهُ، وَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ الْفَجْرَ فِي أَوَّلِ وَقْتٍ، ثُمَّ رَكِبَ فَنَاهَضَ جَيْشَ ابْنِ زِيَادٍ وَزَحَفَ بِجَيْشِهِ
رُؤَيْدًا وَهُوَ مَاشٍ فِي الرَّجَالَةِ حَتَّى أَشْرَفَ مِنْ فَوْقِ تَلٍّ عَلَى جَيْشِ ابْنِ زِيَادٍ، فَإِذَا هُمْ لَمْ يَتَحَرَّكَ
مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ نَهَضُوا إِلَى خَيْلِهِمْ وَسِلَاحِهِمْ مَدْهُوشِينَ، فَرَكِبَ ابْنُ الْأَشْثَرِ فَرَسَهُ
وَجَعَلَ يَقِفُ عَلَى رَايَاتِ الْقَبَائِلِ فَيُحَرِّضُهُمْ عَلَى قِتَالِ ابْنِ زِيَادٍ وَيَقُولُ: هَذَا قَاتِلُ ابْنِ بِنْتِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ جَاءَكُمْ اللَّهُ بِهِ وَأَمَكَنَّكُمْ اللَّهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، فَعَلَيْكُمْ بِهِ.

وَأَقْبَلَ ابْنُ زِيَادٍ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ قَدْ جَعَلَ عَلَى مَيْمَنَتِهِ حُصَيْنَ بْنَ ثُمَيْرٍ وَعَلَى الْمِيسِرَةِ
عُمَيْرَ بْنَ الْحُبَابِ السُّلَمِيِّ، وَعَلَى الْخَيْلِ شُرَحْبِيلُ بْنُ ذِي الْكَلَاعِ، وَابْنُ زِيَادٍ فِي الرَّجَالَةِ يَمْشِي
مَعَهُمْ، فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ تَوَاقَفَ الْفَرِيقَانِ حَتَّى حَمَلَ حُصَيْنُ بْنُ ثُمَيْرٍ بِالْمَيْمَنَةِ عَلَى مِيسِرَةِ أَهْلِ
الْعِرَاقِ فَهَزَمَهَا، وَقُتِلَ أَمِيرُهَا، ثُمَّ حَمَلَ ابْنُ الْأَشْثَرِ بِمَنْ مَعَهُ وَجَعَلَ يَقُولُ لِصَاحِبِ رَايَتِهِ: ادْخُلْ
بِرَايَتِكَ فِيهِمْ. وَقَاتَلَ يَوْمَئِذٍ قِتَالًا عَظِيمًا، وَكَانَ لَا يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ رَجُلًا إِلَّا صَرَعَهُ، وَكَثُرَتْ
الْقَتْلَى بَيْنَهُمْ. فَانْهَزَمَ جَيْشُ الشَّامِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَثَبَتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ فِي مَوْفِعِهِ حَتَّى اجْتَاَزَ
بِهِ ابْنُ الْأَشْثَرِ فَقَتَلَهُ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ، لَكِنْ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: التَّمِسُوا فِي الْقَتْلَى رَجُلًا ضَرَبْتُهُ
بِالسَّيْفِ فَتَفَحَنِي مِنْهُ رِيحُ الْمَسْكِ، فَالْتَمَسُوهُ فَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، فَاخْتَرُوا رَأْسَهُ
وَبَعَثُوهُ إِلَى الْمُخْتَارِ بِالْكُوفَةِ مَعَ الْبَشَارَةِ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ بِأَهْلِ الشَّامِ. وَقُتِلَ مِنْ رُءُوسِ أَهْلِ
الشَّامِ أَيْضًا حُصَيْنُ بْنُ ثُمَيْرٍ، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ ذِي الْكَلَاعِ، وَأَتْبَعَ الْكُوفِيُّونَ أَهْلَ الشَّامِ فَقَتَلُوا
مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً وَغَرِقَ مِنْهُمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ قُتِلَ، وَاخْتَارُوا مَا كَانَ فِي مُعَسْكَرِهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالْخَيُْولِ. (١)

وَقَدْ كَانَ الْمُخْتَارُ بِشَرِّ أَصْحَابِهِ بِالنَّصْرِ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ الْخَبْرُ فَمَا نَذَرِي أَكَانَ ذَلِكَ تَقَاوُلًا مِنْهُ أَوْ اتِّفَاقًا وَقَعَ لَهُ أَوْ كِهَانَةً - وَأَمَّا عَلَى مَا كَانَ يَزْعُمُ أَصْحَابُهُ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ فَلَا، فَإِنَّ مَنْ اعْتَقَدَ ذَلِكَ كَفَرَ، وَمَنْ أَقَرَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ كَفَرَ - لَكِنْ قَالَ: إِنَّ الْوَقْعَةَ كَانَتْ بِنَصِييْنِ. فَأَخْطَأَ مَكَانَهَا، فَإِنَّهَا إِنَّمَا كَانَتْ بِأَرْضِ الْمَوْصِلِ. (١)

وَقَالَ أَبُو أَحْمَدَ الْحَاكِمُ: (٢) كَانَ مَقْتُلُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ يَوْمَ عَاشُورَاءَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ. (٣)

مَقْتُلُ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيِّ الْكَذَّابِ

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ قَدْ عَزَلَ فِي سَنَةِ (٦٧هـ) عَنْ نِيَابَةِ الْبَصْرَةِ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ الْمَخْزُومِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْمُبَاعِ، وَوَلَّاهَا لِأَخِيهِ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ؛ لِيَكُونَ قَرْنًا وَكُفُوًا لِلْمُخْتَارِ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَفَرَحُوا بِهِ، ثُمَّ لَمَّا خَرَجَ الْمُخْتَارُ لِنَلْقَى ابْنَ الْأَشْثَرِ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّهُ قَتَلَ ابْنَ زِيَادٍ، اعْتَنَمَ مَنْ بَقِيَ بِالْكُوفَةِ مِنْ أَعْدَاءِ الْمُخْتَارِ غَيْبَتَهُ، فَذَهَبُوا إِلَى الْبَصْرَةِ فَرَارًا مِنَ الْمُخْتَارِ؛ لِقَلَّةِ دِينِهِ وَكَفَرِهِ وَدَعْوَاهُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ، وَاتَّفَقَ أَنَّ ابْنَ الْأَشْثَرِ حِينَ قَتَلَ ابْنَ زِيَادٍ اسْتَقَلَ بِتِلْكَ النَّوَاحِي لِنَفْسِهِ، وَاسْتَهَانَ بِالْمُخْتَارِ، فَطَمِعَ مُصْعَبٌ فِيهِ، وَبَعَثَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ عَلَى الْبَرِيدِ إِلَى الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ، وَهُوَ نَائِبُهُمْ عَلَى خُرَاسَانَ، فَقَدِمَ فِي تَجْمُلٍ عَظِيمٍ وَمَالٍ وَرِجَالٍ وَعَدَدٍ وَعُدَدٍ وَجَيْشٍ كَثِيفٍ، فَفَرَحَ بِهِ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَتَقَوَّى بِهِ مُصْعَبٌ، فَرَكِبَ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَرَكِبُوا قَاصِدِينَ الْكُوفَةَ. وَقَدَّمَ مُصْعَبٌ بَيْنَ يَدَيْهِ عَبَّادَ بْنَ الْحُصَيْنِ، وَجَعَلَ عَلَى مِئْمَنَتِهِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ، وَعَلَى الْمِيسَرَةِ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ، وَرَتَّبَ الْأَمْرَاءَ عَلَى رَايَاتِهَا وَقَبَائِلِهَا،

وَخَرَجَ الْمُخْتَارُ بِعَسْكَرِهِ فَنَزَلَ الْمَدَارَ، ثُمَّ حَطَبَ النَّاسَ وَحَثَّهُمْ عَلَى الْخُرُوجِ، وَبَعَثَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْجَبُوشَ، وَرَكِبَ هُوَ وَخَلْقٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ يُبَشِّرُهُمْ بِالنَّصْرِ. فَلَمَّا انْتَهَى مُصْعَبٌ إِلَى

(١) المصدر السابق ٤٧/١٢

(٢) تاريخ دمشق ٢١٣/٤٤

(٣) وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام سنة (٦١هـ)

قَرِيبِ الْكُوفَةِ لَقِيَتْهُمْ الْكَتَائِبُ الْمُخْتَارِيَّةُ، فَحَمَلَتْ عَلَيْهِمُ الْفُرْسَانُ الزُّبَيْرِيَّةُ، فَمَا لَبِثَتْ
الْمُخْتَارِيَّةُ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى هَرَبُوا وَاهْزَمُوا ، ثُمَّ انْتَهَتْ الْهَزِيمَةُ إِلَى الْمُخْتَارِ. (١)

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: لَمَّا انْتَهَتْ مُقَدِّمَةُ الْمُخْتَارِ إِلَيْهِ، جَاءَ مُصْعَبٌ فَقَطَعَ الدِّجْلَةَ إِلَى الْكُوفَةِ
وَقَدْ حَصَّنَ الْمُخْتَارُ الْقَصْرَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ، وَخَرَجَ الْمُخْتَارُ بِمَنْ بَقِيَ مَعَهُ
فَنَزَلَ حُرُورًا، فَلَمَّا قَرُبَ جَيْشُ مُصْعَبٍ مِنْهُ جَهَّزَ إِلَى كُلِّ قَبِيلَةٍ كُرْدُوسًا، فَبَعَثَ إِلَى بَكْرِ بْنِ
وَائِلٍ سَعِيدَ بْنِ مُنْقِذٍ، وَإِلَى عَبْدِ الْقَيْسِ مَالِكَ بْنِ الْمُنْذِرِ، وَإِلَى الْعَالِيَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَعْدَةَ،
وَإِلَى الْأَزْدِ مُسَافِرَ بْنَ سَعِيدٍ، وَإِلَى بَنِي تَمِيمٍ سُلَيْمَ بْنَ يَزِيدَ الْكِنْدِيِّ، وَإِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ
السَّائِبَ بْنَ مَالِكٍ، وَوَقَفَ الْمُخْتَارُ فِي بَقِيَّةِ أَصْحَابِهِ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا إِلَى اللَّيْلِ ؛
فَقُتِلَ أَعْيَانُ أَصْحَابِ الْمُخْتَارِ وَقُتِلَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ.

وَتَفَرَّقَ عَنِ الْمُخْتَارِ أَصْحَابُهُ فَقِيلَ لَهُ: الْقَصْرُ الْقَصْرُ. فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ مِنْهُ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ
أَعُودَ إِلَيْهِ، وَلَكِنَّ هَذَا حُكْمُ اللَّهِ. ثُمَّ سَارَ إِلَى الْقَصْرِ فَدَخَلَهُ، وَجَاءَهُ مُصْعَبٌ فَفَرَّقَ الْقَبَائِلَ فِي
نَوَاحِي الْكُوفَةِ، وَقَدْ مَنَعُوا الْمُخْتَارَ الْمَادَّةَ وَالْمَاءَ، وَكَانَ الْمُخْتَارُ يَخْرُجُ فَيُقَاتِلُهُمْ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى
الْقَصْرِ ، وَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحِصَارُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ الْحِصَارَ لَا يَزِيدُنَا إِلَّا ضَعْفًا، فَانْزِلُوا بَنَاءَ
حَتَّى نُقَاتِلَ، فَقَاتَلَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى قُتِلُوا ، وَقَتْلَهُ رَجُلَانِ شَقِيقَانِ أَخَوَانِ، وَهُمَا طَرْفَةُ،
وَطَرَّافُ ابْنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَجَاجَةَ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ، فَتَلَّاهُ بِمَكَانِ الزِّيَّاتِينَ مِنَ الْكُوفَةِ وَاحْتَرَا
رَأْسَهُ وَأَتَيَْا بِهِ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَقَدْ دَخَلَ قَصْرَ الْإِمَارَةِ، فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَمَا وَضِعَ
رَأْسُ ابْنِ زِيَادٍ بَيْنَ يَدَيِ الْمُخْتَارِ، وَكَمَا وَضِعَ رَأْسُ الْحُسَيْنِ بَيْنَ يَدَيِ ابْنِ زِيَادٍ - وَكَمَا
سُيُوضَعُ رَأْسُ مُصْعَبٍ بَيْنَ يَدَيِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ - فَلَمَّا وَضِعَ رَأْسُ الْمُخْتَارِ بَيْنَ
يَدَيِ مُصْعَبٍ أَمَرَ هُمَا بِثَلَاثِينَ أَلْفًا.

وَقَدْ قَتَلَ مُصْعَبٌ جَمَاعَةً مِنَ الْمُخْتَارِيَّةِ وَأَسَرَ مِنْهُمْ خَمْسَمِائَةَ أَسِيرٍ، فَضَرَبَتْ أَعْنَاقُهُمْ عَنْ
آخِرِهِمْ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ مُصْعَبٍ فِي الْوُقْعَةِ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ بْنِ
قَيْسٍ. (٢)

(١) البداية والنهاية ١٢/٦٠

(٢) انظر تفصيلاً أكثر في البداية والنهاية ١٢/٥٨-٦٣

ثُمَّ زَالَتْ دَوْلَةُ الْمُخْتَارِ كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الدُّوَلِ، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِزَوَالِهَا،
وَذَلِكَ لِأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِهِ صَادِقًا، بَلْ كَانَ كَاذِبًا وَكَاهِنًا، وَكَانَ يَزْعُمُ أَنَّ الْوَحْيَ
يَنْزِلُ عَلَيْهِ عَلَى يَدِ جِبْرِيلَ يَأْتِي إِلَيْهِ. (١)

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: (٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ
الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ، عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ شَدَّادٍ، قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ عَلَى رَأْسِ الْمُخْتَارِ، فَلَمَّا عَرَفْتُ كَذِبَهُ
هَمَمْتُ أَنْ أَسْأَلَ سَيْفِي فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَذَكَرْتُ حَدِيثًا حَدَّثَنَا عَنْهُ عَنْ بَنِي الْحَمِقِ قَالَ سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ آمَنَ رَجُلًا عَلَى نَفْسِهِ فَقَتَلَهُ أُعْطِيَ لَوَاءً عَذْرَ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ» وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهٍ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ بِهِ. (٣)
وَقَدْ قِيلَ لِابْنِ عُمَرَ: (٤) إِنَّ الْمُخْتَارَ يَزْعُمُ أَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيهِ. فَقَالَ: صَدَقَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ} [الأنعام: ١٢١].

وَذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الْكَذَّابَ هُوَ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ، وَكَانَ يُظْهِرُ التَّشْيِيعَ وَيُبْطِنُ الْكَهَانَةَ،
وَيُسِرُّ إِلَى أَحْصَائِهِ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، وَلَكِنْ مَا أَذْرِي هَلْ كَانَ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ أَمْ لَا؟ وَكَانَ قَدْ وُضِعَ
لَهُ كُرْسِيٌّ يُعْظَمُ، وَيُحْفُ بِالرِّجَالِ وَيُسْتَرُّ بِالْحَرِيرِ، وَيُحْمَلُ عَلَى الْبَعَالِ، وَكَانَ يُضَاهِي بِهِ تَابُوتَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمَذْكُورَ فِي الْقُرْآنِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَ ضَالًّا مُضِلًّا، أَرَاخَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُ
بَعْدَمَا انْتَقَمَ بِهِ مِنْ قَوْمِ آخَرِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى {وَكَذَلِكَ نُؤَيِّي بَعْضَ
الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأنعام: ١٢٩]. وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَهُوَ الْقِتَالُ وَهُوَ الْحَجَّاجُ
بْنُ يُوسُفَ التَّقْفِيُّ، نَائِبُ الْعِرَاقِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، الَّذِي انْتَزَعَ الْعِرَاقَ مِنْ يَدِ مُصْعَبِ
بْنِ الرَّبِيعِ. (٥)

(١) المصدر السابق ٦٨/١٢

(٢) المسند ٢٢٤/٥

(٣) النسائي في الكبرى (٨٧٤٠، ٨٧٣٩) وابن ماجه (٢٦٨٨) وصححه الألباني .

(٤) البداية والنهاية ٦٩/١٢

(٥) المصدر السابق ٧١/١٢

شأن الخوارج في دولة ابن الزبير

موقف الخوارج من بيعة ابن الزبير

وَكَانَ قَدْ التَفَّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يُدَافِعُونَ عَنْهُ ؛ مِنْهُمْ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبَاضٍ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ رُءُوسِهِمْ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ أَمْرُهُ فِي الْخِلَافَةِ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: إِنَّكُمْ قَدْ أَحْطَأْتُمْ ؛ لِأَنَّكُمْ قَاتَلْتُمْ مَعَ هَذَا الرَّجُلِ، وَلَمْ تَعْلَمُوا رَأْيَهُ فِي عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ. وَكَانُوا يَنْتَقِصُونَ عُثْمَانَ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَسَأَلُوهُ عَنْ عُثْمَانَ، فَأَجَابَهُمْ فِيهِ بِمَا يَسُوءُهُمْ، وَذَكَرَ لَهُمْ مَا كَانَ مُتَّصِفًا بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ، وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَالسَّيِّرَةِ الْحَسَنَةِ، وَالرُّجُوعِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ نَفَرُوا عَنْهُ، وَفَارَقُوهُ، وَقَصَدُوا بِلَادَ الْعِرَاقِ وَحُرَّاسَانَ، فَتَفَرَّقُوا فِيهَا بِأَبْدَانِهِمْ وَأَذْيَانِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ وَمَسَالِكِهِمْ الْمُخْتَلِفَةِ الْمُنتَشِرَةِ، الَّتِي لَا تَنْضَبِطُ وَلَا تَنْحَصِرُ ؛ لِأَنَّهَا مُفَرَّغَةٌ عَلَى الْجَهْلِ وَقُوَّةِ النُّفُوسِ، وَالْإِعْتِقَادِ الْفَاسِدِ، وَمَعَ هَذَا اسْتَحْوَذُوا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْبُلْدَانِ وَالْكُورِ، حَتَّى انْتَرَعَتْ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ. (١)

ثورة الأزارقة بفارس

فِي (سنة ٦١٨هـ) كَانَتْ ثَوْرَةُ الْأَزَارِقَةِ بِنَاحِيَةِ فَارِسَ، وَذَلِكَ أَنَّ مُصْعَبًا كَانَ قَدْ عَزَلَ عَنْهَا الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ، وَكَانَ قَاهِرًا لَهُمْ، وَوَلَّى عَلَى فَارِسَ عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ فَتَارُوا عَلَيْهِ فَقَاتَلَهُمْ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ فَقَهَرَهُمْ وَكَسَرَهُمْ، وَكَانُوا مَعَ أَمِيرِهِمُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْمَاحُوزِ، فَقَرُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى إِصْطَحَرَ، فَاتَّبَعَهُمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَقَتَلُوا ابْنَهُ. ثُمَّ ظَفَرَ بِهِمْ مَرَّةً أُخْرَى ثُمَّ هَرَبُوا إِلَى بِلَادِ أَصْبَهَانَ، وَنَوَاحِيهَا فَتَقَوُّوا هُنَالِكَ، وَكَثُرَ عَدَدُهُمْ وَعُدَدُهُمْ.

قصدهم البصرة

ثُمَّ أَقْبَلَ الْخَوَارِجُ يُرِيدُونَ الْبَصْرَةَ، فَمَرُّوا بِبَعْضِ بِلَادِ فَارِسَ، وَتَرَكُوا عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، فَلَمَّا سَمِعَ مُصْعَبٌ بِقُدُومِهِمْ رَكِبَ فِي النَّاسِ، وَجَعَلَ يُلَوِّمُ عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ

اللَّهُ بِتَرْكِه هَوْلًا يَجْتَازُونَ بِلَادِهِ إِلَى الْبَصْرَةِ وَقَدْ رَكِبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ فِي آثَارِهِمْ، فَبَلَغَ الْخَوَارِجَ أَنَّ مُضْعَبًا أَمَامَهُمْ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَرَاءَهُمْ، فَعَدَلُوا إِلَى الْمَدَائِنِ فَجَعَلُوا يَقْتُلُونَ النِّسَاءَ وَالْوِلْدَانَ، وَيَبْقُرُونَ بُطُونَ الْحَبَالَى، وَيَفْعَلُونَ أَفْعَالًا لَمْ يَفْعَلَهَا غَيْرُهُمْ؛ فَقَصَدَهُمْ نَائِبُ الْكُوفَةِ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَمَعَهُ أَهْلُهَا وَجَمَاعَاتٌ مِنْ أَشْرَافِهَا، مِنْهُمْ ابْنُ الْأَشْثَرِ، وَشَبْتُ بْنُ رَبِيعٍ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِمْ عِنْدَ جِسْرِ الصَّرَاةِ، قَطَعَهُ الْخَوَارِجُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَأَمَرَ الْأَمِيرُ بِإِعَادَتِهِ، فَأُعِيدَ، فَفَرَّتِ الْخَوَارِجُ هَارِيَيْنِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَخْنَفٍ فِي سِتَّةِ آلَافٍ فَمَرُّوا عَلَى الْكُوفَةِ، ثُمَّ صَارُوا إِلَى أَرْضِ أَصْبَهَانَ، فَأَنْصَرَفَ عَنْهُمْ وَلَمْ يُقَاتِلَهُمْ.

ثُمَّ أَقْبَلُوا فَحَاصَرُوا عَتَابَ بْنَ وَرْقَاءَ شَهْرًا، بِمَدِينَةِ جُبَا حَتَّى ضَيَّقُوا عَلَى النَّاسِ، فَتَزَلُّوا إِلَيْهِمْ فَقَاتَلُوهُمْ فَكَشَفُوهُمْ وَقَتَلُوا أَمِيرَهُمُ الرُّبَيْرَ بْنَ الْمَاحُوزِ، وَغَنِمُوا مَا فِي مَعْسَرِهِمْ.

تولية المهلب قتال الخوارج

وَأَمَرَتِ الْخَوَارِجُ عَلَيْهِمْ قَطْرِيَّ بْنَ الْفَجَاءَةِ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى بِلَادِ الْأَهْوَازِ، فَكَتَبَ مُضْعَبُ بْنُ الرُّبَيْرِ إِلَى الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ - وَهُوَ عَلَى الْمَوْصِلِ - أَنْ يَسِيرَ إِلَى قِتَالِ الْخَوَارِجِ، وَكَانَ أَبْصَرَ النَّاسِ بِقِتَالِهِمْ، وَبَعَثَ مَكَانَهُ إِلَى الْمَوْصِلِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْثَرِ فَأَنْصَرَفَ الْمُهَلَّبُ إِلَى الْأَهْوَازِ فَقَاتَلَ فِيهَا الْخَوَارِجَ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ قِتَالًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ. (١)

ثورة عبيد الله بن الحر (سنة ٦٨ هـ)

كَانَ ابْنُ الْحَرِّ رَجُلًا شَجَاعًا تَقَلَّبَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ وَالْأَيَّامُ وَالْآرَاءُ، حَتَّى صَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنَّهُ لَا يَرَى لِأَحَدٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَلَا لِأَلِ الرُّبَيْرِ طَاعَةَ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ هَذَا الْأَمْرُ لَا يَصْلَحُ إِلَّا لِمِثْلِ خُلَفَاءِ كُمِ الْمَاضِينَ، وَمَا نَرَى لَهُمْ فِينَا نَدًا وَلَا شَبِيهَا، فَتَلَقَّى إِلَيْهِ أَرْزَمْتَنَا وَنَحَضَهُ نَصِيحَتَنَا، فَإِنْ كَانَ إِنَّمَا هُوَ: مِنْ عَزْ بَزٍّ، فَعَلَامَ نَعْقِدُ لَهُمْ فِي أَعْنَاقِنَا بَيْعَةَ، وَلَيْسُوا بِأَشْجَعِ مِنَّا وَلَا أَعْظَمَ مِنَّا غِنَاءً وَقَدْ عَاهَدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ. وَمَا رَأَيْنَا بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ الْمَاضِينَ إِمَامًا صَالِحًا، وَلَا وَزِيرًا تَقِيًّا. (٢).

(١) البداية والنهاية ١٢/٧٤-٧٥

(٢) تاريخ الطبري ٦/١٢٨

وَكَانَ يَمُرُّ عَلَى عَامِلِ الْكُوفَةِ مِنَ الْعِرَاقِ وَغَيْرِهِ، فَيَأْخُذُ مِنْهُ جَمِيعَ مَا فِي بَيْتِ مَالِهِ مِنَ
 الْخَوَاصِلِ فَهَرًّا، وَيَكْتُبُ لَهُ بَرَاءَةً، وَيَذْهَبُ فَيُنْفِقُ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَكَانَ الْأُمَرَاءُ يَبْعَثُونَ إِلَيْهِ
 الْجُيُوشَ فَيَطْرُدُهَا وَيَكْسِرُهَا، قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ حَتَّى حَصَرَهُ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعُمَالُهُ بِبِلَادِ
 الْعِرَاقِ، ثُمَّ إِنَّهُ وَقَدَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَبَعَثَهُ فِي عَشْرَةِ نَفَرٍ، إِلَى الْكُوفَةِ .
 فَعَلِمَ بِهِ أَمِيرَ الْكُوفَةِ الْحَارِثَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ جَيْشًا، فَقَتَلُوهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ فِيهِ،
 وَحَمَلَ رَأْسَهُ إِلَى الْكُوفَةِ، ثُمَّ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَاسْتَرَاخَ النَّاسُ مِنْهُ. (١)

إدارة مصعب لشؤون العراق :

لَمَّا اسْتَقَرَّ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ بِالْكُوفَةِ بعد هزيمة المختار وقتله، بَعَثَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْثَرِ لِيَقْدِمَ عَلَيْهِ وكان قد استقل بأمر الموصل بعد قتله لعبيد الله بن زياد .
وَبَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَيْهِ أَيْضًا لِيَقْدِمَ عَلَيْهِ، فَحَارَ ابْنُ الْأَشْثَرِ فِي أَمْرِهِ، وَشَاوَرَ أَصْحَابَهُ إِلَى أَيِّهِمَا يَذْهَبُ، ثُمَّ اتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى بَلَدِهِمُ الْكُوفَةِ، فَقَدِمَ ابْنُ الْأَشْثَرِ عَلَى مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ وَاحْتَرَمَهُ كَثِيرًا. (١)
وَبَعَثَ مُصْعَبُ الْوَلَاةَ عَلَى الْأَقَالِيمِ، فَبَعَثَ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ عَلَى الْمَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ وَأَذْرَبِجَانَ وَأَرْمِينِيَّةَ .
وَكَانَ قَدْ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْبَصْرَةِ حِينَ خَرَجَ مِنْهَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ، وَأَقَامَ هُوَ بِالْكُوفَةِ. (٢)

وولى على فارس عمر بن عبيد الله بن معمر .

ولاية حمزة بن عبد الله على البصرة :

فِي آخِرِ سَنَةِ (٦٧هـ) عَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، عبيد الله بن معمر عَنِ الْبَصْرَةِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا ابْنَهُ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ شَجَاعًا جَوَادًا مُحَلِّطًا، يُعْطِي أَحْيَانًا حَتَّى لَا يَدَعَ شَيْئًا، وَيَمْنَعُ أَحْيَانًا مَا لَا يُمْنَعُ مِثْلُهُ، وَظَهَرَتْ خِفَّتُهُ وَطَيْشُ فِي عَقْلِهِ وَسُرْعَةُ فِي أَمْرِهِ، فَبَعَثَ الْأَخْنَفُ بِشَأْنِهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَعَزَلَهُ، وَأَعَادَ إِلَى وَلَايَتِهَا أَحَاهُ مُصْعَبًا مُضَافًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ وَلَايَةِ الْكُوفَةِ، قَالُوا: وَخَرَجَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ مِنَ الْبَصْرَةِ بِمَالٍ كَثِيرٍ مِنْ بَيْتِ مَالِهَا، فَعَرَضَ لَهُ مَالِكُ بْنُ مِسْمَعٍ، فَقَالَ: لَا نَدْعُكَ تَذْهَبُ بِأَعْطِيَاتِنَا. فَضَمِنَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ الْعَطَاءَ، فَكَفَّ عَنْهُ. (٣)

(١) البداية والنهاية ٧٢/١٢

(٢) المصدر السابق ٧٢/١٢

(٣) المصدر السابق ٧٢/١٢

وقوع الوباء بمصر :

في سنة (٧٠ هـ) وقع الوباء بمصر، فَهَرَبَ مِنْهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى الشَّرْقِيَّةِ، فَنَزَلَ حُلُوانَ وَهِيَ عَلَى مَرَحَلَةٍ مِنَ الْقَاهِرَةِ وَاتَّخَذَهَا مَنْزِلًا وَاشْتَرَاهَا مِنَ الْقِبْطِ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ، وَبَنَى بِهَا دَارًا لِلْإِمَارَةِ، وَجَامِعًا، وَأَنْزَلَهَا الْجُنْدَ. (١)

طمع الروم في بلاد الشام :

في سنة (٧٠ هـ) ثَارَتِ الرُّومُ وَاسْتَجَاشُوا عَلَى مَنْ بِالشَّامِ، وَاسْتَضَعُّوهُمْ لِمَا يَرَوْنَ مِنَ الْإِخْتِلَافِ الْوَاقِعِ بَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَصَالِحَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، مَلِكِ الرُّومِ، وَهَادَنَهُ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ أَلْفَ دِينَارٍ خَوْفًا مِنْهُ عَلَى الشَّامِ. (٢)

زيارة مصعب لمكة :

في سنة (٧٠ هـ) رَكِبَ مُصْعَبُ بْنُ الرَّبِيعِ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى مَكَّةَ وَمَعَهُ أَمْوَالٌ جَزِيلَةٌ فَأَعْطَى وَفَرَاقَ، وَنَحَرَ عِنْدَ الْكُعْبَةِ أَلْفَ بَدَنَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ شَاةٍ، وَأَغْنَى سَاكِنِي مَكَّةَ ثُمَّ عَادَ إِلَى الْعِرَاقِ، وَأَنْعَمَ وَأَطْلَقَ لِحِمَاةٍ مِنْ رُؤَسَاءِ النَّاسِ بِالْحِجَازِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً. (٣)

المواجهة بين مُصْعَبِ بْنِ الرَّبِيعِ وَعَبْدِ الْمَلِكِ

في سنة (٧١ هـ) كَانَ مَقْتُلُ مُصْعَبِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ سَارَ فِي جُنُودٍ هَائِلَةٍ مِنَ الشَّامِ قَاصِدًا مُصْعَبَ بْنَ الرَّبِيعِ بِالْعِرَاقِ، وَبَعَثَ بَيْنَ يَدَيْهِ السَّرَايَا، وَدَخَلَ بَعْضُ مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ فَدَعَا أَهْلَهَا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فِي السِّيرِ، فَاسْتَجَابَ لَهُ بَعْضُهُمْ، وَوَصَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى مَسْكِنٍ، وَكَتَبَ إِلَى الْمَرْوَانِيَّةِ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِمَنْ بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ فَأَجَابُوهُ، وَاشْتَرَطُوا عَلَيْهِ أَنْ يُؤَلِّيَهُمْ أَصْبَهَانَ، فَقَالَ: نَعَمْ. وَهُمْ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْأَمْراءِ، وَقَدْ جَعَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ أَخَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ، وَعَلَى مِیْمَنَتِهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَعَلَى مِیْسَرَتِهِ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ،

(١) المصدر السابق ١٢/١٣٠

(٢) البداية والنهاية ١٢/١٣٠

(٣) المصدر السابق ١٢/١٣٠

وَحَرَجَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَقَدْ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ، وَخَذَلُوهُ وَجَعَلَ يَتَأَمَّلُ مَنْ مَعَهُ فَلَا يَجِدُهُمْ يُقَاوِمُونَ أَعْدَاءَهُ، فَاسْتَقْتَلَ وَطَمَنَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ. وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ أُمَرَائِهِ أَنْ يُقِيمَ بِالشَّامِ، وَأَنْ يَبْعَثَ إِلَى مُصْعَبٍ جَيْشًا فَأَبَى، وَقَالَ: لَعَلِّي أَبْعَثُ رَجُلًا شَجَاعًا لَا رَأْيَ لَهُ، أَوْ مَنْ لَهُ رَأْيٌ وَلَا شَجَاعَةٌ لَهُ، وَإِنِّي أَجِدُ مِنْ نَفْسِي بَصْرًا بِالْحَرْبِ وَشَجَاعَةً، وَإِنَّ مُصْعَبًا فِي بَيْتِ شَجَاعَةٍ، أَبُوهُ أَشْجَعُ قُرَيْشٍ، وَأُخُوهُ لَا يُجْهَلُ شَجَاعَتُهُ، وَهُوَ شَجَاعٌ، لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ، وَمَعَهُ مَنْ يُخَالِفُهُ، وَمَعِي مَنْ يَنْصَحُ لِي. فَسَارَ بِنَفْسِهِ.

عبد الملك يستميل أمراء مصعب

فَلَمَّا تَقَارَبَ الْجَيْشَانِ بَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى أُمَرَاءِ مُصْعَبٍ بِكُتُبٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى نَفْسِهِ وَيَعِدُهُمُ الْوَلَايَاتِ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْثَرِ إِلَى مُصْعَبٍ فَأَلْقَى إِلَيْهِ كِتَابًا مَحْتُمًا، وَقَالَ: هَذَا جَاءَنِي مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ. فَفَتَحَهُ فَإِذَا هُوَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِثْنَانِ إِلَيْهِ، وَلَهُ نِيَابَةُ الْعِرَاقِ. وَقَالَ لِمُصْعَبٍ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ أُمَرَائِكَ إِلَّا وَقَدْ جَاءَهُ كِتَابٌ مِثْلُ هَذَا فَإِنْ أَطَعْتَنِي ضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ فَلَمْ يُوَافِقْهُ مُصْعَبٌ، وَقَالَ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَحْرٍ - يَعْنِي الْأَخْنَفَ بْنَ قَيْسٍ - إِنْ كَانَ لِيُحَدِّثَنِي غَدَرُ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَكَأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ الْآنَ.

معركة دير الجاثليق بمسكن

ثُمَّ تَوَاجَهَ الْجَيْشَانِ بِدِيرِ الْجَاثَلِيقِ مِنْ مَسْكِنٍ، فَحَمَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْثَرِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ فَأَزَالَهُ عَنْ مَوْضِعِهِ، فَأَرَادَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَحَمَلُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْثَرِ، وَمَنْ مَعَهُ فَطَحْنُوهُمْ، وَقُتِلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْثَرِ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَعَفَا عَنْهُ، وَقُتِلَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ، وَكَانَ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ عَلَى حَيْلٍ مُصْعَبٍ فَهَرَبَ أَيْضًا وَلَجَأَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَجَعَلَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَهُوَ وَقِفٌ فِي الْقَلْبِ يُنْهَضُ أَصْحَابَ الرَّايَاتِ، وَيَحْتُ الشُّجْعَانَ وَالْأَبْطَالَ أَنْ يَتَقَدَّمُوا إِلَى أَمَامِ الْقَوْمِ، فَلَا يَتَحَرَّكُ أَحَدٌ، فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا إِبْرَاهِيمُ وَلَا إِبْرَاهِيمَ لِي الْيَوْمَ! وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ وَتَخَادَلَتِ الرِّجَالُ، وَضَاقَ الْحَالُ، وَكَثُرَ النَّزَالُ.

وَأَرْسَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى مُصْعَبٍ يُعْطِيهِ الْأَمَانَ فَأَبَى، وَقَالَ: إِنَّ مِثْلِي لَا يَنْصَرِفُ عَنْ هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَّا غَالِيًا أَوْ مَغْلُوبًا. ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَتَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ابْنَهُ عَيْسَى بْنَ مُصْعَبٍ وَاحْتَسَبَهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَاحْتَزَّ رَجُلَ رَأْسٍ مُصْعَبٍ وَجَاءَ بِهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، فَسَجَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَأَطْلَقَ لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ.

قَالَ: وَلَمَّا وَضِعَ رَأْسُ مُصْعَبٍ بَيْنَ يَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بَكَى وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَصْبِرَ عَلَيْهِ سَاعَةً وَاحِدَةً مِنْ حَيٍّ لَهُ حَتَّى دَخَلَ السَّيْفُ بَيْنَنَا، وَلَكِنَّ الْمَلِكَ عَقِيمٌ! وَلَقَدْ كَانَتِ الْمَحَبَّةُ وَالْحَرَمَةُ بَيْنَنَا قَدِيمَةً، مَتَى تَلِدُ النِّسَاءُ مِثْلَ مُصْعَبٍ؟ ثُمَّ أَمَرَ بِمَوَارَاتِهِ، وَدَفَنَهُ هُوَ وَابْنُهُ وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ فِي قُبُورٍ بِمَسْكِنٍ بِالْقُرْبِ مِنَ الْكُوفَةِ.

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ: وَكَانَ مَقْتُلُ مُصْعَبٍ بْنِ الزُّبَيْرِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ الثَّلَاثَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ. (١)

استيلاء عبد الملك على العراق :

وَلَمَّا قَتَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ مُصْعَبًا ارْتَحَلَ إِلَى الْكُوفَةِ فَنَزَلَ النُّخَيْلَةَ فَوَفَدَتْ عَلَيْهِ الْوُفُودُ بِهَا مِنْ رُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ وَسَادَاتِ الْعَرَبِ، وَجَعَلَ يُخَاطِبُهُمْ بِفَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ وَاسْتَشْهَدَ بِأَشْعَارٍ حَسَنَةٍ، وَبَايَعَهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَفَرَّقَ الْعَمَالَاتِ فِي النَّاسِ، وَخَطَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَوْمًا بِالْكُوفَةِ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ لَوْ كَانَ خَلِيفَةً كَمَا يُزْعَمُ لَخَرَجَ فَاسَى بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَغْرَزْ ذَنْبَهُ فِي الْحَرَمِ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: إِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ أَخِي بِشَرَ بْنِ مَرْوَانَ وَأَمَرْتُهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى أَهْلِ الطَّاعَةِ، وَبِالشَّدَّةِ عَلَى أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ، فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا.

قَالُوا: وَقَدْ أَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِطَعَامٍ كَثِيرٍ فَعَمِلَ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ فَأَكَلُوا مِنْ سِمَاطِهِ، وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ عَلَى السَّرِيرِ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: مَا أَلَدَّ عَيْشَنَا لَوْ أَنَّ شَيْئًا يَدُومُ، وَلَكِنْ نَحْنُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

وَكُلُّ جَدِيدٍ يَا أُمَيْمَ إِلَى بَلَى ... وَكُلُّ امْرَأَةٍ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَ

وَبَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ وَالِيًا عَلَى الْبَصْرَةِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الشَّامِ.

حصار الحجاج لمكة

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي سَنَةِ (٧٢هـ) بَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ الثَّقَفِيَّ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ؛ لِيُحَاصِرَهُ بِمَكَّةَ، قَالَ: وَكَانَ السَّبَبُ فِي بَعْثِهِ لَهُ دُونَ غَيْرِهِ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ لَمَّا أَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَى الشَّامِ بَعْدَ قَتْلِهِ مُصْعَبًا وَأَخَذِهِ الْعِرَاقَ، نَدَبَ النَّاسَ إِلَى قِتَالِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ إِلَى ذَلِكَ، فَقَامَ الْحَجَّاجُ وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا لَهُ. وَقَصَّ الْحَجَّاجُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ مَنَامًا زَعَمَ أَنَّهُ رَأَاهُ؛ قَالَ: رَأَيْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَأَنِّي أَخَذْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ فَسَلَحْتُهُ، فَأَبْعَثُ بِي إِلَيْهِ فَإِنِّي قَاتِلُهُ. فَبَعَثَهُ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَكَتَبَ مَعَهُ أَمَانًا لِأَهْلِ مَكَّةَ إِنْ هُمْ أَطَاعُوا.

قَالُوا: فَخَرَجَ الْحَجَّاجُ فِي جُمَادَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَمَعَهُ أَلْفَا فَارِسٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَسَلَكَ طَرِيقَ الْعِرَاقِ، وَلَمْ يَغْرِضْ لِلْمَدِينَةِ حَتَّى نَزَلَ الطَّائِفَ، وَجَعَلَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى عَرَفَةَ، وَيُرْسِلُ ابْنَ الزُّبَيْرِ الْخَيْوَلُ فَيَلْتَقِيَانِ، فَتُهْزَمُ خَيْلُ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَتَظْفُرُ خَيْلُ الْحَجَّاجِ، ثُمَّ كَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي دُخُولِ الْحَرَمِ، وَتُحَاصِرَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ كَلَّتْ شَوْكَتُهُ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ عَامَتُهُ أَصْحَابِهِ، وَسَأَلَهُ أَنْ يُمِدَّهُ بِرِجَالٍ أَيْضًا، فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى طَارِقِ بْنِ عَمْرِو يَأْمُرُهُ أَنْ يَلْحَقَ بِمَنْ مَعَهُ بِالْحَجَّاجِ، وَكَانَ طَارِقُ يَتَوَلَّى الْمَدِينَةَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَانَ قَدْ أَمَرَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ مُقِيمًا بِوَادِي الْقُرَى بِمَنْ مَعَهُ مِنْ جَيْشِ الْمَدِينَةِ وَغَيْرِهَا، وَكَانَ فِي نَحْوِ خَمْسَةِ آلَافٍ، وَارْتَحَلَ الْحَجَّاجُ مِنَ الطَّائِفِ، فَنَزَلَ بِبَرْ مَيْمُونٍ^(١)، وَحَصَرَ ابْنَ الزُّبَيْرِ بِالْمَسْجِدِ، فَلَمَّا دَخَلَ ذُو الْحِجَّةِ حَجَّ بِالنَّاسِ الْحَجَّاجُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَعَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ السِّلَاحُ، وَهُمْ وَقُوفٌ بِعَرَفَاتٍ، وَكَذَا فِيمَا بَعْدَهَا مِنَ الْمَشَاعِرِ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ مُحْصُورٌ لَمْ يَتِمَكَّنْ مِنَ الْحِجِّ هَذِهِ السَّنَةِ، بَلْ نَحَرَ بُدْنًا يَوْمَ النَّحْرِ، وَهَكَذَا لَمْ يَتِمَكَّنْ كَثِيرٌ مِمَّنْ مَعَهُ مِنَ الْحِجِّ، وَكَذَا لَمْ يَتِمَكَّنْ كَثِيرٌ مِمَّنْ مَعَ الْحَجَّاجِ وَطَارِقِ بْنِ عَمْرِو أَنْ يَطُوفُوا بِالْبَيْتِ، فَبَقُوا عَلَى إِحْرَامِهِمْ لَمْ يَحْضُرْ لَهُمُ التَّحَلُّلُ الثَّانِي، وَالْحَجَّاجُ وَأَصْحَابُهُ نُزُولُ بَيْنِ الْحُجُونِ وَبَيْنَ مَيْمُونٍ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(٢).

(١) منسوبة إلى ميمون بن خالد بن عامر الحضرمي، وقيل: هو أخو العلاء بن الحضرمي، بئر بأعلى مكة بين أذاخر والحجون. ياقوت الحموي، معجم البلدان ٣٠٢/١.

(٢) البداية والنهاية ١٢/١٦٥.

إحكام الحصار ومقتل عبد الله بن الزبير عليه السلام

استهلَّت سنة ٧٣ هـ وأهل الشام مُحاصِرُونَ أَهْلَ مَكَّةَ، وَقَدْ نَصَبَ الْحَجَّاجُ الْمَنْجَنِيقَ عَلَى مَكَّةَ ؛ لِيُحْصِرَ أَهْلَهَا، حَتَّى يَخْرُجُوا إِلَى الْأَمَانِ وَالطَّاعَةِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَانَ مَعَ الْحَجَّاجِ خَلْقٌ قَدِمُوا عَلَيْهِ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَجَعَلُوا يَزُمُونَ بِالْمَنْجَنِيقِ، فَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا، وَكَانَ مَعَهُ خَمْسُ مِجَانِيقَ، فَأُلْحَ عَلَيْهِهَا بِالرَّمْيِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَحَبَسَ عَنْهُمْ الْمِيرَةَ فَجَاعُوا، وَكَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، وَجَعَلَتِ الْحِجَارَةُ تَقَعُ فِي الْكَعْبَةِ، وَالْحَجَّاجُ يَصِيحُ بِأَصْحَابِهِ: يَا أَهْلَ الشَّامِ، اللَّهُ فِي الطَّاعَةِ! فَكَانُوا يَحْمِلُونَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّهُمْ أَخَذُوهُ فِي هَذِهِ الشِّدَّةِ، فَيَشُدُّ عَلَيْهِمْ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى يُخْرِجَهُمْ مِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ، ثُمَّ يَكْرَهُونَ عَلَيْهِ فَيَشُدُّ عَلَيْهِمْ ؛ فَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا، وَقَتَلَ يَوْمَئِذٍ جَمَاعَةً مِنْهُمْ وَهُوَ يَقُولُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْحَوَارِيِّ. وَقِيلَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ: أَلَا تُكَلِّمُهُمْ فِي الصُّلْحِ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُكُمْ فِي جُوفِ الْكَعْبَةِ لَذَبَحْتُكُمْ جَمِيعًا، وَاللَّهِ لَا أَسْأَلُهُمْ صُلْحًا أَبَدًا.

وَمَا زَالَ أَهْلُ مَكَّةَ يَخْرُجُونَ إِلَى الْحَجَّاجِ بِالْأَمَانِ، وَيَتَرَكُونَ ابْنَ الزُّبَيْرِ، حَتَّى خَرَجَ إِلَيْهِ قَرِيبٌ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ، فَأَمَنَهُمْ، وَقَالَ أَصْحَابُ ابْنِ الزُّبَيْرِ جِدًّا، حَتَّى خَرَجَ إِلَى الْحَجَّاجِ حَمْرَةً وَحُبَيْبُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَأَخَذَا لِأَنْفُسِهِمَا أَمَانًا مِنَ الْحَجَّاجِ فَأَمَنَهُمَا، وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى أُمِّهِ فَشَكَا إِلَيْهَا خِذْلَانَ النَّاسِ لَهُ، وَخُرُوجَهُمْ إِلَى الْحَجَّاجِ حَتَّى أَوْلَادِهِ وَأَهْلِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا الْيَسِيرُ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ صَبْرٌ سَاعَةٍ، وَالْقَوْمُ يُعْطُونَنِي مَا شِئْتُ مِنَ الدُّنْيَا، فَمَا رَأَيْكَ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ، أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ ؛ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ وَتَدْعُو إِلَى حَقٍّ فَاصْبِرْ عَلَيْهِ، فَقَدْ قُتِلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُكَ، وَلَا تُمَكِّنْ مِنْ رَقَبَتِكَ، يَلْعَبُ بِهَا غِلْمَانُ بَنِي أُمَيَّةَ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا أَرَدْتَ الدُّنْيَا فَلْيَبْسُ الْعَبْدَ أَنْتَ ؛ أَهْلَكَتَ نَفْسَكَ وَأَهْلَكَتَ مَنْ قُتِلَ مَعَكَ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى حَقٍّ فَمَا وَهَنَ الدِّينُ، وَإِلَى كَمْ حُلُودُكُمْ فِي الدُّنْيَا؟ الْقَتْلُ أَحْسَنُ. فَدَنَا مِنْهَا، فَقَبَّلَ رَأْسَهَا، وَقَالَ: هَذَا وَاللَّهِ رَأْيِي.

ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا رَكَنْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا أَحْبَبْتُ الْحَيَاةَ فِيهَا، وَمَا دَعَانِي إِلَى الْخُرُوجِ إِلَّا الْعُضْبُ لِلَّهِ أَنْ تُسْتَحَلَ حُرْمَتُهُ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَعْلَمَ رَأْيَكَ، فَزِدْتَنِي بَصِيرَةً مَعَ بَصِيرَتِي، فَانْظُرِي يَا أُمَّاهُ، فَإِنِّي مَقْتُولٌ مِنْ يَوْمِي هَذَا، فَلَا يَشْتَدُّ حُزْنُكَ، وَسَلِّمِي لِأَمْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ ابْنَكَ لَمْ يَتَعَمَّدْ إِنْثَانًا مُنْكَرًا، وَلَا عَمِلَ بِفَاحِشَةٍ قَطُّ، وَلَمْ يَجُرْ فِي حُكْمِ اللَّهِ، وَلَمْ يَغْدُرْ فِي أَمَانٍ، وَلَمْ

يَتَعَمَّدُ ظِلْمَ مُسْلِمٍ وَلَا مُعَاهِدٍ، وَلَمْ يَبْلُغْنِي ظِلْمٌ عَنْ عَامِلٍ فَرَضِيَّتُهُ؛ بَلْ أَنْكَرْتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي
أَثَرٌ مِنْ رِضَا رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَقُولُ هَذَا تَرْكِيَةً لِنَفْسِي، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِي مِنِّي وَمِنْ
غَيْرِي، وَلَكِنِّي أَقُولُ ذَلِكَ تَعَزِيَةً لَأُمِّي لِتَسْلُو عَنِّي. فَقَالَتْ أُمُّهُ: إِنِّي لَأَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ
عَزَائِي فِيكَ حَسَنًا إِنْ تَقَدَّمْتَنِي، أَوْ تَقَدَّمْتُكَ فِي نَفْسِي، اخْرُجْ يَا بُنَيَّ حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَصِيرُ
إِلَيْهِ أَمْرُكَ. فَقَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ يَا أُمُّهُ خَيْرًا، فَلَا تَدْعِي الدُّعَاءَ قَبْلَ وَبَعْدُ لِي. فَقَالَتْ: لَا أَدْعُهُ
أَبَدًا، فَمَنْ قُتِلَ عَلَى بَاطِلٍ فَلَقَدْ قُتِلَتْ عَلَى حَقٍّ.

ثُمَّ قَالَتْ: اللَّهُمَّ ارْحَمْ طُولَ ذَلِكَ الْقِيَامِ فِي اللَّيْلِ الطَّوِيلِ، وَذَلِكَ النَّحِيبِ، وَالظَّمَا فِي
هَوَاجِرِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، وَبَرَّهُ بِأَبِيهِ وَبِي، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ سَلَّمْتُهُ لَأَمْرِكَ فِيهِ، وَرَضِيْتُ بِمَا قَضَيْتَ،
فَقَابَلَنِي فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بَنَوَابِ الصَّابِرِينَ الشَّاكِرِينَ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: اذْنُ مِنِّي أَوْدَعَكَ. فَدَنَا
مِنْهَا فَقَبَّلَتْهُ، ثُمَّ أَخَذَتْهُ إِلَيْهَا فَاخْتَضَعَتْهُ لِتُودِّعَهُ، وَاعْتَنَقَهَا لِتُودِّعَهَا، وَكَانَتْ قَدْ أَصْرَتْ فِي
آخِرِ عُمرِهَا، فَوَجَدَتْهُ لَا بِسَا دِرْعًا مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ، مَا هَذَا لِبَاسُ مَنْ يُرِيدُ مَا تُرِيدُ
مِنَ الشَّهَادَةِ. فَقَالَ: يَا أُمَاهُ، إِنَّمَا لَبِسْتُهُ لِأُطِيبَ حَاطِرُكَ، وَأُسَكِّنَ قَلْبُكَ بِهِ. فَقَالَتْ: لَا يَا
بُنَيَّ، وَلَكِنْ انْزِعْهُ. فَنَزَعَهُ، وَجَعَلَ يَلْبَسُ بَقِيَّةَ ثِيَابِهِ وَيَتَشَدَّدُ، وَهِيَ تَقُولُ: شَمَّرَ ثِيَابَكَ. وَجَعَلَ
يَتَحَقَّقُ مِنْ أَسْفَلِ ثِيَابِهِ؛ لِئَلَّا تَبْدُو عَوْرَتَهُ إِذَا قُتِلَ، وَجَعَلَتْ تُدَكِّرُهُ بِأَبِيهِ الزُّبَيْرِ، وَجَدَّهِ أَبِي
بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَجَدَّتِهِ صَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَحَالَاتِهِ عَائِشَةَ زَوْجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، وَتُرَجِّيهِ الْقُدُومَ عَلَيْهِمْ إِذَا هُوَ قُتِلَ شَهِيدًا، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ عَهْدِهِ
بِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَعَنْ أَبِيهِ وَأُمِّيَّهَا، ثُمَّ قَالَتْ: امْضِ عَلَى بَصِيرَةٍ. فَوَدَّعَهَا، وَخَرَجَ وَهُوَ
يَقُولُ:

وَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسَبَّةٍ وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سَلَامًا

وَكَانَتْ أَبْوَابُ الْحَرَمِ قَدْ قَلَّ مَنْ يَخْرُسُهَا مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ لِأَهْلِ حِمَصَ حِصَارِ
الْبَابِ الَّذِي يُوَاجِهُ بَابَ الْكَعْبَةِ، وَلَأَهْلِ دِمَشْقَ بَابُ بَنِي شَيْبَةَ، وَلَأَهْلِ الْأُرْدُنِّ بَابُ الصَّفَا،
وَلَأَهْلِ فَلَسْطِينَ بَابُ بَنِي جُمَحَ، وَلَأَهْلِ قِنْسَرِينَ بَابُ بَنِي سَهْمٍ، وَعَلَى كُلِّ بَابٍ قَائِدٌ، وَمَعَهُ
أَهْلٌ تِلْكَ الْبِلَادِ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ وَطَارِقُ بْنُ عَمْرِو فِي نَاحِيَةِ الْأَبْطَحِ.
وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لَا يُخْرُجُ عَلَى أَهْلِ بَابٍ إِلَّا فَرَّقَهُمْ وَبَدَّدَ شَمْلَهُمْ، حَتَّى يُخْرِجَهُمْ إِلَى الْأَبْطَحِ، ثُمَّ

يَصِيحُ:

لَوْ كَانَ قَرِينِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ

وَلَقَدْ كَانَ حَجْرُ الْمُنَجَّبِ يَقَعُ عَلَى طَرْفِ ثَوْبِهِ فَلَا يَنْزِعُجُ بِذَلِكَ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ، فَيَقَاتِلُهُمْ كَأَنَّهُ أَسَدٌ ضَارٍ، حَتَّى جَعَلَ النَّاسُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ إِقْدَامِهِ وَشَجَاعَتِهِ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الثَّلَاثَةِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بَاتَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يُصَلِّي طَوْلَ لَيْلَتِهِ، ثُمَّ جَلَسَ فَاحْتَبَى بِحِمِيلَةِ سَيْفِهِ، فَأَغْفَى ثُمَّ انْتَبَهَ مَعَ الْفَجْرِ عَلَى عَادَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَذِنَ يَا سَعْدُ. فَأَذِنَ عِنْدَ الْمَقَامِ، وَتَوَضَّأَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ، ثُمَّ أَقِيَمَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى الْفَجْرَ ثُمَّ قَرَأَ سُورَةَ " ن " حَرْفًا حَرْفًا، ثُمَّ سَلَّمَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَآتَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: مَا أُرَانِي الْيَوْمَ إِلَّا مَقْتُولًا ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنَّ السَّمَاءَ فُرِجَتْ لِي، فَدَخَلْتُهَا، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ مِلْتُ الْحَيَاةَ، وَجَاوَزْتُ سَيِّئَاتِي اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً، اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّ لِقَاءَكَ، فَأَحِبَّ لِقَائِي. ثُمَّ قَالَ: اكْشِفُوا وُجُوهَكُمْ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْكُمْ، فَكَشَفُوا عَنْ وُجُوهِهِمْ وَعَلَيْهِمُ الْمَغَافِرُ، فَحَرَّضَهُمْ وَحَثَّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ وَالصَّبْرِ، ثُمَّ نَهَضَ بِهِمْ، فَحَمَلَ وَحَمَلُوا حَتَّى كَشَفُوهُمْ إِلَى الْحُجُونِ، فَجَاءَتْهُ آجِرَةٌ فَأَصَابَتْهُ فِي وَجْهِهِ، فَارْتَعَشَ لَهَا، فَلَمَّا وَجَدَ سُحُونَةَ الدَّمِ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ بَعْضِهِمْ:

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْمَنَا ... وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطُرُ الدِّمَاءُ

ثُمَّ رَجَعَ، فَجَاءَهُ حَجْرُ مَنْجَبٍ مِنْ وَرَائِهِ فَأَصَابَهُ فِي فَخَاةٍ فَوْقَهُ، ثُمَّ وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ انْتَهَضَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْقِيَامِ، وَابْتَدَرَهُ النَّاسُ، فَشَدَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَضْرَبَ الرَّجُلَ فَقَطَعَ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ مُتَكَيِّئٌ عَلَى مِرْقِيهِ الْأَيْسَرِ، وَجَعَلَ يَضْرِبُ وَمَا يَقْدِرُ أَنْ يَنْتَهِضَ حَتَّى كَثُرُوا عَلَيْهِ، فَابْتَدَرُوهُ بِالسُّيُوفِ، فَقَتَلُوهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَجَاءُوا إِلَى الْحَجَّاجِ فَأَخْبَرُوهُ، فَحَرَّ سَاجِدًا - قَبَّحَهُ اللَّهُ - ثُمَّ قَامَ هُوَ وَطَارِقُ بْنُ عَمْرٍو حَتَّى وَقَفَا عَلَيْهِ، وَهُوَ صَرِيحٌ، فَقَالَ طَارِقُ: مَا وَلَدَتِ النِّسَاءُ أَذْكَرَ مِنْ هَذَا. فَقَالَ الْحَجَّاجُ: تَمْدُحُ مَنْ يُخَالِفُ طَاعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ، هُوَ أَعْدَرُ لَنَا ؛ إِنَّا مُحَاصِرُوهُ وَلَيْسَ هُوَ فِي حِصْنٍ وَلَا حُنْدَقٍ وَلَا مَنَعَةٍ يَنْتَصِفُ مِنَّا، بَلْ يُفْضَلُ عَلَيْنَا فِي كُلِّ مَوْقِفٍ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ صَوَّبَ طَارِقًا. وَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِمَا وَقَعَ، وَبَعَثَ بِرَأْسِ ابْنِ الزُّبَيْرِ مَعَ رَأْسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ، وَعُمَارَةَ بْنِ حَزْمٍ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، وَأَمَرَهُمْ إِذَا مَرُّوا بِالْمَدِينَةِ أَنْ يَنْصُبُوا الرُّءُوسَ بِهَا، ثُمَّ يَسِيرُوا

بِهَا إِلَى الشَّامِ، فَفَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ.

ثُمَّ أَمَرَ الْحَجَّاجُ بِجَنَّةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَصُلِبَتْ عَلَى ثَنِيَّةِ كَدَاءٍ عِنْدَ الْحُجُونِ - يُقَالُ: مُنْكَسَّةٌ - فَمَا زَالَتْ مَصْلُوبَةً حَتَّى مَرَّ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَقَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا أَبَا حُبَيْبٍ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ صَوَامًا قَوَامًا، ثُمَّ قَالَ: أَمَا آنَ لِهَذَا الرَّكَبِ أَنْ يَنْزِلَ؟ فَبَعَثَ الْحَجَّاجُ، فَأُنْزِلَ عَنِ الْجِدْعِ، وَدُفِنَ هُنَاكَ.

وَدَخَلَ الْحَجَّاجُ إِلَى مَكَّةَ، فَأَخَذَ الْبَيْعَةَ مِنْ أَهْلِهَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَلَمْ يَزَلِ الْحَجَّاجُ مُقِيمًا بِمَكَّةَ حَتَّى أَقَامَ لِلنَّاسِ الْحَجَّ عَامَهُ هَذَا أَيْضًا، وَهُوَ عَلَى مَكَّةَ وَالْيَمَامَةِ وَالْيَمَنِ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: حَصَرَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لَيْلَةَ هَالِلِ ذِي الْحِجَّةِ سِنَةَ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ، وَقُتِلَ لِسَبْعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً حُلَّتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى، سِنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، فَكَانَ حَصْرُ الْحَجَّاجِ لَهُ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ، وَسَبْعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً.

الفصل الثالث

ولاية البلدان والحج

ولاية المدينة

كان عامِلُهُ سنة (٦٤هـ) عَلَى الْمَدِينَةِ أَخُوهُ عُبَيْدَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ .
 وَفِي سَنَةِ (٦٥هـ) وَلَّى عَلَى الْمَدِينَةِ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ .
 وَفِي سَنَةِ (٦٨هـ) اسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ جَابِرُ بْنُ الْأَسْوَدِ الزُّهْرِيُّ، وَعَزَلَ عَنْهَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنُ الْأَشْعَثِ ؛ لِكَوْنِهِ ضَرَبَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ سِتِينَ سَوْطًا، فَإِنَّهُ أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يُبَايَعَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ فَاِمْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ فَضَرَبَهُ فَعَزَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ .
 وَفِي سَنَةِ (٧١هـ) عَزَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ جَابِرَ بْنَ الْأَسْوَدِ عَنِ الْمَدِينَةِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا طَلْحَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ، وَكَانَ هُوَ آخِرُ أُمَرَائِهِ عَلَيْهَا، حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهَا طَارِقُ بْنُ عَمْرِو مَوْلَى عُثْمَانَ، مِنْ جِهَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ.

ولاية الكوفة

فِي سَنَةِ (٦٤هـ) وَلَّى عَلَى الْكُوفَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْخَطْمِيُّ، وَعَلَى قَضَائِهَا سَعِيدُ بْنُ نُمَيْرٍ، وَامْتَنَعَ شَرِيحٌ أَنْ يَحْكُمَ فِي زَمَانِ الْفِتْنَةِ .
 وَفِي سَنَةِ (٦٥هـ) وَلَّى عَلَى الْكُوفَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ،
 وَفِي سَنَةِ (٦٨هـ) اسْتَخْلَفَ عَلَى الْكُوفَةِ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيَّ؛ (قُبَاع).

ولاية البصرة

فِي سَنَةِ (٦٤هـ) وَلَّى عَلَى الْبَصْرَةِ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ التَّيْمِيُّ، وَعَلَى قَضَائِهَا هِشَامُ بْنُ هُبَيْرَةَ،
 وَفِي سَنَةِ (٦٥هـ) وَلَّى عَلَى الْبَصْرَةِ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيَّ .
 وَفِي سَنَةِ (٦٨هـ) رَدَّ عَبْدُ اللَّهِ أَخَاهُ مُصْعَبًا إِلَى إِمْرَةِ الْبَصْرَةِ، فَأَتَاهَا فَأَقَامَ بِهَا

ولاية خراسان

فِي سَنَةِ (٦٤هـ) وَلَّى عَلَى خُرَاسَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَازِمٍ.

ولاية الحج

ذكر ابن جرير: أن عبد الله بن الزبير حج بالناس في سنة (٦٤هـ) وما بعدها .
وفي سنة (٦٨هـ) شهد موقف عرفة أربع رايات متباينة، كل واحدة منها لا تأتم بالأخرى،
وكان أول من دفع راية ابن الحنفية، ثم تجده، ثم بنو أمية، ثم دفع ابن الزبير فدفع الناس معه
تعليق :

في تاريخ خليفة بن خياط (ص ٢٦٩) أن ابن الزبير أقام الحج للناس من سنة ٦٤هـ إلى أن
حضر موسم ٧٢هـ ، فحج ابن الزبير بالناس في هذه السنة ولكنه بسبب حصار الحجاج
لمكة لم يستطع أهل مكة الوقوف بعرفة، وحجاج أهل الشام والعراق لم يتمكنوا من الطواف
بالبیت، فيكون مجموع السنوات تسع .
وعند ابن سعد (الطبقة الخامسة من الصحابة ٤٩/٢) أن ابن الزبير حج بالناس عشر سنين
متتالية أولها سنة (٦٢هـ) ، وآخرها سنة (٧١هـ) .
وعند الطبري: (٤٨١/٥) أن الذي حج بالناس سنة (٦٢هـ) هو الوليد بن عتبة بن أبي
سفيان.

خطبة ابن الزبير في اليوم السابع (١)

قال الطبراني: حدثنا زكريا الساجي، ثنا حوثرة بن محمد، ثنا أبو أسامة، ثنا سعيد بن
المرزبان أبو سعيد العباسي، ثنا محمد بن عبد الله الثقفني قال: شهدت خطبة ابن الزبير
بالموسم، خرج علينا قبل التروية بيوم وهو محرم، فلبى بأحسن تلبية سمعناها قط، ثم حمد الله
وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنكم جئتم من آفاق شتى وفوداً إلى الله عز وجل، فحق على
الله أن يكرم وفده، فمن كان منكم يطلب ما عند الله فإن طالب ما عند الله لا يخيب،
فصدقوا قولكم بفعل، فإن ملاك القول الفعل، والنية النية، والقلوب القلوب، الله الله في
أيامكم هذه ؛ فإنها أيام تغفر فيها الذنوب، جئتم من آفاق شتى في غير تجارة، ولا طلب
مال، ولا دنيا ترجونها هاهنا. ثم لبى ولبي الناس، فما رأيت باكياً أكثر من يومئذ.

(١) قلت: وهي من الخطب الماثورة عن النبي ﷺ، ولم تحدد الرواية السنة التي سمع فيها الراوي هذه الخطبة من ابن
الزبير .

مشاهير من توفي في إمارة عبدالله بن الزبير .

١- الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ خَالِدٍ أَبُو أُتَيْسٍ الْفَهْرِيُّ، أَحَدَ الصَّحَابَةِ عَلَى الصَّحِيحِ، وَقَدْ سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَوَى عَنْهُ أَحَادِيثٌ عِدَّةٌ، وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ، وَهُوَ أَخُو فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ وَكَانَتْ أَكْبَرُ مِنْهُ بِعَشْرِ سِنِينَ، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ عَمَّهُ. وَقَدْ شَهِدَ فَتَحَ دِمَشْقَ .

ثُمَّ اسْتَنَابَهُ مُعَاوِيَةُ عِنْدَهُ عَلَى دِمَشْقَ، فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ حَتَّى مَاتَ مُعَاوِيَةُ، وَتَوَلَّى ابْنُهُ يَزِيدُ، ثُمَّ ابْنُ ابْنِهِ مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ .

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، ثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَنَّبَانَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ كَتَبَ إِلَى قَيْسِ بْنِ الْهَيْثَمِ حِينَ مَاتَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، فِتْنًا كَقَطْعِ الدُّخَانِ، يَمُوتُ فِيهَا قَلْبُ الرَّجُلِ كَمَا يَمُوتُ بَدَنُهُ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامٌ خَلَاقَهُمْ وَدِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ » " . وَإِنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ قَدْ مَاتَ، وَأَنْتُمْ إِخْوَانُنَا وَأَشِقَاؤُنَا فَلَا تَسْبِقُونَا حَتَّى نَخْتَارَ لِأَنْفُسِنَا. (١) قُتِلَ الضَّحَّاكُ، رَحِمَهُ اللَّهُ، يَوْمَ مَرْجِ رَاهِطٍ، وَذَلِكَ لِلنَّصَفِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ.

٢- الثُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ بْنُ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ وَأُمُّهُ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ، وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ لِلْأَنْصَارِ، فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثِنْتَيْنِ مِنَ الْهَجْرَةِ، «فَأَتَتْ بِهِ أُمُّهُ تَحْمِلُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَنَكَهُ وَبَشَّرَهَا بِأَنَّهُ يَعِيشُ حَمِيدًا، وَيُقْتَلُ شَهِيدًا، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ» (٢)

فَعَاشَ فِي حَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَوَلِيَ نِيَابَةَ الْكُوفَةِ لِمُعَاوِيَةَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ سَكَنَ الشَّامَ، وَوَلِيَ قَضَاءَهَا بَعْدَ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، وَمِنْ أَحَادِيثِهِ الصَّحَاحِ الْحِسَانِ مَا سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا

(١) المسند ٣/ ٤٥٣ وقال الهيثمي في المجمع: ٣٠٨/٧ رواه أحمد والطبراني من طريق فيها علي بن زيد وهو سيئ الحفظ وقد وثق وبقي رجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) لفظة (يعيش حميدا ويقتل شهيدا) لم نثر عليها في كتب السنن في حق الثعمان .

يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ « . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. (١)

ولما تحولت حمص إل بني مروان خرج منها فتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله سنة (٦٤هـ) .
٣- الْمِسُورُ بْنُ مُحَرَّمَةَ بْنِ نَوْفَلٍ الزَّهْرِي ، صَحَابِيُّ صَغِيرٌ، أَصَابَهُ حَجَرُ الْمَنْجَنِيْقِ بِمَكَّةَ، سنة (٦٤هـ) وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْحِجْرِ. وهو من أعيان من قُتِلَ فِي حِصَارِ مَكَّةِ الْأَوَّلِ، وله صحبة ورواية، ووفد على معاوية، وكان ممن يلزم عمر بن الخطاب، أمه عاتكة أخت عبد الرحمن بن عوف ، ولد المسور بمكة بعد الهجرة بسنتين .

٤- مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ، أَبُو عَبْدِ الْمَلِكِ، وَهُوَ صَحَابِيُّ عِنْدَ طَائِفَةٍ كَثِيرَةٍ ؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ حَدِيثَ صَلَاحِ الْحَدِيثِيَّةِ عَنْ مَرْوَانَ وَالْمِسُورَ .
وَذَكَرَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنَ التَّابِعِينَ. وَقَدْ كَانَ مَرْوَانُ مِنْ سَادَاتِ فُرَيْشٍ وَفُضَلَائِهَا. (٢)

وَقَدْ كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ يُكْرِمُهُ وَيُعَظِّمُهُ، وَكَانَ كَاتِبَ الْحُكْمِ بَيْنَ يَدَيْهِ.
وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: كَانَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجَمَلِ حِينَ انْهَزَمَ النَّاسُ يُكْثِرُ السُّؤَالَ عَنْ مَرْوَانَ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّهُ تَعَطَّفَنِي عَلَيْهِ رَجُلٌ مَاسَّةٌ، (٣)
وَقَدْ اسْتَنَابَهُ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْمَدِينَةِ غَيْرَ مَرَّةٍ، يَعْزِلُهُ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِلَيْهَا، وَأَقَامَ لِلنَّاسِ الْحَجَّ فِي سِنِينَ مُتَعَدِّدَةٍ. وَقَالَ حَنْبَلٌ عَنْ الْإِمَامِ أَحْمَدَ قَالَ: يُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ عِنْدَ مَرْوَانَ قَضَاءٌ، وَكَانَ يَتَّبِعُ قَضَاءَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

وَلَمَّا كَانَ نَائِبًا بِالْمَدِينَةِ كَانَ إِذَا وَقَعَتْ مُعْضَلَةٌ جَمَعَ مَنْ عِنْدِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَاسْتَشَارَهُمْ فِيهَا. قَالُوا: وَهُوَ الَّذِي جَمَعَ الصَّيْعَانَ، فَأَخَذَ بِأَعْدَهَا، فَنُسِبَ إِلَيْهِ الصَّاعُ، فَقِيلَ: صَاعُ مَرْوَانَ.

(١) صحيح البخاري (٢٠٥١) ومسلم (١٥٩٩).

(٢) البداية والنهاية ٧٠٦/١١.

(٣) المصدر السابق ٧٠٧/١١.

مَاتَ مَرْوَانُ بِدِمَشْقَ لثَلَاثِ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ وَسِتِّينَ وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ، وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا. وَقَالَ غَيْرُهُ: عَشْرَةَ أَشْهُرٍ.

٥- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْأَوْسِيُّ شَهِدَ الْحَدِيثَةَ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٦٨هـ)

٦- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ الْعَدَوِيُّ ابْنُ أَخِي عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُوفِّيَ بِالْمَدِينَةِ فِي سَنَةِ (٦٨هـ) عَنْ نَحْوِ سَبْعِينَ سَنَةً.

٧- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ، شَاعِرُ كَأْبِيهِ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٦٨هـ).

٨- زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ بْنِ زَيْدٍ، صَحَابِيُّ جَلِيلٍ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٦٨هـ)

٩- أَبُو شُرَيْحٍ الْخَزَاعِيُّ الْعَدَوِيُّ الْكَعْبِيُّ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٦٨هـ).

١٠- أَبُو وَقْدٍ اللَّيْثِيُّ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٦٨هـ).

١١- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ أَبُو الْعَبَّاسِ الْهَاشِمِيُّ بْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَبْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَمُفَسِّرُ كِتَابِ اللَّهِ وَتَرْجُمَانُهُ، كَانَ يُقَالُ لَهُ: الْحَبْرُ وَالْبَحْرُ، رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا كَثِيرًا، وَعَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَأَخَذَ عَنْهُ خَلْقٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَأُمَمٌ مِنَ التَّابِعِينَ، وَلَهُ مُفْرَدَاتٌ لَيْسَتْ لغيرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ لَا تَسَاعِ عِلْمِهِ وَكَثْرَةُ فَهْمِهِ وَكَمَالُ عَقْلِهِ وَسِعَةُ فَضْلِهِ وَنُبْلُ أَصْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

وَبُتِّبَ عَنْهُ فِي "الصَّحِيحِ" أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِنَ الْمُسْتَضْعِفِينَ؛ كَانَتْ أُمِّي مِنَ النِّسَاءِ وَكُنْتُ أَنَا مِنَ الْوِلْدَانِ. وَهَاجَرَ مَعَ أَبِيهِ قَبْلَ الْفَتْحِ،

وَصَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حِينِئذٍ وَلَزِمَهُ وَأَخَذَ عَنْهُ وَحَفِظَ، وَضَبَطَ الْأَقْوَالَ وَالْأَفْعَالَ وَالْأَحْوَالَ، وَأَخَذَ عَنِ الصَّحَابَةِ عِلْمًا عَظِيمًا مَعَ الْفَهْمِ الثَّاقِبِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ وَالْجَمَالِ وَالْمَلَاخَةِ وَالْأَصَالَةَ وَالْبَيَانَ، وَدَعَا لَهُ رَسُولُ الرَّحْمَنِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، ثَنَا وَرْقَاءُ، سَمِعْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي يَزِيدَ يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخُلَاءَ فَوَضَعْتُ لَهُ

وُضُوءًا، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: مَنْ وَضَعَ ذَا؟ فَقِيلَ: ابْنُ عَبَّاسٍ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ فَهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِمُهُ التَّأْوِيلُ» (١) وَقَدْ أَسْنَدَ أَلْفًا وَسِتِّمِائَةً وَسَبْعِينَ حَدِيثًا. (٢)

وكانت وفاته بالطائف سنة (٦٨هـ) وصلى عليه محمد ابن الحنفية .

١٢- عاصم بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، وتوفي في سنة (٧٠هـ).

وأمه: جميلة بنت ثابت بن أبي الأفلح. ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يرو إلا عن أبيه حديثًا واحدًا، " إذا أقبل الليل من هاهنا " الحديث.

١٣- قبيصة بن جابر بن وهب الأسدي الكوفي أبو العلاء، من كبار التابعين، شهد خطبة عمر بالجابية، وكان أختًا معاوية من الرضاعة، وكان من المُصَحَّاءِ البُلغَاءِ، وتوفي في سنة (٧٠هـ).

١٤- قيس بن ذريح، أبو يزيد، اللثمي الشاعر المشهور، من بادية الحجاز، وتوفي في سنة (٧٠هـ).

١٥- يزيد بن زياد بن ربيعة الحميري الشاعر، كان كثير الشر والهجو، وتوفي في سنة (٧٠هـ).

١٦- بشير بن النضر قاضي مصر، كان رزقه في العام ألف دينار. توفي بمصر، سنة (٧٠هـ).

١٧- مالك بن يخامر السكسكي الألهاني الحمصي تابعي جليل. وكان من أخص أصحاب معاذ بن جبل، رضي الله عنه، وتوفي في سنة (٧٠هـ).

١٨- مصعب بن الزبير بن العوام بن حويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، أبو عبد الله القرشي - ويُقال له: أبو عيسى - الأسدي. وأمّه الرّباب بنت أنيف الكلبيّة. كان من أحسن الناس وجهًا، وأشجعهم قلبًا، وأسخاهم كفاً، وتوفي في سنة (٧١هـ).

١٩- إبراهيم بن الأشتر النخعي، كان أبوه الأشتر من كبار أمراء علي، واستعمله علي على خراسان وهو ممن قام على عثمان، وكان إبراهيم من الأمراء المعروفين بالشجاعة وله شرف، وهو الذي قتل عبيد الله بن زياد، وتوفي في سنة (٧١هـ).

(١) المسند ٣٢٧/١، ٢٢٥/٤، ١٥٩/٥، ٢١٥، والبخاري (١٤٣) ومسلم (٢٤٧٧) وعلمه التأويل ليست في الصحيحين.

(٢) البداية والنهاية ١١٢/١٢.

- ٢٠- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِزَى الْخَزَاعِيُّ لَهُ صُحْبَةٌ وَرَوَايَةٌ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلِيُّ عَلَى خُرَاسَانَ، وَسَكَنَ الْكُوفَةَ وَوَلِيَهَا مَرَّةً. وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٧١هـ) بِالْكُوفَةِ.
- ٢١- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُسَيْلَةَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمُرَادِيُّ الصَّنَائِجِيُّ، وَكَانَ عَالِمًا فَاضِلًا مِنْ الصُّلَحَاءِ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٧١هـ) بِدِمَشْقَ.
- ٢٢- عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ الْمَخْزُومِيُّ الْمَدَنِيُّ رِيبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وُلِدَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَكَانَ عِنْدَ أُمِّهِ؛ أُمِّ سَلَمَةَ. وَلَهُ رَوَايَاتٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٧١هـ).
- ٢٣- سَفِينَةُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَانَ عَبْدًا لِأُمِّ سَلَمَةَ فَأَعْتَقَتْهُ وَشَرَطَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَخْدُمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَنَا لَا أَزَالُ أَحْدِمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَوْ لَمْ تُعْتِقْنِي مَا عِشْتُ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٧١هـ).
- ٢٤- عَمْرُو بْنُ أَخْطَبِ أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ الْأَعْرَجُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، وَمَسَحَ رَأْسَهُ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ»^(١)، فَبَلَغَ مِائَةَ سَنَةٍ وَلَمْ يَبْيَضْ شَعْرُهُ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٧١هـ) بِالْبَصْرَةِ.
- ٢٥- غُضَيْفُ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ زُنَيْمٍ السَّكُونِيُّ مُحْتَلَفٌ فِي صُحْبَتِهِ، لَهُ رَوَايَاتٌ عَنِ الصَّحَابَةِ. سَكَنَ حِمَصَ، وَكَانَ يَتَوَلَّى صَلَاةَ الْجُمُعَةِ نِيَابَةً عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٧١هـ).
- ٢٦- يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيُّ السَّكُونِيُّ كَانَ عَابِدًا زَاهِدًا صَالِحًا، سَكَنَ الشَّامَ. وَقَدْ اسْتَسْقَى بِهِ مُعَاوِيَةَ، وَالضَّحَّاكَ بْنُ قَيْسٍ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٧١هـ).
- ٢٧- عَمْرُو بْنُ الْأَسْوَدِ، أَبُو عِيَاضٍ، الْعَنْسِيُّ الْحِمَصِيُّ، مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ بِالشَّامِ، صَاحِبُ زُهْدٍ وَعِبَادَةٍ وَاجْتِهَادٍ، قَلِيلُ التَّشْيِيعِ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٧١هـ) بِحِمَصَ.
- ٢٨- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمِ بْنِ أَسْمَاءِ السُّلَمِيِّ، أَبُو صَالِحِ الْبَصْرِيِّ، أَمِيرُ خُرَاسَانَ، أَحَدُ الشُّجْعَانِ الْمَدْكُورِينَ، وَالْفُرْسَانِ الْمَشْكُورِينَ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٧٢هـ).
- ٢٩- الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُصَيْنٍ، التَّمِيمِيُّ السَّعْدِيُّ، أَبُو بَحْرٍ الْبَصْرِيُّ وَكَانَ

سَيِّدًا شَرِيفًا مُطَاعًا مُؤْمِنًا، عَلِيمَ اللِّسَانِ، وَكَانَ يُضْرَبُ بِحِلْمِهِ الْمَثَلُ، تُؤْفَى بِالْكُوفَةِ فِي سَنَةِ (٧٢هـ).

٣٠- الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ بْنِ الْحَارِثِ الْأَنْصَارِيُّ الْأَوْسِيُّ، صَحَابِيُّ جَلِيلٍ، وَأَبُوهُ أَيْضًا صَحَابِيُّ، رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً، وَتُؤْفَى فِي سَنَةِ (٧٢هـ) بِالْكُوفَةِ .

٣١- عَبِيدَةُ بْنُ عَمْرِو السَّلْمَانِيُّ الْمُرَادِيُّ الْقَاضِي ، وَرَوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَعَلِيٍّ وَابْنِ الزُّبَيْرِ، وَحَدَّثَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: كَانَ يُوَازِي شَرِيحًا فِي الْقَضَاءِ، وَتُؤْفَى فِي سَنَةِ (٧٢هـ).

٣٢- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّائِبِ بْنِ صَيْفِيٍّ الْمَحْزُومِيُّ، قَارِئُ أَهْلِ مَكَّةَ، لَهُ صُحْبَةٌ وَرِوَايَةٌ، وَقَرَأَ عَلَى أَبِي بَنٍ كَعْبٍ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ، وَتُؤْفَى فِي سَنَةِ (٧٢هـ).

٣٣- عَطِيَّةُ بْنُ بُسْرِ الْمَازِنِيُّ لَهُ صُحْبَةٌ وَرِوَايَةٌ، وَتُؤْفَى فِي سَنَةِ (٧٢هـ) بِالْمَدِينَةِ.

٣٤- عَبِيدُ بْنُ نَضْلَةَ، أَبُو مُعَاوِيَةَ، الْخَزَاعِيُّ الْكُوفِيُّ مُقَرَّرُ أَهْلِ الْكُوفَةِ، مَشْهُورٌ بِالْخَيْرِ وَالْعِبَادَةِ، وَتُؤْفَى فِي سَنَةِ (٧٢هـ) بِالْكُوفَةِ .

٣٥- عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ، الْقُرَشِيُّ الْعَامِرِيُّ أَحَدُ الشُّعْرَاءِ، وَتُؤْفَى فِي سَنَةِ (٧٢هـ).

٣٦- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَمَّامٍ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّاعِرُ، السَّلُولِيُّ أَحَدُ الشُّعْرَاءِ الْفُصَحَاءِ، وَتُؤْفَى فِي سَنَةِ (٧٢هـ).

٣٧- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفِ الْجُمَحِيِّ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ صَبَرَ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ حِينَ حَصَرَهُ الْحَجَّاجُ، حَتَّى قُتِلَ سَنَةَ (٧٣هـ).

٣٨- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ حَارِثَةَ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ الْمَدَنِيِّ، وُلِدَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَنَّكَهُ، وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ، وَتُؤْفَى فِي سَنَةِ (٧٣هـ).

٣٩- عَوْفُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَوْفٍ الْأَشْجَعِيُّ الْغَطَفَانِيُّ، صَحَابِيُّ جَلِيلٍ، شَهِدَ مُؤْتَةَ ، وَشَهِدَ الْفَتْحَ، وَكَانَتْ مَعَهُ رَايَةُ قَوْمِهِ يَوْمَئِذٍ، وَشَهِدَ فَتْحَ الشَّامِ، وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَادِيثَ، وَتُؤْفَى فِي سَنَةِ (٧٣هـ).

٤٠- أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَالِدَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ النَّطَاقَيْنِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ عَامَ الْهِجْرَةِ حِينَ شَقَّتْ نِطَاقَهَا، وَرَبَطَتْ بِهِ سُنْفَرَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ حِينَ خَرَجَا إِلَى غَارِ ثَوْرٍ لِلْهِجْرَةِ. وَأُمُّهَا قُتَيْلَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْعُزَّى مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ.

أَسْلَمَتْ أَسْمَاءُ قَدِيمًا، وَهُمْ بِمَكَّةَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، وَهَاجَرَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا الزُّبَيْرُ، وَقَدْ عُمِّرَتْ أَسْمَاءُ دَهْرًا صَالِحًا وَأَضَرَّتْ فِي آخِرِ عُمُرِهَا، وَأَذْرَكَتْ قَتْلَ وَلَدِهَا سَنَةَ (٧٣هـ)، ثُمَّ عَاشَتْ بَعْدَهُ مِائَةَ يَوْمٍ. وَهُوَ الْأَشْهُرُ، وَبَلَغَتْ مِنَ الْعُمُرِ مِائَةَ سَنَةٍ،

٤١- زَيْنَبُ بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ الْمَخْزُومِيَّةُ رَبِيبَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَدَتْهَا أُمُّهَا بِالْحَبَشَةِ، وَلَهَا رِوَايَةٌ وَصُحْبَةٌ، وَتُوفِّيَتْ فِي سَنَةِ (٧٣هـ).

خلافة

عبد الملك بن مروان

٧٣-٨٦

الفصل الأول

ترجمته وخلافته

نسبه وأسرته

عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ، أَبُو الْوَلِيدِ الْأُمَوِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ،
وَأُمُّهُ عَائِشَةُ بِنْتُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ.
كَانَ مَوْلَدُهُ فِي سَنَةِ سِتِّ وَعِشْرِينَ.

أَوْلَادُهُ وَأَزْوَاجُهُ

الْوَلِيدُ، وَسَلَيْمَانُ، وَمَرْوَانُ الْأَكْبَرُ - دَرَج - وَعَائِشَةُ، وَأُمُّهُمْ وَلَادَةُ بِنْتُ الْعَبَّاسِ بْنِ جَزْءِ
بْنِ الْحَارِثِ الْعَبْسِيِّ.
وَيَزِيدُ، وَمَرْوَانُ الْأَصْغَرُ، وَمُعَاوِيَةُ - دَرَج - وَأُمُّ كُلثُومٍ، وَأُمُّهُمْ عَاتِكَةُ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ
أَبِي سُفْيَانَ.
وَهِشَامُ، وَأُمُّهُ عَائِشَةُ بِنْتُ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيِّ.
وَأَبُو بَكْرٍ، وَاسْمُهُ بَكَّارٌ، وَأُمُّهُ عَائِشَةُ بِنْتُ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ التَّيْمِيِّ،
وَالْحَكَمُ - دَرَج - وَأُمُّهُ أُمُّ أَيُّوبَ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَقَانَ الْأُمَوِيِّ،
وَفَاطِمَةُ، وَأُمُّهَا أُمُ الْمُغِيرَةِ بِنْتُ الْمُغِيرَةِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ.
وَعَبْدُ اللَّهِ، وَمَسْلَمَةُ، وَالْمُنْذِرُ، وَعَنْبَسَةُ، وَمُحَمَّدٌ، وَسَعْدُ الْخَيْرِ، وَالْحَجَّاجُ لِأُمَّهَاتِ أَوْلَادِ شَتَّى.
فَكَانَ جُمْلَةُ أَوْلَادِهِ تِسْعَةَ عَشَرَ ؛ ذُكُورًا وَإِنَاثًا.

صفاته

كَانَ أَبْيَضَ رُبْعَةً مِنَ الرِّجَالِ أَقْرَبَ إِلَى الْقَصْرِ، لَيْسَ بِالتَّحِيْفِ وَلَا الْبَادِنِ، كَانَ مَقْرُونُ
الْحَاجِبَيْنِ، أَشْهَلَ كَبِيرِ الْعَيْنَيْنِ، دَقِيقَ الْأَنْفِ، مُشْرِقَ الْوَجْهِ، أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ، حَسَنَ
الْوَجْهِ، لَمْ يَخْضِبْ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ خَضَبَ بَعْدَ ذَلِكَ. وَكَانَتْ أَسْنَانُهُ مُشَبَّكَةً بِالذَّهَبِ.
وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَبْلَ الْخِلَافَةِ مِنَ الْعُبَادِ الرَّهَادِ الْفُقَهَاءِ، الْمُلَازِمِينَ لِلْمَسْجِدِ، التَّالِينَ
لِلْقُرْآنِ،

وَقَالَ الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ: كَانَ فُقَهَاءُ الْمَدِينَةِ أَرْبَعَةً: سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعُرْوَةُ، وَقَبِيصَةُ بْنُ دُؤَيْبٍ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ؛ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ فِي الْإِمَارَةِ.
سَمِعَ عُثْمَانَ بْنُ عَقَّانَ، وَشَهِدَ الدَّارَ مَعَ أَبِيهِ، وَلَهُ عَشْرُ سِنِينَ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ
وَلَهُ سِتُّ عَشْرَةَ سَنَةً، وَلَهُ إِيَّاهَا مُعَاوِيَةُ، وَكَانَ يُجَالِسُ الْفُقَهَاءَ وَالْعُلَمَاءَ وَالْعَبَادَ وَالصُّلَحَاءَ.
وَرَوَى الْحَدِيثَ عَنْ أَبِيهِ، وَجَابِرٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَابْنِ عُمَرَ، وَمُعَاوِيَةَ،
وَأُمِّ سَلَمَةَ، وَبَرِيرَةَ مَوْلَاةَ عَائِشَةَ.

وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ: خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ، وَعُرْوَةُ، وَالزُّهْرِيُّ، وَعَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، وَرَجَاءُ
بْنُ حَيَوَةَ، وَجَرِيرُ بْنُ عُثْمَانَ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَتِّمَةَ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سُمِّيَ فِي الْإِسْلَامِ بِعَبْدِ الْمَلِكِ.
وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: مَا جَالَسْتُ أَحَدًا إِلَّا وَجَدْتُ لِي الْفَضْلَ عَلَيْهِ إِلَّا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ
؛ فَإِنِّي مَا ذَاكُرْتُهُ حَدِيثًا إِلَّا زَادَنِي فِيهِ، وَلَا شِعْرًا إِلَّا زَادَنِي فِيهِ.

قال ابن كثير :

وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَهُ إِقْدَامٌ عَلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ، وَكَانَ عُمَّالُهُ عَلَى مَذْهَبِهِ ؛ مِنْهُمْ الْحَجَّاجُ
وَالْمُهَلَّبُ وَغَيْرُهُمْ، وَكَانَ حَازِمًا فَهَمًّا فَطِنًا، سَائِسًا لِأُمُورِ الدُّنْيَا، لَا يَكِلُ أَمْرَ دُنْيَاةٍ إِلَى غَيْرِهِ.

بيعته بالخلافة

بُوعِيَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ، فِي خِلَافَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَبَقِيَ عَلَى
الشَّامِ وَمِصْرَ مُدَّةَ سَبْعِ سِنِينَ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى بَاقِي الْبِلَادِ، ثُمَّ اسْتَقَلَّ بِالْخِلَافَةِ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ
عَلَيْهِ بَعْدَ مَقْتَلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ .

فَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنْهَا تِسْعُ سِنِينَ مُشَارِكًا لِابْنِ الزُّبَيْرِ، وَثَلَاثَ
عَشْرَةَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفٍ مُسْتَقِلًّا بِالْخِلَافَةِ وَحْدَهُ.

وَكَانَ قَاضِيَهُ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، وَكَاتِبُهُ رَوْحُ بْنُ زَنْبَاعٍ، وَحَاجِبُهُ يُوسُفُ مَوْلَاهُ، وَصَاحِبُ
بَيْتِ الْمَالِ وَالْخَاتَمِ قَبِيصَةُ بْنُ دُؤَيْبٍ، وَعَلَى شَرْطَتِهِ أَبُو الرُّعَيْزَةِ.

بيعة ابن عمر له

قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: لَمَّا بُويعَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَقْتَلِ ابْنِ الزَّيْبِرِ، كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّكَ رَاعٍ، وَكُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} [النساء: ٨٧] ؟ لَا أَحَدٌ، وَالسَّلَامُ. وَبَعَثَ بِهِ مَعَ سَالِمٍ، فَوَجَدُوا عَلَيْهِ ؛ إِذْ قَدَّمَ اسْمُهُ عَلَى اسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ نَظَرُوا فِي كُتُبِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَوَجَدُوهَا كَذَلِكَ، فَاحْتَمَلُوا ذَلِكَ مِنْهُ.

مناقبه وأقواله:

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: ثَنَا عَبَّادُ بْنُ سَلَمٍ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: رَكِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بَكْرًا، فَأَنْشَأَ قَائِدُهُ يَقُولُ:

يَا أَيُّهَا الْبَكْرُ الَّذِي أَرَاكَ ... عَلَيْكَ سَهْلُ الْأَرْضِ فِي مُمَشَاكَ
وَيُحْكُ هَلْ تَعْلَمُ مَنْ عَلَاكَ ... خَلِيفَةُ اللَّهِ الَّذِي امْتَطَاكَ
لَمْ يَحْبُ بَكْرًا مِثْلَ مَا حَبَاكَ

فَلَمَّا سَمِعَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ قَالَ: إِيَّهَا يَا هَنَاهُ، قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِعَشْرَةِ آلَافٍ.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: قِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ: أَسْرَعَ إِلَيْكَ الشَّيْبُ. فَقَالَ: وَكَيْفَ لَا وَأَنَا أَعْرِضُ عَقْلِي عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ!

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: سَمِعْتُ عَبْدَ الْمَلِكِ يَقُولُ فِي حُطْبَتِهِ: إِنَّ الْعِلْمَ سَيُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ فَلْيُظْهِرْهُ، غَيْرَ عَالٍ فِيهِ وَلَا جَافٍ عَنْهُ.

وَقَالَ الْأَعْمَشُ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ

يَشْكُو الْحُجَّاجَ، وَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا خَدَمَ عِيسَى لَيْلَةً وَاحِدَةً، أَوْ رَأَى فَعَرَفْتَهُ النَّصَارَى لَنَزَلَ عَنْهُمْ مَنْزِلَةٌ، وَلَعَرَفُوا لَهُ ذَلِكَ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا خَدَمَ مُوسَى أَوْ رَأَى فَعَرَفْتَهُ الْيَهُودُ فَذَكَرَ نَحْوَهُ، وَإِنِّي خَادِمُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبُهُ، وَإِنَّ الْحُجَّاجَ قَدْ أَضَرَّ بِي وَفَعَلَ وَفَعَلَ. قَالَ: فَأَخْبَرَنِي مَنْ شَهِدَ عَبْدَ الْمَلِكِ يَقْرَأُ الْكِتَابَ وَهُوَ يَبْكِي، وَبَلَغَ بِهِ الْعُضْبُ

مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْحُجَّاجِ بِكِتَابٍ غَلِيظٍ، فَجَاءَ إِلَى الْحُجَّاجِ، فَقَرَأَهُ فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، ثُمَّ قَالَ إِلَى حَامِلِ الْكِتَابِ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ نَتَرْضَاهُ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: سَأَلَ رَجُلٌ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يَخْلُو بِهِ، فَأَمَرَ مَنْ عِنْدَهُ بِالْإِنْصِرَافِ، فَلَمَّا تَهَيَّأَ الرَّجُلُ لِيَتَكَلَّمَ، قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: إِيَّاكَ أَنْ تَمْدَحَنِي؛ فَإِنِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْكَ، أَوْ تَكْذِبَنِي؛ فَإِنَّهُ لَا رَأْيَ لِكَذُوبٍ، أَوْ تَسْعَى إِلَيَّ بِأَحَدٍ، وَإِنْ شِئْتَ أَقْلُتُكَ. فَقَالَ الرَّجُلُ: أَقْلِنِي. فَأَقَالَهُ.

وَقِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ: أَيُّ الرِّجَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ، وَزَهَدَ عَنْ قُدْرَةٍ، وَتَرَكَ النُّصْرَةَ عَنْ قُوَّةٍ.

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ: (١) قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِمُؤَدِّبِ أَوْلَادِهِ - وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْمُهَاجِرِ -: عَلِّمُهُمُ الصِّدْقَ كَمَا تُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ، وَجَنِّبُهُمُ السَّفِلَةَ؛ فَإِنَّهُمْ أَسْوَأُ النَّاسِ رِعَةً، وَأَقْلَهُمُ أَدَبًا، وَجَنِّبُهُمُ الْحَشَمَ؛ فَإِنَّهُمْ هُمْ مَفْسَدَةٌ، وَأَخْفِ شُعُورَهُمْ، تَغْلُظْ رِقَابَهُمْ، وَأَطْعِمُهُمُ اللَّحْمَ يَفْقُوهَا، وَعَلِّمُهُمُ الشَّعْرَ يَمْجُدُوهَا وَيُنْجِدُوهَا، وَمُرَّهُمْ أَنْ يَسْتَاكُوا عَرْضًا، وَيَمْصُوا الْمَاءَ مَصًّا، وَلَا يَعْبُوهَا عَبًّا، وَإِذَا اخْتَجَّتْ أَنْ تَتَنَاوَهُمْ بِأَدَبٍ؛ فَلْيَكُنْ ذَلِكَ فِي سِرٍّ لَا يَعْلَمُ بِهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْعَاشِيَةِ، فَيَهْوُوا عَلَيْهِمْ.

وَكَتَبَ زُرَّ بْنُ حُبَيْشٍ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ كِتَابًا، (٢) وَفِي آخِرِهِ: وَلَا يُطِمِعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي طُولِ الْبَقَاءِ مَا يَظْهَرُ لَكَ مِنْ صِحَّتِكَ، فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ، وَادْكُرْ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الْأَوَّلُونَ:

إِذَا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادَهَا ... وَبَلَيْتُ مَنْ كَبِرَ أَجْسَادُهَا
وَجَعَلْتُ أَسْقَامُهَا تَعْتَادُهَا ... تِلْكَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا
فَلَمَّا قَرَأَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بَكَى حَتَّى بَلَ طَرْفَ نَوْبِهِ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ زُرُّ، وَلَوْ كَتَبَ إِلَيْنَا بَعْضُ هَذَا كَانَ أَرْفَقَ.

وَسَمِعَ عَبْدُ الْمَلِكِ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ يَذْكُرُونَ سِيرَةَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: إِيَّهَا عَنْ

(١) تاريخ دمشق ٢٧٤/٤٣

(٢) موسوعة ابن أبي الدنيا، العمر والشيب ٢٢٧/٤

ذَكَرَ عُمَرُ؛ فَإِنَّهُ إِزْرَاءٌ عَلَى الْوَلَاةِ، مَفْسَدَةٌ لِلرَّعِيَّةِ. (١)

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: حُطِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَوْمًا حُطْبَةً بَلِيغَةً، ثُمَّ قَطَعَهَا وَبَكَى بُكَاءً شَدِيدًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ إِنَّ دُنُوبِي عَظِيمَةٌ، وَإِنَّ قَلِيلَ عَفْوِكَ أَعْظَمُ مِنْهَا، اللَّهُمَّ فَاْمَحْ بِقَلِيلِ عَفْوِكَ عَظِيمَ دُنُوبِي. قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنَ فَبَكَى، وَقَالَ: لَوْ كَانَ كَلَامٌ يُكْتَبُ بِالذَّهَبِ لَكُتِبَ هَذَا الْكَلَامُ. (٢) وَقَدْ رُوِيَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ نَحْوَ ذَلِكَ.

وَقَالَ أَبُو مُسْهَرٍ: (٣) قِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ فَقَالَ: أَجِدُنِي كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ} [الأنعام: ٩٤] الْآيَةَ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: (٤) لَمَّا اخْتُصِرَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَمَرَ بِفَتْحِ الْأَبْوَابِ مِنْ قَصْرِهِ، فَسَمِعَ قَصَارًا، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: قَصَارٌ. فَقَالَ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ قَصَارًا. فَلَمَّا بَلَغَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ قَوْلَهُ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهُمْ يَفْرُونَ إِلَيْنَا وَلَا نَفِرُ إِلَيْهِمْ.

وَبُرُوى أَنَّهُ قَالَ: اذْفَعُونِي، فَرَفَعُوهُ حَتَّى شَمَّ الْهَوَاءَ، وَقَالَ: يَا دُنْيَا، مَا أَطْيَبِكَ! إِنَّ طَوِيلَكَ لَقَصِيرٌ، وَإِنَّ كَثِيرَكَ لَحَقِيرٌ، وَإِنْ كُنَّا بِكَ لَفِي غُرُورٍ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِدِمَشْقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي النَّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِينَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ الْوَلِيدُ وَلِيُّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ.

وَكَانَ عُمُرُهُ يَوْمَ مَاتَ سِتِّينَ سَنَةً، قَالَهُ: أَبُو مَعْشَرٍ، وَصَحَّحَهُ الْوَاقِدِيُّ، وَدُفِنَ بِبَابِ الْجَنَابَةِ الصَّغِيرِ.

(١) تاريخ دمشق ٢٧٧/٤٣

(٢) المصدر السابق ٢٧٨/٤٣

(٣) المصدر السابق ٢٨٠/٤٣

(٤) المصدر السابق ٢٨٢/٤٣

الفصل الثاني الأحداث في عهده

بناء قبة الصخرة في بيت المقدس

قَالَ صَاحِبُ مِرْآةِ الزَّمَانِ (١): وَفِي سَنَةِ (٦٦هـ) ابْتَدَأَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بِنَاءَ الْقُبَّةِ عَلَى صَخْرَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَعِمَارَةَ الْجَامِعِ الْأَقْصَى، وَكَمَلَتْ عِمَارَتُهُ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَلَمَّا أَرَادَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِنَاءَهَا سَارَ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَمَعَهُ الْأَمْوَالُ وَالْعُمَالُ، وَوَكَّلَ بِالْعَمَلِ رَجَاءَ بْنَ حَيَّوَةَ، وَيَزِيدَ بْنَ سَلَامٍ مَوْلَاهُ، وَجَمَعَ الصُّنَّاعَ وَالْمُهَنْدِسِينَ فَأَمَرَهُمْ فَصَوَّرُوا لَهُ الْقُبَّةَ فِي صَحْنِ الْمَسْجِدِ فَأَعْجَبَهُ، وَأَمَرَ رَجَاءَ بْنَ حَيَّوَةَ، وَيَزِيدَ أَنْ يُفْرِغَا الْأَمْوَالَ إِفْرَاغًا، وَلَا يَتَوَقَّفَا فِيهِ، وَلَمَّا تَمَّ بِنَاءُ الْقُبَّةِ عَمِلَ لَهَا جَلَالَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا لِلشِّتَاءِ، وَالْآخَرُ لِلصَّيْفِ، وَحَفَّتِ الصَّخْرَةُ بِدَرَابِرَيْنِ مِنَ السَّاجِ الْمُطَعَّمِ بِالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ، وَخَلَفَ الدَّرَابِرَيْنِ سُتُورٌ مِنَ الدِّيْبَاجِ مُرَحَّاةً بَيْنَ الْعُمَدِ. وَجَعَلَ لَهَا أَرْبَعَةَ أَبْوَابٍ.

ثورة عمرو بن سعيد الأموي في دمشق ومقتله.

فِي سَنَةِ (٦٩هـ) ثَارَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ الْأُمَوِيُّ الْأَشَدَقِ، فِي دِمَشْقَ بَعْدَ خُرُوجِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ مِنْهَا، لِتَوْسِيعِ وَلَايَتِهِ، فَاضْطَرَّ عَبْدُ الْمَلِكِ لِلرُّجُوعِ مِنْ فُورِهِ إِلَى دِمَشْقَ، فَوَجَدَ الْأَشَدَقَ قَدْ حَصَّنَ دِمَشْقَ وَعَلَّقَ عَلَيْهَا السِّتَائِرَ وَالْمُسُوحَ، وَانْحَازَ إِلَى حِصْنِ رُومِيٍّ مَنِيعٍ كَانَ بِدِمَشْقَ فَنَزَلَهُ، فَحَاصَرَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَاتَلَهُ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ الْأَشَدَقُ مُدَّةَ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَرَاسَلَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ، وَقَالَ لَهُ: أَنْشُدْكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ أَنْ تُفْسِدَ أَمْرَ بَيْتِكَ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ، وَإِنَّ فِيمَا صَنَعْتَ قُوَّةَ لَابْنِ الرَّبِيرِ، فَارْجِعْ إِلَى بَيْعَتِكَ، وَلَكَ عَلَيَّ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ. أَنْتَ وَلِيُّ عَهْدِي مِنْ بَعْدِي، وَكَتَبَا بَيْنَهُمَا كِتَابًا، فَانْخَدَعَ لَهُ عَمْرُو وَفَتَحَ أَبْوَابَ دِمَشْقَ، ثُمَّ اصْطَلَحَا عَلَى تَرْكِ الْقِتَالِ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ وَلِيُّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ لِعَبْدِ الْمَلِكِ عَامِلٌ لَهُ.

وَدَخَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَشِيَّةَ يَوْمِ الْخَمِيسِ إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ عَلَى عَادَتِهِ، وَبَعَثَ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ الْأَشَدِّقِ يَقُولُ لَهُ: رُدَّ عَلَى النَّاسِ أَعْطِيَاهُمُ الَّتِي أَخَذَتْهَا لَهُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَمْرُو يَقُولُ لَهُ: إِنَّ هَذَا لَيْسَ إِلَيْكَ، وَلَيْسَ هَذَا الْبَلَدُ لَكَ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ بَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ يَأْمُرُهُ بِالْإِثْنَيْنِ إِلَى مَنْزِلِهِ بِدَارِ الْإِمَارَةِ الْخَضْرَاءِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ، قَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ: أَبْلِغْهُ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: أَنَا رَائِحُ إِلَيْكَ الْعَشِيَّةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ لَبَسَ عَمْرُو دِرْعًا بَيْنَ ثِيَابِهِ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَمَضَى فِي مَائَةِ مِنْ مَوَالِيهِ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ قَدْ أَمَرَ بَنِي مَرْوَانَ فَاجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عِنْدَهُ، فَلَمَّا انْتَهَى عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ إِلَى الْبَابِ أَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَنْ يَدْخُلَ وَأَنْ يُحْبَسَ مَنْ مَعَهُ، عِنْدَ كُلِّ بَابٍ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَدَخَلَ كَذَلِكَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ عَبْدُ الْمَلِكِ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ مِنْ مَوَالِيهِ سِوَى وَصِيفٍ وَاحِدٍ، فَرَمَى بِبَصَرِهِ فَإِذَا بَنُو مَرْوَانَ عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ مُجْتَمِعُونَ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَأَحْسَسَ بِالشَّرِّ، وَكَانَ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ حَسَّانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ بَجْدَلٍ، وَقَبِيصَةُ بْنُ ذُوَيْبٍ، فَأَذِنَ لَهُمَا عَبْدُ الْمَلِكِ بِالْإِنْصِرَافِ، فَلَمَّا خَرَجَا غُلِقَتِ الْأَبْوَابُ وَاقْتَرَبَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَرَحَّبَ بِهِ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، ثُمَّ جَعَلَ يُحَدِّثُهُ طَوِيلًا. ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ قَالَ: يَا غُلَامُ، خُذِ السَّيْفَ عَنْهُ. فَقَالَ عَمْرُو: إِنَّ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: أَوْتَطْمَعُ أَنْ تَتَحَدَّثَ مَعِيَ مُتَقَلِّدًا سَيْفَكَ؟ فَأَخَذَ الْغُلَامُ السَّيْفَ عَنْهُ، ثُمَّ تَحَدَّثَا سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: يَا أَبَا أُمَيَّةَ. قَالَ: لَبَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: إِنَّكَ حَيْثُ خَلَعْتَنِي أَلَيْتُ بِبَيْمَنِي إِنْ مَلَأْتُ عَيْنِي مِنْكَ وَأَنَا مَالِكُ لَكَ أَنْ أَجْمَعَكَ فِي جَامِعَةٍ. فَقَالَتْ بَنُو مَرْوَانَ: ثُمَّ تُطْلِقُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: ثُمَّ أُطْلِقُهُ، وَمَا عَسَيْتُ أَنْ أَفْعَلَ بِأَبِي أُمَيَّةَ؟ فَقَالَ بَنُو مَرْوَانَ: أَبَرَّ قَسَمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ عَمْرُو: فَأَبَرَّ قَسَمَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَأَخْرَجَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ تَحْتِ فِرَاشِهِ جَامِعَةً فَطَرَحَهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا غُلَامُ، قُمْ فَاجْمَعْهُ فِيهَا. فَقَامَ الْغُلَامُ فَجَمَعَهُ فِيهَا، فَقَالَ عَمْرُو: أَذْكُرُكَ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تُخْرِجَنِي فِيهَا عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ. فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: أَمْكُرَا يَا أَبَا أُمَيَّةَ عِنْدَ الْمَوْتِ؟ لَاهَا اللَّهُ إِذَا، مَا كُنَّا لِنُخْرِجَكَ فِي جَامِعَةٍ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ، وَلَمَّا نُخْرِجُهَا مِنْكَ إِلَّا

صَعْدًا. ثُمَّ اجْتَبَدَهُ اجْتِبَادَةً أَصَابَ فَمَهُ السَّرِيرُ فَكَسَرَ نَبِيَّتَهُ، فَقَالَ عَمْرُو: أَدْرَكَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوكَ كَسْرُ عَظْمِي إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمْتُ أَنَّكَ إِذَا بَقِيتَ تَفِي لِي وَتَصْلُحُ فُرَيْشٌ لَأُطْلَقْتُكَ، وَلَكِنْ مَا اجْتَمَعَ رَجُلَانِ قَطُّ فِي بَلَدٍ عَلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ إِلَّا أَخْرَجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ ثُمَّ أَمَرَ بِقَتْلِهِ .

استيلاء عبد الملك على خراسان :

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي سَنَةِ (٧٢هـ) كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَازِمٍ أَمِيرِ خُرَاسَانَ يَدْعُوهُ إِلَى بَيْعَتِهِ، وَيُقْطَعُهُ خُرَاسَانَ سَبْعَ سِنِينَ، فَلَمْ يَسْتَجِبْ، فَبَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى بُكَيْرِ بْنِ وَشَّاحٍ نَائِبِ ابْنِ حَازِمٍ عَلَى مَرَوْ يَعِدُهُ بِإِمْرَةِ خُرَاسَانَ إِنْ هُوَ خَلَعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَازِمٍ، فَخَلَعَهُ، فَجَاءَهُ ابْنُ حَازِمٍ فَقَاتَلَهُ فَقُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَازِمٍ، وَأَخَذَ رَأْسَهُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ، وَمَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَازِمٍ، فَسَرَّ بِذَلِكَ سُرُورًا كَثِيرًا، وَكَتَبَ إِلَى بُكَيْرِ بْنِ وَشَّاحٍ فَأَقْرَهُ عَلَى نِيَابَةِ خُرَاسَانَ. (١)

استيلاء عبد الملك على المدينة :

وَفِي سَنَةِ (٧٢هـ) أَخَذَتِ الْمَدِينَةُ مِنْ ثَوَابِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ طَارِقَ بْنَ عَمْرِو الَّذِي كَانَ بَعَثَهُ مَدَدًا لِلْحَجَّاجِ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ (٢)

نقض الحجاج زيادة ابن الزبير في الكعبة (٣)

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي سَنَةِ (٧٤هـ) نَقَضَ الْحَجَّاجُ بُنْيَانَ الْكَعْبَةِ الَّذِي كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بَنَاهُ، وَأَعَادَهَا عَلَى بُنْيَانِهَا الْأَوَّلِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: الْحَجَّاجُ لَمْ يَنْقُضْ بُنْيَانَ الْكَعْبَةِ جَمِيعَهُ؛ بَلْ إِنَّمَا هَدَمَ الْحَائِطَ الشَّامِيَّ، حَتَّى

(١) البداية والنهاية ١٢/١٦٦

(٢) نفس المصدر ١٢/١٦٧

(٣) انظر : عبدالله باسلامة، تاريخ الكعبة المشرفة، ص ١٢٤ وما بعدها

أَخْرَجَ الْحِجْرَ مِنَ الْبَيْتِ، ثُمَّ سَدَّهُ، وَأَدْخَلَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ مَا فَضَلَ مِنَ الْأَحْجَارِ، وَسَدَّ بَابَ الْغَرْبِيِّ بِالْكُلَيْيَةِ، وَرَدَمَ أَسْفَلَ بَابِ الشَّرْقِيِّ، حَتَّى جَعَلَهُ مُرْتَفِعًا كَمَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ مُسْتَنْدَ ابْنِ الزُّبَيْرِ فِيمَا فَعَلَ مَا أَخْبَرْتُهُ بِهِ خَالَتُهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: «لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدِهِمْ بِكُفْرِ - وَفِي رِوَايَةٍ: بِجَاهِلِيَّةٍ - لَنَفَضْتُ الْكَعْبَةَ، وَأَدْخَلْتُ فِيهَا الْحِجْرَ، وَجَعَلْتُ لَهَا بَابًا شَرْفِيًّا،

وَبَابًا غَرْبِيًّا، وَلَأَلْصَقْتُهُمَا بِالْأَرْضِ، فَإِنَّ قَوْمَكَ فَصُرْتُ بِهِمُ النَّفَقَةَ، فَلَمْ يُدْخِلُوا فِيهَا الْحِجْرَ، وَلَمْ يُتِمِّمُوا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، وَرَفَعُوا بَابَهَا لِيُدْخِلُوا مِنْ شَاءُوا، وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا» فَلَمَّا تَمَكَّنَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بَنَاهَا كَذَلِكَ، وَلَمَّا بَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ هَذَا الْحَدِيثُ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ: وَدِدْنَا أَنَا تَرَكْنَاهُ وَمَا تَوَلَّى مِنْ ذَلِكَ.

ثورة أهل البصرة على الحجاج

فِي سَنَةِ (٧٥هـ) وَثَبَ النَّاسُ بِالْبَصْرَةِ عَلَى الْحَجَّاجِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا رَكِبَ مِنَ الْكُوفَةِ، قَامَ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ بِخُطْبَةٍ نَظِيرَ مَا قَامَ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ وَالتَّهْدِيدِ الْأَكِيدِ، فَفَرَعَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ، وَخَرَجُوا حَتَّى اجْتَمَعُوا عِنْدَ قَنْطَرَةِ رَامْهُرْمَزَ، وَعَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْجَارُودِ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْحَجَّاجُ - وَذَلِكَ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ - فِي أَمْرَاءِ الْجَيْشِ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ، فَأَقْتَتَلُوا هُنَاكَ قِتَالًا شَدِيدًا، فَهَزَمَهُمُ الْحَجَّاجُ، وَقَتَلَ أَمِيرَهُمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْجَارُودِ فِي رُءُوسٍ مِنَ الْقَبَائِلِ مَعَهُ، وَأَمَرَ بِرُءُوسِهِمْ فَنُصِبَتْ عِنْدَ الْجِسْرِ مِنْ رَامْهُرْمَزَ.

إصلاح النقد

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي سَنَةِ (٧٦هـ) نَقَشَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عَلَى الدَّرَاهِمِ وَالْدِّنَانِيرِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ نَقَشَهَا.

وَقَالَ الْقَاضِي الْمَاوَرْدِيُّ فِي كِتَابِ " الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ " (١) احْتُلِفَ فِي أَوَّلِ مَنْ ضَرَبَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ ؛ فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ الدَّرَاهِمَ الْمَنْقُوشَةَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ، وَكَانَتِ الدِّنَانِيرُ رُومِيَّةً، وَالدَّرَاهِمُ كِسْرُومِيَّةً. قَالَ أَبُو الرِّزَادِ وَكَانَ نَقَشُهُ لَهَا فِي سَنَةِ

أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ. وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ: خَمْسٍ وَسَبْعِينَ. وَضُرِبَتْ فِي الْأَفَاقِ سَنَةٌ سِتَّةٌ وَسَبْعِينَ. وَذَكَرَ أَنَّهُ ضُرِبَ عَلَى الْجَنْبِ الْوَاحِدِ مِنْهَا "اللَّهُ أَحَدٌ"، وَعَلَى الْوَجْهِ الْآخِرِ "اللَّهُ الصَّمَدُ"، قَالَ: وَحَكَى يَحْيَى بْنُ النُّعْمَانِ الْعِفَارِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ الدَّرَاهِمَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَمْرِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، سَنَةَ سَبْعِينَ، عَلَى ضَرْبِ الْأَكَاسِرَةِ، وَعَلَيْهَا "بَرَكَه" مِنْ جَانِبٍ، وَ"اللَّهُ" مِنْ جَانِبٍ، ثُمَّ غَيَّرَهَا الْحَجَّاجُ، وَكَتَبَ اسْمَهُ عَلَيْهَا مِنْ جَانِبٍ، ثُمَّ حَلَّصَهَا بَعْدَهُ يُوسُفُ بْنُ هُبَيْرَةَ فِي أَيَّامِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ حَلَّصَهَا أَجُودَ مِنْهَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفَسْرِيُّ فِي أَيَّامِ هِشَامٍ، ثُمَّ يُوسُفُ بْنُ عَمْرِو أَجُودَ مِنْهُمْ كُلِّهِمْ. وَلِذَلِكَ كَانَ الْمَنْصُورُ لَا يَقْبَلُ مِنْهَا إِلَّا الْهَبْرِيَّةَ وَالْحَالِدِيَّةَ وَالْيُوسُفِيَّةَ.

وَذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِلنَّاسِ ثُلُوثٌ مُخْتَلِفَةٌ، مِنْهَا الدَّرَاهِمُ الْبَغْلِيَّةُ، وَكَانَ ثَمَانِيَّةَ دَوَانِقٍ، وَالطَّبَرِيُّ وَكَانَ أَرْبَعَةَ دَوَانِقٍ، وَالْمِصْرِيُّ ثَلَاثَةَ دَوَانِقٍ، وَالْيَمَنِيُّ دَانِقًا، فَجَمَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بَيْنَ الْبَغْلِيِّ وَالطَّبَرِيِّ، ثُمَّ أَخَذَ نِصْفَهَا فَجَعَلَهُ الدَّرَاهِمَ الشَّرْعِيَّةَ، وَهُوَ نِصْفُ مِثْقَالٍ وَخُمْسُ مِثْقَالٍ، وَذَكَرُوا أَنَّ الْمِثْقَالَ لَمْ يُغَيَّرُوا وَزَنَهُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، وَفِي هَذَا نَظَرٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قتل مدعي النبوة

فِي سَنَةِ (٧٩هـ) قَتَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الْحَارِثَ بْنَ سَعِيدٍ الْمُتَنَبِّئِ الْكَذَّابَ، مَوْلَى أَبِي الْجَلَّاسِ الْعَبْدَرِيِّ، كَانَ أَصْلُهُ مِنَ الْخَوْلَةِ، فَنَزَلَ دِمَشْقَ، وَتَعَبَّدَ بِهَا، وَتَنَسَّكَ وَتَزَهَّدَ، ثُمَّ مُكِرَ بِهِ، وَرَجَعَ الْقَهْقَرَى عَلَى عَقِبِهِ، وَأَنْسَلَخَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَفَارَقَ حِزْبَ اللَّهِ الْمُفْلِحِينَ، وَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ، وَلَمْ يَزَلِ الشَّيْطَانُ يُزِجُ فِي قَفَاهُ حَتَّى أَحْسَرَهُ دِينُهُ وَدُنْيَاهُ، وَأَخْرَاهُ وَأَشْقَاهُ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِعُونَ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

كَانَ الْحَارِثُ الْكَذَّابُ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ وَكَانَ يُرِيهِمُ الْأَعَاجِيبَ ؛ كَانَ يَأْتِي إِلَى رُحَامَةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَيَنْقُرُهَا بِيَدِهِ فَتُسَبِّحُ تَسْبِيحًا بَلِيغًا، حَتَّى يَضِجَ مِنْ ذَلِكَ الْحَاضِرُونَ. قُلْتُ: وَقَدْ سَمِعْتُ شَيْخَنَا الْعَلَامَةَ أَبَا الْعَبَّاسِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، يَقُولُ: كَانَ يَنْقُرُ هَذِهِ الرُّحَامَةَ الْحُمَرَاءُ الَّتِي فِي الْمَقْصُورَةِ فَتُسَبِّحُ، وَكَانَ زَنْدِيقًا، فَرَفَعَ أَمْرَهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَهَرَبَ إِلَى

فلسطين فأمر بإحضاره، فلَمَّا انْتَهَوْا بِهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ أَمَرَ بِصَلْبِهِ عَلَى حَشَبَةٍ، وَأَمَرَ رَجُلًا
فَطَعَنَهُ بِحَرْبَةٍ، فَانْتَنَتْ فِي ضِلَعٍ مِنْ أَضْلَاعِهِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: وَيْحَكَ، أَذْكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ
حِينَ طَعَنْتَهُ؟ فَقَالَ: نَسِيتُ. فَقَالَ: وَيْحَكَ، سَمِ اللَّهَ، ثُمَّ اطْعَنَهُ. قَالَ: فَذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ ثُمَّ طَعَنَهُ
فَأَنْفَذَهُ، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ حَبَسَهُ قَبْلَ صَلْبِهِ، وَأَمَرَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ أَنْ يَعْطُوهُ
وَيُعَلِّمُوهُ أَنَّ هَذَا الَّذِي بِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ، فَصَلَبَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَهَذَا مِنْ تَمَامِ
الْعَدْلِ وَالِدِّينِ.

انتشار الطاعون في الشام

في سنة (٧٩هـ) وَقَعَ طَاعُونٌ عَظِيمٌ بِالشَّامِ، حَتَّى كَادُوا يَفْنُونَ مِنْ شِدَّتِهِ، وَلَمْ يَغْزُ فِيهَا
أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ؛ لِضَعْفِهِمْ وَقِلَّتِهِمْ، وَوَصَلَتِ الرُّومُ فِيهَا أَنْطَاكِيَّةً، فَأَصَابُوا خَلْقًا مِنْ أَهْلِهَا
؛ لِعِلْمِهِمْ بِضَعْفِ الْجُنُودِ وَالْمُقَاتِلَةِ.

سيل الجحاف بمكة

في سنة (٨٠هـ) كَانَ السَّيْلُ الْجَحَافُ بِمَكَّةَ؛ لِأَنَّهُ جَحَفَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مَرَّ بِهِ، وَحَمَلَ
الْحُجَّاجَ مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ وَالْجِمَالِ بِمَا عَلَيْهَا، وَالرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُنْقِذَهُمْ مِنْهُ،
وَبَلَغَ الْمَاءُ إِلَى الْحُجُونِ وَغَرِقَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَقِيلَ: إِنَّهُ ارْتَفَعَ حَتَّى كَادَ أَنْ يُعْطِيَ الْبَيْتَ.

الطاعون الجارف

في سنة (٨٠هـ) كَانَ بِالْبَصْرَةِ الطَّاعُونُ الْجَارِفُ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ كَانَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ
وَسِتِّينَ.

فِتْنَةُ ابْنِ الْأَشْعَثِ (١)

سَاقَهَا ابْنُ جَرِيرٍ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ (٨١هـ) وَتَابَعَهُ فِي ابْنِ كَثِيرٍ عَلَى ذَلِكَ .
وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ الْحَجَّاجَ كَانَ يُبْغِضُ ابْنَ الْأَشْعَثِ، وَابْنُ الْأَشْعَثِ يَفْهَمُ ذَلِكَ وَيُضْمِرُ لَهُ
السُّوَى، فَلَمَّا وَلَّاهُ الْحَجَّاجُ عَلَى الْجَيْشِ، أَمَرَهُ بِدُخُولِ بِلَادِ رُبَيْلَ مَلِكِ التُّرْكِ، وَمَضَى حَتَّى
اسْتَوَى عَلَى بَعْضِ بِلَادِ التُّرْكِ، ثُمَّ رَأَى لِأَصْحَابِهِ أَنْ يَكْتَفُوا بِذَلِكَ حَتَّى يَتِمَكَّنُوا وَيَتَقَوَّوْا إِلَى
الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ بِذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ يَسْتَهْجِنُ رَأْيَهُ وَيَسْتَضْعِفُ
عَقْلَهُ، وَيَسْمَهُ بِالْجُنُبِ وَالنُّكُولِ عَنِ الْحَرْبِ، وَيَأْمُرُهُ حَتْمًا بِدُخُولِ بِلَادِ رُبَيْلَ، ثُمَّ أَرَدَفَ ذَلِكَ
بِكِتَابٍ ثَانٍ ثُمَّ ثَالِثٍ، فَلَمَّا تَوَارَدَتْ كُتُبُ الْحَجَّاجِ إِلَيْهِ يَحْتُمُّ عَلَى التَّوَعُّلِ فِي بِلَادِ رُبَيْلَ، جَمَعَ
مَنْ مَعَهُ، وَقَامَ فِيهِمْ، فَأَعْلَمَهُمْ بِمَا كَانَ رَأَى مِنَ الرَّأْيِ فِي ذَلِكَ، وَبِمَا كَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ مِنْ
الْأَمْرِ بِمُعَاجَلَةِ رُبَيْلَ، فَتَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَقَالُوا: لَا، بَلْ نَأْبَى عَلَى عَدُوِّ اللَّهِ الْحَجَّاجِ، وَلَا نَسْمَعُ
لَهُ وَلَا نُطِيعُ.

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ مُطَرِّفُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ وَائِلَةَ الْكِنَانِيِّ، وَكَانَ شَاعِرًا حَظِييًا، فَقَالَ:
إِنَّ مَثَلَ الْحَجَّاجِ فِي هَذَا الرَّأْيِ وَمَثَلُنَا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ لِأَخِيهِ: احْمِلْ عَبْدَكَ عَلَى الْفَرَسِ، فَإِنْ
هَلَكَ هَلَكَ، وَإِنْ نَجَا فَلَكَ. إِنَّكُمْ إِنْ ظَفَرْتُمْ كَانَ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي سُلْطَانِهِ، وَإِنْ هَلَكْتُمْ كُنْتُمْ
الْأَعْدَاءُ الْبُعْضَاءُ. ثُمَّ قَالَ: اخْلَعُوا عَدُوَّ اللَّهِ الْحَجَّاجَ وَبَايَعُوا لِأَمِيرِكُمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ،
فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي أَوَّلُ خَالِعٍ لِلْحَجَّاجِ. فَقَالَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ: خَلَعْنَا عَدُوَّ اللَّهِ. وَبَايَعُوهُ،
وَلَمْ يَذْكُرُوا خَلَعَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَبَعَثَ ابْنُ الْأَشْعَثِ إِلَى رُبَيْلَ، فَصَالَحَهُ، ثُمَّ سَارَ ابْنُ
الْأَشْعَثِ بِالْجُنُودِ الَّذِينَ مَعَهُ مُقْبِلًا مِنْ سِجِسْتَانَ إِلَى الْحَجَّاجِ؛ لِيَأْخُذَ مِنْهُ الْعِرَاقَ، وَكَانَتْ
بِيعَتُهُمْ لِابْنِ الْأَشْعَثِ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسِنَةِ رَسُولِهِ، وَخَلَعَ أَيْمَةَ الضَّلَالَةِ وَجِهَادِ الْمُحِلِّينَ.

(١) وهذه الفتنة العظيمة لها أسباب سياسية وأسباب دينية، لكن طغت الأسباب السياسية، وسلك قائدها مبدأ الخروج المسلح مما أدى إلى إجماع أهل السنة على تحريمه لما يحدث من سفك الدماء وافتراق الناس ولم تحقق مآمله من ايد ابن الأشعث من القراء والصلحاء، ولهذا استقر إجماع أهل السنة والجماعة على تحريم هذا الخروج، انظر لتفصيل ذلك : التمهيد لابن عبد البر، ٢٣/٢٧٩، والنووي على صحيح مسلم ١٢/٢٢٩، ومنهاج السنة لابن تيمية ٤/٤١٠.

فَلَمَّا بَلَغَ الْحِجَاجَ مَا صَنَعُوا مِنْ خُلْعِهِ، كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُعَلِّمُهُ بِذَلِكَ، وَيَسْتَعِجِلُهُ فِي بَعْثِهِ الْجُنُودَ إِلَيْهِ.

دعوة ابن الأشعث للمهلب

وَكَتَبَ ابْنُ الْأَشْعَثِ إِلَى الْمَهْلَبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ يَدْعُوهُ إِلَى خَلْعِ الْحِجَاجِ، فَبَعَثَ الْمَهْلَبُ بِكِتَابِهِ إِلَى الْحِجَاجِ، وَكَتَبَ إِلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ يَقُولُ لَهُ: إِنَّكَ يَا ابْنَ الْأَشْعَثِ قَدْ وَضَعْتَ رَجْلَكَ فِي رِكَابِ طَوِيلٍ، أَبْقَى عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُ اللَّهُ، انْظُرْ لِنَفْسِكَ فَلَا تُهْلِكْهَا، وَدِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَلَا تَسْفِكْهَا، وَالْجَمَاعَةَ فَلَا تُفْرِقْهَا، وَالْبَيْعَةَ فَلَا تَنْكُثْهَا، فَإِنْ قُلْتَ: أَخَافُ النَّاسَ عَلَى نَفْسِي، فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخَافَهُ مِنَ النَّاسِ، فَلَا تُعَرِّضْهَا لِلَّهِ فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ، أَوْ اسْتِحْلَالِ مُحَرَّمٍ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ.

رأي ابن المهلب في مواجهة ابن الأشعث

وَكَتَبَ الْمُهَلَّبُ إِلَى الْحِجَاجِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ قَدْ أَقْبَلُوا إِلَيْكَ مِثْلَ السَّبِيلِ الْمُنْحَدِرِ مِنْ عَلٍ، لَيْسَ شَيْءٌ يَرْدُّهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى قَرَارِهِ، وَإِنَّ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ شَرَّةً فِي أَوَّلِ مَخْرَجِهِمْ وَصَبَابَةً إِلَى أَبْنَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ، فَلَيْسَ شَيْءٌ يَرْدُّهُمْ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ، وَيَشْمُوا أَوْلَادَهُمْ، ثُمَّ وَقَعَهُمْ عِنْدَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكَ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُ الْحِجَاجِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ هَالَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ أَخَذَ فِي تَجْهِيزِ الْجُنُودِ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْعِرَاقِ فِي نُصْرَةِ الْحِجَاجِ.

وَتَجَهَّزَ الْحِجَاجُ لِلْخُرُوجِ إِلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ، وَعَصَى رَأْيَ الْمُهَلَّبِ فِيمَا أَشَارَ بِهِ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِيهِ النَّصْحُ وَالصِّدْقُ، وَجَعَلَتْ كُتُبُ الْحِجَاجِ لَا تَنْقَطِعُ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بِخَبَرِ ابْنِ الْأَشْعَثِ صَبَاحًا وَمَسَاءً؛ أَيْنَ نَزَلَ؟ وَمِنْ أَيْنَ ارْتَحَلَ؟ وَأَيُّ النَّاسِ إِلَيْهِ أَسْرَعُ؟ وَجَعَلَ النَّاسُ يَلْتَقُونَ عَلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ سَارَ مَعَهُ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ فَارِسٍ، وَمِائَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ رَاجِلٍ، وَخَرَجَ الْحِجَاجُ فِي جُنُودِ الشَّامِ مِنَ الْبَصْرَةِ نَحْوَ ابْنِ الْأَشْعَثِ، فَنَزَلَ تُسْتَرَ، وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُطَهَّرَ بَنٍ حَيٍّ الْعَكِّيَّ أَمِيرًا عَلَى الْمُقَدِّمَةِ، وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رُمَيْتٍ أَمِيرًا آخَرَ، فَانْتَهَوْا إِلَى دُجَيْلٍ، فَإِذَا مُقَدِّمَةُ ابْنِ الْأَشْعَثِ فِي ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ عَلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبَانَ الْحَارِثِيُّ، فَالْتَقَوْا فِي يَوْمِ الْأَضْحَى عِنْدَ نَهْرِ دُجَيْلٍ، فَهَزِمَتْ مُقَدِّمَةُ الْحِجَاجِ، وَقَتَلَ

أَصْحَابُ ابْنِ الْأَشْعَثِ مِنْهُمْ خُلُقًا كَثِيرًا، نَحْوُ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَاخْتَارُوا مَا فِي مُعَسْكِرِهِمْ مِنْ حُيُولٍ وَقُمَاشٍ وَأَمْوَالٍ.

وَجَاءَ الْخَبْرُ إِلَى الْحَجَّاجِ بِزِيَمَةِ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، ارْجِعُوا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَإِنَّهُ أَرْفَقُ بِالْجُنْدِ، فَرَجَعَ بِالنَّاسِ، وَاتَّبَعَهُمْ حُيُولُ ابْنِ الْأَشْعَثِ لَا يُدْرِكُونَ مِنْهُمْ شَاذًا إِلَّا قَتَلُوهُ، وَلَا فَاذًا إِلَّا أَهْلَكُوهُ، وَمَضَى الْحَجَّاجُ هَارِبًا لَا يُلَوِي عَلَى شَيْءٍ، حَتَّى أَتَى الزَّائِيَةَ (١)، فَعَسَكَرَ عِنْدَهَا، وَجَعَلَ يَقُولُ: لِلَّهِ دُرُّ الْمُهْلَبِ! أَيُّ صَاحِبِ حَرْبٍ هُوَ؟! قَدْ أَشَارَ عَلَيْنَا بِالرَّأْيِ، وَلَكِنَّا لَمْ نَقْبَلْ.

وَأَنْفَقَ الْحَجَّاجُ عَلَى جَيْشِهِ مِائَةً وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَخَنَدَقَ حَوْلَ جَيْشِهِ خَنْدَقًا، وَجَاءَ أَهْلُ الْعِرَاقِ فَدَخَلُوا الْبَصْرَةَ، وَاجْتَمَعُوا بِأَهْلِيهِمْ وَشَتُّوا أَوْلَادَهُمْ، وَدَخَلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ الْبَصْرَةَ، فَخَطَبَ النَّاسَ بِهَا، وَبَايَعَهُمْ وَبَايَعُوهُ عَلَى خُلْعِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَنَائِيهِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوْسُفَ، وَوَافَقَهُ عَلَى خُلْعِهِمَا جَمِيعٌ مِنَ الْبَصْرَةِ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْقُرَاءِ وَالشُّيُوخِ وَالشَّبَابِ، ثُمَّ أَمَرَ ابْنَ الْأَشْعَثِ بِحُفْرِ خَنْدَقٍ حَوْلَ الْبَصْرَةِ فَعُمِلَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

وَقَعَةُ الزَّائِيَةِ بَيْنَ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَالْحَجَّاجِ

فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ (٨٢هـ) كَانَتْ وَقَعَةُ الزَّائِيَةِ بَيْنَ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَالْحَجَّاجِ، وَكَانَ أَوَّلُ يَوْمٍ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ، ثُمَّ تَوَاقَعُوا يَوْمًا آخَرَ، فَحَمَلَ سُفْيَانُ بْنُ الْأَبَرْدِ - أَحَدُ أُمَرَاءِ أَهْلِ الشَّامِ - عَلَى مَيْمَنَةِ ابْنِ الْأَشْعَثِ فَهَزَمَهَا، وَقَتَلَ خُلُقًا كَثِيرًا مِنَ الْقُرَاءِ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الْأَشْعَثِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَخَرَّ الْحَجَّاجُ لِلَّهِ سَاجِدًا بَعْدَمَا كَانَ جَنًّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَسَلَّ شَيْئًا مِنْ سَيْفِهِ.

وَلَمَّا فَرَ أَصْحَابُ ابْنِ الْأَشْعَثِ رَجَعَ الْحَجَّاجُ بِمَنْ بَقِيَ مَعَهُ، وَمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ الْكُوفَةَ، فَعَمَدَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبَّاسٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَبَايَعُوهُ، فَقَاتَلَ الْحَجَّاجُ خَمْسَ لَيَالٍ أَشَدَّ الْقِتَالِ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَلَحِقَ بِابْنِ الْأَشْعَثِ، وَتَبِعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَاسْتَنَابَ الْحَجَّاجُ عَلَى الْبَصْرَةِ أَيُّوبَ بْنَ

(١) موضع قرب البصرة، ياقوت معجم البلدان ١٢٨/٣

الحَكَم بن أبي عَقِيلٍ، وَدَخَلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ الْكُوفَةَ، فَبَايَعَهُ أَهْلَهَا، وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ، وَكَثُرَ مُتَابِعُو ابْنِ الْأَشْعَثِ عَلَى ذَلِكَ، وَاشْتَدَّ الْحَالُ، وَتَفَرَّقَتِ الْكَلِمَةُ جِدًّا، وَعَظُمَ الْخُطْبُ، وَاتَّسَعَ الْخَرْقُ.

وَقَعَةُ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ

ثُمَّ كَانَتْ وَقَعَةُ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ ^(١) فِي شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ (٨٢ هـ). قَالَ الْوَاقِدِيُّ.

وَذَلِكَ أَنَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ لَمَّا قَصَدَ الْكُوفَةَ خَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا، فَتَلَقَّوْهُ، وَحَفَّوْا بِهِ، وَمَشَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتَوْتَقَ لِابْنِ الْأَشْعَثِ أَمْرَ الْكُوفَةِ، وَأَنْضَمَ إِلَيْهِ مَنْ جَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ مِمَّنْ قَدِمَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَمَرَ بِالْمَسَالِحِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَخَفِظَتِ الثُّغُورُ وَالطُّرُقُ وَالْمَسَالِكُ.

ثُمَّ إِنَّ الْحُجَّاجَ رَكِبَ فَيَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجِيُوشِ الشَّامِيَّةِ مِنَ الْبَصْرَةِ فِي الْبَرِّ، حَتَّى مَرَّ بَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ وَالْعَدَيْبِ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ ابْنُ الْأَشْعَثِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْعَبَّاسِ فِي خَيْلٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الْمِصْرَيْنِ (البصرة والكوفة)، فَمَنَعُوا الْحُجَّاجَ مِنْ نُزُولِ الْقَادِسِيَّةِ، فَسَارَ الْحُجَّاجُ حَتَّى نَزَلَ دَيْرَ قُرَّةَ، وَجَاءَ ابْنُ الْأَشْعَثِ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجِيُوشِ الْبَصْرِيَّةِ وَالْكُوفِيَّةِ حَتَّى نَزَلَ دَيْرَ الْجَمَاجِمِ، وَمَعَهُ جُنُودٌ كَثِيرَةٌ، وَفِيهِمُ الْقُرَاءُ مِنَ الْمِصْرَيْنِ، وَخَلَقٌ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَكَانَ جُمْلَتُهُ مِنْ اجْتِمَاعِ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ مِائَةً أَلْفٍ مُقَاتِلٍ، يَمْنُ يَأْخُذُ الْعَطَاءَ، وَمَعَهُمْ مِثْلُهُمْ مِنْ مَوَالِيهِمْ، وَقَدِمَ عَلَى الْحُجَّاجِ فِي غُبُونِ ذَلِكَ أَمْدَادٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الشَّامِ، وَخَنَدَقَ كُلُّ مَنْ الطَّائِفَتَيْنِ عَلَى نَفْسِهِ وَحَوْلَ جَيْشِهِ خَنَدَقًا، يُمْتَنَعُ بِهِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِمْ، غَيْرَ أَنَّ النَّاسَ كَانَ يَبْرُزُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَيَقْتَتِلُونَ قِتَالًا شَدِيدًا فِي كُلِّ يَوْمٍ، حَتَّى أُصِيبَ مِنْ رُءُوسِ النَّاسِ خَلْقٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ، وَاسْتَمَرَّ هَذَا الْحَالُ مُدَّةً طَوِيلَةً،

عرض عبد الملك الصلح على ابن الأشعث

وَاجْتَمَعَ الْأُمَرَاءُ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَةِ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ كَانَ أَهْلُ الْعِرَاقِ يُرْضِيهِمْ مِنْكَ أَنْ تَعْزَلَ عَنْهُمْ الْحُجَّاجَ فَهُوَ أَيْسَرُ مِنْ قِتَالِهِمْ وَسَفْكَ دِمَائِهِمْ، فَبَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَخَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ، وَابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَمَعَهُمَا جُنُودٌ كَثِيرَةٌ

(١) الدير: هو البيت الذي يتعبد فيه الرهبان ويكون في الصحاري، ودير الجماجم مكان بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ، وسمي بذلك لأنه قتل قوم عند الدير ونصبت جماجمهم كالبناء. انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ٥٠٣/٢.

جَدًّا، وَكَتَبَ مَعَهُمَا كِتَابًا إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ يَقُولُ لَهُمْ: إِنْ كَانَ يُرْضِيكُمْ مِنِّي عَزْلُ الْحَجَّاجِ عَنْكُمْ عَزْلَتُهُ، وَأَبْقَيْتُ عَلَيْكُمْ أُعْطِيَاتِكُمْ مِثْلَ أَهْلِ الشَّامِ، وَلِيُخْتَرِ ابْنُ الْأَشْعَثِ أَيَّ بَلَدٍ شَاءَ يَكُونُ عَلَيْهِ أَمِيرًا مَا عَاشَ وَعِشْتُ، وَتَكُونُ إِمْرَةُ الْعِرَاقِ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ.

فَعَرَضَ عَبْدُ اللَّهِ وَمُحَمَّدُ كِتَابَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: نَنْظُرُ فِي أَمْرِنَا غَدًا، وَنَرُدُّ عَلَيْكُمْ الْخَبَرَ عَشِيَّةً، ثُمَّ انْصَرَفُوا، فَاجْتَمَعَ جَمِيعُ الْأُمَرَاءِ إِلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ. فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ لَا نَقْبَلُ ذَلِكَ؛ نَحْنُ أَكْثَرُ عَدَدًا وَعَدَدًا، وَهُمْ فِي ضَيْقٍ مِنَ الْحَالِ، وَقَدْ حَكَمْنَا عَلَيْهِمْ وَذَلُّوا لَنَا، وَاللَّهِ لَا نُحِبُّ إِلَى ذَلِكَ أَبَدًا. ثُمَّ جَدَّدُوا خُلَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ثَانِيَةً، وَاتَّفَقُوا عَلَى ذَلِكَ كُلُّهُمْ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ بَرَزَ كُلُّ مَنْ الْفَرِيقَيْنِ لِلْقِتَالِ وَالْحَرْبِ، وَجَعَلُوا يَمْتَتِلُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَأَهْلُ الْعِرَاقِ تَأْتِيهِمُ الْمِيرَةُ مِنَ الرِّسَالَتِ وَالْأَقَالِيمِ، مِنَ الْعَلَفِ وَالطَّعَامِ وَغَيْرِهِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّامِ الَّذِينَ مَعَ الْحَجَّاجِ فَفِي ضَيْقٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَقَلَّةٍ مِنَ الطَّعَامِ، وَمَا زَالَتِ الْحَرْبُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ كُلِّهَا، حَتَّى انْسَلَخَتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَهُمْ عَلَى حَالِهِمْ وَقِتَالِهِمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَالِدَائِرَةُ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ فِي أَكْثَرِ الْأَيَّامِ.

هزيمة ابن الأشعث وفراره

وَاسْتُهْلَتْ سَنَةُ (٨٣هـ) وَالنَّاسُ مُتَوَاقِفُونَ فِي الْقِتَالِ، وَفِي غَالِبِ الْأَيَّامِ تَكُونُ النُّصْرَةُ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّ أَصْحَابَ ابْنِ الْأَشْعَثِ كَسَرُوا أَصْحَابَ الْحَجَّاجِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ مَرَّةً يَنْتَصِرُونَ عَلَيْهِمْ. وَمَعَ هَذَا فَالْحَجَّاجُ ثَابِتٌ فِي مَكَانِهِ صَابِرٌ وَمُصَابِرٌ، لَا يَتَرَحَّرُ عَنْ مَوْضِعِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، بَلْ إِذَا حَصَلَ لَهُ ظَفَرٌ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ يَتَقَدَّمُ بِجَيْشِهِ إِلَى نَحْرِ عَدُوِّهِ، وَكَانَ لَهُ خِبْرَةٌ بِالْحَرْبِ، وَمَا زَالَ ذَلِكَ دَائِبُهُ وَدَائِبُهُمْ حَتَّى أَمَرَ بِالْحُمْلَةِ عَلَى كَتِيبَةِ الْفُرَّاءِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا تَبَعًا لَهُمْ، وَهُمْ الَّذِينَ يُحَرِّضُونَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَالنَّاسُ يَفْتَدُونَ بِهِمْ، فَصَبَرَ الْفُرَّاءُ لِحُمْلَةِ جَيْشِهِ، ثُمَّ جَمَعَ الرُّمَاتِ مِنْ جَيْشِهِ وَحَمَلَ بِهِمْ، وَمَا انْفَلَكَ حَتَّى قُتِلَ مِنْهُمْ خُلُقًا كَثِيرًا، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى جَيْشِ ابْنِ الْأَشْعَثِ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَذَهَبُوا فِي كُلِّ وَجْهِ، وَهَرَبَ ابْنُ الْأَشْعَثِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَمَعَهُ قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ، فَاتَّبَعَهُ الْحَجَّاجُ جَيْشًا كَثِيفًا مَعَ عِمَارَةَ بْنِ تَمِيمٍ اللَّحْمِيِّ، وَمَعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَجَّاجِ، وَالْإِمْرَةُ لِعِمَارَةَ، فَسَافُوا وَرَاءَهُمْ يَطْرُدُونَهُمْ

لَعَلَّهُمْ يَظْفَرُونَ بِهِ قَتْلًا أَوْ أَسْرًا، فَمَا زَالَ يَسُوقُ وَيَخْتَرِقُ الْأَقَالِيمَ وَالْكُورَ وَالرَّسَاتِيقَ، وَهُمْ فِي أَثَرِهِ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى كَرْمَانَ.

ثُمَّ إِنَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ دَخَلَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْقَلِّ إِلَى بِلَادِ رُبَيْلَ مَلِكِ الثُّرُكِ، فَأَكْرَمَهُ رُبَيْلٌ، وَأَنْزَلَهُ عِنْدَهُ، وَأَمَّنَهُ وَعَظَّمَهُ، وَكَانَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبَّاسٍ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي بِالنَّاسِ هُنَالِكَ فِي بِلَادِ رُبَيْلَ، ثُمَّ إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْقَلِّ الَّذِينَ هَرَبُوا مِنَ الْحَجَّاجِ اجْتَمَعُوا وَسَارُوا وَرَاءَ ابْنِ الْأَشْعَثِ؛ لِيُدْرِكُوهُ فَيَكُونُوا مَعَهُ، وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ سِتِّينَ أَلْفًا، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى سِجِسْتَانَ وَجَدُوا ابْنَ الْأَشْعَثِ قَدْ دَخَلَ إِلَى عَبْدِ رُبَيْلَ فَتَعَلَّبُوا عَلَى سِجِسْتَانَ. ثُمَّ كَتَبُوا إِلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ: أَنْ اخْرُجْ إِلَيْنَا حَتَّى نَكُونَ مَعَكَ؛ نَنْصُرَكَ عَلَى مَنْ يُخَالِفُكَ، وَنَأْخُذُ بِبِلَادِ خُرَّاسَانَ، فَإِنَّ بِهَا جُنْدًا عَظِيمًا مِنَّا، فَنَكُونُ بِهَا حَتَّى يُهْلِكَ اللَّهُ الْحَجَّاجَ أَوْ عَبْدَ الْمَلِكِ، فَفَرَى بَعْدَ ذَلِكَ رَأَيْنَا، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ابْنُ الْأَشْعَثِ، وَسَارَ بِهِمْ قَلِيلًا إِلَى نَحْوِ خُرَّاسَانَ، فَاعْتَزَلَهُ شِرْذِمَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ مَعَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، فَقَامَ فِيهِمْ ابْنُ الْأَشْعَثِ حَظِييًّا، فَذَكَرَ عَدْرَهُمْ وَنُكُوْلَهُمْ عَنِ الْحَرْبِ، وَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي بِكُمْ، وَأَنَا ذَاهِبٌ إِلَى صَاحِبِ رُبَيْلَ فَأَكُونُ عِنْدَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُمْ، وَتَبِعَهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، وَبَقِيَ مُعْظَمُ الْجَيْشِ، فَلَمَّا انْفَصَلَ عَنْهُمْ ابْنُ الْأَشْعَثِ بَايَعُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبَّاسٍ بْنَ رَبِيعَةَ الْهَاشِمِيَّ، وَسَارُوا مَعَهُ إِلَى خُرَّاسَانَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَمِيرُهَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ؛ لِيَمْنَعَهُمْ مِنْ دُحُولِ بِلَادِهِ، وَكَتَبَ يَزِيدُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ لَهُ: إِنَّ فِي الْبِلَادِ مُتَسَعًّا، فَادْهَبْ إِلَى أَرْضِ لَيْسَ لِي بِهَا سُلْطَانٌ، فَإِنِّي أَكْرَهُ قِتَالَكَ، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ مَالًا بَعَثْتُ إِلَيْكَ. فَقَالَ لَهُ: إِنَّا لَمْ نَحْجِ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا جِئْنَا نَسْتَرِيحَ وَنُرِيحَ حَيْلَنَا، ثُمَّ نَذْهَبُ، وَلَيْسَتْ بِنَا حَاجَةٌ إِلَى مَا عَرَضْتَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى أَخَذِ الْخُرَاجِ بِمَا حَوْلَهُ مِنَ الْبِلَادِ مِنْ كُورِ خُرَّاسَانَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَمَعَهُ أَخُوهُ الْمُفَضَّلُ فِي جُيُوشٍ كَثِيفَةٍ، فَلَمَّا صَادَفُوهُمْ اقْتَتَلُوا غَيْرَ كَثِيرٍ، ثُمَّ انْهَزَمَ أَصْحَابُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَقَتَلَ يَزِيدُ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَأَسَرَ مِنْهُمْ أَسْرَى كَثِيرَةً، وَاخْتَارَ مَا فِي مُعْسَكَرِهِمْ، وَبَعَثَ بِالْأَسَارَى إِلَى الْحَجَّاجِ.

مصير الأسارى والمنهزمين

وَلَمَّا قَدِمَتِ الْأَسَارَى عَلَى الْحِجَّاجِ قَتَلَ أَكْثَرَهُمْ، وَعَفَا عَنْ بَعْضِهِمْ، وَقَدْ كَانَ الْحِجَّاجُ يَوْمَ ظَهَرَ عَلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ بِدَيْرِ الْجَمَاجِمِ نَادَى مُنَادِيَهُ فِي النَّاسِ: مَنْ رَجَعَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ لَحِقَ بِقُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ بِالرَّيِّ فَهُوَ آمِنٌ، فَلَحِقَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ، فَأَمَّنَهُمُ الْحِجَّاجُ، وَمَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِهِ شَرَعَ الْحِجَّاجُ فِي تَتْبُعِهِمْ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا.

وَكَانَ الشَّعْبِيُّ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ صَارَ إِلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ، فَذَكَرَهُ يَوْمًا الْحِجَّاجُ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ سَارَ إِلَى قُتَيْبَةَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَنْ ابْعَثْ إِلَيَّ بِالشَّعْبِيِّ. قَالَ الشَّعْبِيُّ: فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ، ثُمَّ قُلْتُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَمْرُونِي أَنْ أَعْتَذِرَ إِلَيْكَ بِغَيْرِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ الْحَقُّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَا أَقُولُ فِي هَذَا الْمَقَامِ إِلَّا الْحَقَّ، قَدْ وَاللَّهِ تَمَرَّدْنَا عَلَيْكَ، وَحَرَضْنَا وَجْهَنَا كُلَّ الْجُهْدِ، فَمَا آلَوْنَا، وَلَقَدْ نَصَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا، وَأَظْفَرَكَ بِنَا، فَإِنْ سَطَوْتَ فِدُونَنَا، وَمَا جَرَّتْ إِلَيْكَ أَيْدِينَا، وَإِنْ عَفَوْتَ عَنَّا فَبِحِلْمِكَ، وَبَعْدُ فَالْحُجَّةُ لَكَ عَلَيْنَا. فَقَالَ الْحِجَّاجُ: أَنْتَ وَاللَّهِ يَا شَعْبِيُّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّنْ يَدْخُلُ عَلَيْنَا يَقْطُرُ سَيْفُهُ مِنْ دِمَائِنَا، ثُمَّ يَقُولُ: مَا فَعَلْتُ وَلَا شَهِدْتُ. قَدْ أَمَنْتَ عِنْدَنَا يَا شَعْبِيُّ.

وقد سار الحجاج إلى الكوفة فدخلها، فجعل لا يُبايع أحدًا من أهلها إلا قال: أَتَشْهَدُ عَلَى نَفْسِكَ أَنَّكَ قَدْ كَفَرْتَ. فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ. بَايَعَهُ، وَإِنْ أَبَى قَتَلَهُ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، مِمَّنْ أَبَى أَنْ يَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْكُفْرِ.

ثُمَّ شَرَعَ الْحِجَّاجُ فِي تَتْبُعِ أَصْحَابِ ابْنِ الْأَشْعَثِ، فَقَتَلَهُمْ مِثْلَ وَفُرَادَى، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِنْهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ صَبْرًا مِائَةَ أَلْفٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا. قَالَ النَّضِرُ بْنُ شُمَيْلٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ. مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ السَّادَاتِ، حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُمْ.

مصير ابن الأشعث

فِي سَنَةِ (٨٤هـ) كَانَ مَهْلِكُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسِ الْكِنْدِيِّ، وَقِيلَ: فِي الَّتِي بَعْدَهَا فَاللَّهُ أَعْلَمُ؛

وَذَلِكَ أَنَّ الْحِجَّاجَ كَتَبَ إِلَى رُثَيْلِ بْنِ مَلِكِ التُّرْكِ الَّذِي لَجَأَ ابْنُ الْأَشْعَثِ إِلَيْهِ يَقُولُ لَهُ: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَئِنْ لَمْ تَبْعَثْ إِلَيَّ بِابْنِ الْأَشْعَثِ لَأَبْعَثَنَّ إِلَى بِلَادِكَ أَلْفَ أَلْفِ مُقَاتِلٍ،

وَلَا حَرَبَتْهَا. فَلَمَّا تَحَقَّقَ الْوَعِيدُ مِنَ الْحَجَّاجِ اسْتَشَارَ فِي ذَلِكَ بَعْضَ الْأَمْراءِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِتَسْلِيمِ
ابْنِ الْأَشْعَثِ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُخَرَّبَ الْحَجَّاجُ دِيَارَهُ، وَيَأْخُذَ عَامَّةَ أَمْصَارِهِ، فَأُرْسِلَ إِلَى الْحَجَّاجِ
يَشْتَرِطُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُقَاتَلَ عَشْرَ سِنِينَ، وَأَنْ لَا يُؤَدِّيَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْهَا إِلَّا مِائَةَ أَلْفٍ مِنَ
الْحَرَجِ، فَأَجَابَهُ الْحَجَّاجُ إِلَى ذَلِكَ.

فَعَدَرَ رُثَيْلُ بْنُ الْأَشْعَثِ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ قَبَضَ عَلَيْهِ وَعَلَى ثَلَاثِينَ مِنْ أَقْرَبَائِهِ فَمَيَّدَهُمْ فِي
الْأَصْفَادِ، وَبَعَثَ بِهِمْ مَعَ رُسُلِ الْحَجَّاجِ إِلَيْهِ، فَلَمَّا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ بِمَكَانٍ يُقَالُ
لَهُ: الرُّحْجُ (١)، صَعِدَ ابْنُ الْأَشْعَثِ وَهُوَ مُقَيَّدٌ بِالْحَدِيدِ إِلَى سَطْحِ قَصْرِ، وَمَعَهُ رَجُلٌ مُوَكَّلٌ بِهِ؛
لَعَلَّاهُ يَفِرُّ، وَأَلْقَى نَفْسَهُ مِنْ ذَلِكَ الْقَصْرِ، وَسَقَطَ مَعَهُ الْمُوَكَّلُ بِهِ فَمَاتَا جَمِيعًا، فَعَمَدَ الرَّسُولُ
إِلَى رَأْسِ ابْنِ الْأَشْعَثِ فَاحْتَزَّهُ، وَقَتَلَ مَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الْأَشْعَثِ، وَبَعَثَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى
الْحَجَّاجِ.

رَأْيُ ابْنِ كَثِيرٍ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الْأَشْعَثِ

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَايَعُوهُ بِالْإِمَارَةِ، وَلَيْسَ مِنْ قُرَيْشٍ
وَإِنَّمَا هُوَ كِنْدِيُّ مِنَ الْيَمَنِ، وَقَدْ اجْتَمَعَ الصَّحَابَةُ يَوْمَ السَّقِيفَةِ عَلَى أَنَّ الْإِمَارَةَ لَا تَكُونُ
إِلَّا فِي قُرَيْشٍ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمُ الصَّدِيقُ بِالْحَدِيثِ فِي ذَلِكَ، حَتَّى إِنَّ الْأَنْصَارَ سَأَلُوا أَنْ يَكُونَ
مِنْهُمْ أَمِيرٌ مَعَ أَمِيرِ الْمُهَاجِرِينَ، فَأَبَى الصَّدِيقُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، فَكَيْفَ يَعْمِدُونَ إِلَى حَلِيفَةٍ قَدْ
بُوعِيَ لَهُ بِالْإِمَارَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ سِنِينَ، فَيَعَزِّلُونَهُ وَهُوَ مِنْ صُلَيْبَةِ قُرَيْشٍ، وَيُبَايِعُونَ لِرَجُلٍ
كِنْدِيٍّ بَيْعَةً لَمْ يَتَّفِقْ عَلَيْهَا أَهْلُ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ؟ وَهَذَا لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ زَلَّةٌ وَفَلْتَةٌ نَشَأَ بِسَبَبِهَا
شَرُّ كَثِيرٌ هَلَكَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ.

بِنَاءُ مَدِينَةِ وَاسِطٍ

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي سَنَةِ (٨٣هـ) بَنَى الْحَجَّاجُ وَاسِطًا، وَسَمِيَتْ بِذَلِكَ لَتَوْسُطِهَا بَيْنَ الْمَصْرَيْنِ
الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ، وَقَدْ اخْتِيرَ مَوْقِعُهَا بِعَنَاءٍ، وَاسْتَمَرَ الْبِنَاءُ فِيهَا إِلَى سَنَةِ (٨٦هـ)، وَأُجْرِيَ
الْأَنْهَارُ إِلَيْهَا وَكَثُرَ فِيهَا الْغَرَسُ وَالزَّرَاعَةُ (٢).

(١) الرُّحْجُ: كُورَةٌ وَمَدِينَةٌ مِنْ نَوَاحِي كَابِلٍ، مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ (٣/ ٣٨)

(٢) انْظُرْ: مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ، يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ (٥/ ٣٤٧)

بَيْعَةُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِوَلَدِهِ الْوَلِيدِ

في (٨٥هـ) عين عبد الملك ابنه الوليد وليا للعهد، ومن بعده أخاه سليمان بن عبد الملك. فبُوعَ لهُمَا بِدِمَشْقَ، ثُمَّ فِي سَائِرِ الْأَقَالِيمِ، ثُمَّ لَمَّا انْتَهَتْ الْبَيْعَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ امْتَنَعَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنْ يُبَايَعَ فِي حَيَاةِ عَبْدِ الْمَلِكِ لِأَحَدٍ، فَأَمَرَ بِهِ هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ نَائِبَ الْمَدِينَةِ، فَضْرَبَ سِتِينَ سَوْطًا، وَأَوْدَعُوهُ السَّجْنَ، وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُعْلِمُهُ بِمُخَالَفَةِ سَعِيدٍ فِي ذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يُعْتَفُ فِي ذَلِكَ، وَيَأْمُرُهُ بِإِخْرَاجِهِ، وَقَالَ : وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ سَعِيدًا لَيْسَ عِنْدَهُ شِقَاقٌ وَلَا خِلَافٌ.

وقوع الطاعون في بعض البلدان

في سنة (٨٦هـ) كَانَ طَاعُونٌ بِالشَّامِ وَالْبَصْرَةِ وَوَاسِطٍ، وَيُسَمَّى طَاعُونُ الْفَتَيَاتِ ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا بَدَأَ بِالنِّسَاءِ فَسُمِّيَ بِذَلِكَ.

الخوارج في عهد عبد الملك

بعد انتزاع عبد الملك بن مروان العراق من ابن الزبير ولّى أخاه بشر على الكوفة ، وخالد القسري على البصرة، فولى خالد الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ سنة (٧٢هـ) عَلَى الْأَهْوَازِ وَمَا مَعَهَا، وَشَكَرَ سَعْيَهُ فِي قِتَالِ الْخَوَارِجِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثَنَاءً كَثِيرًا، ثُمَّ تَوَاقَعَ النَّاسُ مَعَ الْخَوَارِجِ بِالْأَهْوَازِ، بِقِيَادَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقُسْرِيِّ، فَكَسَرَ النَّاسُ كَسْرَةً عَظِيمَةً وَهَرَبُوا لَا يَلُؤُونَ عَلَى أَحَدٍ. وَأَرْسَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى أَخِيهِ بَشَرَ بْنَ مَرْوَانَ أَنْ يُدْهِمَ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ أَرْبَعَةَ آلَافٍ، عَلَيْهِمْ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ، فَطَرَدُوا الْخَوَارِجَ كُلَّ مَطَرَدٍ، وَلَكِنْ لَقِيَ الْجَيْشُ جُهْدًا عَظِيمًا، وَمَاتَتْ حُيُوهُمْ، وَلَمْ يَرْجِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا مُشَاءً إِلَى أَهْلِيهِمْ.

خروج أبي فديك في البحرين :

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي سَنَةِ (٧٢هـ) كَانَ خُرُوجُ أَبِي فُذَيْكٍ الْحَارِثِيِّ، وَهُوَ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، وَغَلَبَ عَلَى الْبَحْرَيْنِ، وَقَتَلَ نَجْدَةَ بْنَ عَامِرٍ الْحُرُورِي، فَبَعَثَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرُ الْبَصْرَةِ أَخَاهُ أُمَيَّةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، فَهَزَمَهُمْ أَبُو فُذَيْكٍ، وَأَخَذَ جَارِيَةً لِأُمَيَّةَ، وَاصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ، وَكَتَبَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرُ الْبَصْرَةِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُعَلِّمُهُ بِمَا وَقَعَ، وَاجْتَمَعَ عَلَى خَالِدٍ حَرْبُ أَبِي فُذَيْكٍ فِي الْبَحْرَيْنِ، وَحَرْبُ الْأَزَارِقَةِ أَصْحَابِ قَطْرِ بْنِ الْمُجَاعَةِ بِالْأَهْوَازِ.

تولية المهلب قتال الخوارج

وَفِي سَنَةِ (٧٤هـ) وَلَّى عَبْدِ الْمَلِكِ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ حَرْبَ الْخَوَارِجِ الْأَزَارِقَةِ، فَسَارَ الْمُهَلَّبُ بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَأَمْرَاءَ الْأَزْبَاعِ مَعَهُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِرَامْهُرْمَزَ، فَلَمْ يَقُمْ عَلَيْهَا إِلَّا عَشْرًا حَتَّى جَاءَ نَعْمَى بَشْرَ بْنَ مَرْوَانَ، وَأَنَّهُ مَاتَ بِالْبَصْرَةِ، وَاسْتَحْلَفَ عَلَيْهَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَارْتَضَى بَعْضُ الْجَيْشِ، وَرَجَعُوا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَبَعَثُوا فِي آثَارِهِمْ مَنْ يَرُدُّهُمْ، وَكَتَبَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى الْفَارِسِيِّينَ يَتَوَعَّدُهُمْ إِنْ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى أَمِيرِهِمْ، وَيَتَوَعَّدُهُمْ بِسَطْوَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَعَدَلُوا عَنِ الْمَسِيرِ إِلَى الْبَصْرَةِ وَاسْتَأْذَنُوا عَمْرُو بْنَ حُرَيْثٍ فِي الْمَصِيرِ إِلَى الْكُوفَةِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ: إِنَّكُمْ تَرَكْتُمْ أَمِيرَكُمْ، وَأَقْبَلْتُمْ عَاصِينَ مُخَالِفِينَ، وَلَيْسَ لَكُمْ إِذْنٌ وَلَا إِمَامٌ وَلَا أَمَانٌ. فَلَمَّا جَاءَهُمْ ذَلِكَ، أَقْبَلُوا إِلَى رِحَالِهِمْ فَرَكِبُوهَا، ثُمَّ سَارُوا إِلَى بَعْضِ الْبِلَادِ، فَلَمْ يَزَالُوا مُتَحَفِّينَ بِهَا حَتَّى قَدِمَ الْحِجَاجُ وَالْيَا عَلَى الْعِرَاقِ مَكَانَ بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ.

ضعف أمر الخوارج

أَرْسَلَ الْحِجَاجُ إِلَى الْمُهَلَّبِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ فَأَمَرَهُمَا بِمُناهِضَةِ الْأَزَارِقَةِ، فَنَهَضَا بِمَنْ مَعَهُمَا إِلَى الْخَوَارِجِ الْأَزَارِقَةِ فَأَجْلَوْهُمْ عَنْ أَمَاكِينِهِمْ مِنْ رَامْهُرْمَزَ بِأَيْسَرٍ قِتَالٍ، فَهَرَبُوا إِلَى أَرْضِ كَارِزُونَ مِنْ إِفْلِيمِ سَابُورَ، وَسَارَ النَّاسُ وَرَاءَهُمْ، فَالْتَقَوْا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ بَيَّتَ الْخَوَارِجُ الْمُهَلَّبَ مِنَ اللَّيْلِ، فَوَجَدُوهُ قَدْ تَحَصَّنَ بِخَنْدَقٍ حَوْلَ مُعْسَكَرِهِ، فَجَاءُوا إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ فَوَجَدُوهُ غَيْرَ مُحْتَرِزٍ - وَكَانَ الْمُهَلَّبُ قَدْ أَمَرَهُ بِالْاخْتِرَازِ

يُخَذِّقُ حَوْلَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ - فَافْتَتَلُوا فِي اللَّيْلِ، فَقَتَلَتِ الْخَوَارِجُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحْنَفٍ
وَطَائِفَةً مِنْ جَيْشِهِ، وَهَزَمُوهُمْ هَزِيمَةً مُنْكَرَةً.
فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ جَاءَ الْمُهْلَبُ فَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَفَنَهُ، وَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ بِمَهْلِكِهِ، فَكَتَبَ
الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُعَزِّيه فِيهِ، فَنَعَاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى النَّاسِ بِمَيِّ، وَأَمَرَ الْحَجَّاجُ مَكَانَهُ
عَتَّابَ بْنَ وَرْقَاءَ.

ثورة الخوارج بقيادة صالح بن مُسَرِّح

كَانَ فِي أَوَّلِ (سنة ٧٦هـ) فِي مُسْتَهَلِّ صَفَرٍ مِنْهَا لَيْلَةُ الْأَرْبَعَاءِ اجْتِمَاعُ صَالِحِ بْنِ مُسَرِّحٍ أَمِيرِ
الصُّفَرِيَّةِ، وَشَيْبِ بْنِ يَزِيدٍ أَحَدِ شُجْعَانِ الْخَوَارِجِ، فَقَامَ فِيهِمْ صَالِحُ بْنُ مُسَرِّحٍ، فَأَمَرَهُمْ بِتَقْوَى
اللَّهِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ، وَأَنْ لَا يُقَاتِلُوا أَحَدًا حَتَّى يَدْعُوهُ إِلَى الدُّخُولِ مَعَهُمْ.
ثُمَّ مَالُوا إِلَى دَوَابِّ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، نَائِبِ الْجَزِيرَةِ لِأَخِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَأَخَذُوهَا فَتَقَفُوا بِهَا،
وَأَقَامُوا بِأَرْضِ دَارَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَتَحَصَّنَ مِنْهُمْ أَهْلُ دَارَا وَنَصِيبِينَ وَسَنْجَارَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ
مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ نَائِبَ الْجَزِيرَةِ خَمْسِمِائَةَ فَارِسٍ، عَلَيْهِمْ عَدِيٌّ بْنُ عَدِيٍّ بْنِ عُمَيْرَةَ، ثُمَّ زَادَهُ
خَمْسِمِائَةَ أُخْرَى، فَسَارَ فِي أَلْفٍ مِنْ حَرَّانَ إِلَيْهِمْ، وَكَأَنَّمَا يُسَاقُ إِلَى الْمَوْتِ وَهُوَ يَنْظُرُ؛ لِمَا
يَعْلَمُ مِنْ جَلَدِ الْخَوَارِجِ وَقُوَّتِهِمْ وَشِدَّةِ بَأْسِهِمْ، فَلَمَّا اتَّقَى مَعَ الْخَوَارِجِ هَزَمُوهُ هَزِيمَةً شَنِيعَةً بِالْعَةِ،
وَاحْتَوَوْا عَلَى مَا فِي مَعْسَكَرِهِ، وَرَجَعَ فَلَهُمْ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ فَغَضِبَ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ أَلْفًا
وَحَمْسِمِائَةَ مَعَ الْحَارِثِ بْنِ جَعُونَةَ، وَأَلْفًا وَخَمْسِمِائَةَ مَعَ خَالِدِ بْنِ جَزْءِ السُّلَمِيِّ، وَقَالَ لَهُمَا:
أَيُّكُمَا سَبَقَ إِلَيْهِمْ فَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَى النَّاسِ. فَسَارُوا إِلَيْهِمْ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مُقَاتِلٍ، وَالْخَوَارِجُ فِي
نَحْوِ مِائَةِ نَفْسٍ، وَعَشْرَةَ أَنْفُسٍ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى أَمَدٍ تَوَجَّهَ صَالِحٌ إِلَى خَالِدِ بْنِ جَزْءِ فِي
شَطْرِ النَّاسِ، وَوَجَّهَ شَيْبًا إِلَى الْحَارِثِ بْنِ جَعُونَةَ فِي الْبَاقِينَ، فَافْتَتَلَ النَّاسُ فِي هَذَا الْيَوْمِ قِتَالًا
شَدِيدًا إِلَى اللَّيْلِ، فَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ انْكَفَّ كُلُّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَنِ الْآخَرِ، وَقَدْ قُتِلَ مِنَ الْخَوَارِجِ
نَحْوُ السَّبْعِينَ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ مَرْوَانَ نَحْوُ الثَّلَاثِينَ، وَهَرَبَتِ الْخَوَارِجُ فِي اللَّيْلِ، فَخَرَجُوا
مِنَ الْجَزِيرَةِ، وَأَخَذُوا فِي أَرْضِ الْمُؤَصِّلِ، وَمَضَوْا حَتَّى قَطَعُوا الدَّسْكَرَةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الْحَجَّاجُ
ثَلَاثَةَ آلَافٍ مَعَ الْحَارِثِ بْنِ عُمَيْرَةَ، فَسَارَ نَحْوَهُمْ حَتَّى لَحِقَهُمُ بِأَرْضِ الْمُؤَصِّلِ، وَلَيْسَ مَعَ

صَالِحٍ سَوَى تِسْعِينَ رَجُلًا، فَالْتَقَى مَعَهُمْ، وَقَدْ جَعَلَ صَالِحٌ أَصْحَابَهُ ثَلَاثَةَ كَرَادِيسٍ ؛ فَهُوَ فِي كُرْدُوسٍ، وَشَيْبٌ عَنْ يَمِينِهِ فِي كُرْدُوسٍ، وَسُوَيْدٌ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ يَسَارِهِ فِي كُرْدُوسٍ، وَحَمَلٌ عَلَيْهِمُ الْحَارِثُ بْنُ عُمَيْرَةَ، وَعَلَى مَيْمَنَتِهِ أَبُو الرَّوَاحِ الشَّكْرِيُّ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ الزُّبَيْرُ بْنُ الْأَرْوَاحِ التَّمِيمِيُّ، فَصَبَرَتِ الْخَوَارِجُ عَلَى قِلَّتِهِمْ صَبْرًا شَدِيدًا، ثُمَّ انْكَشَفَ سُوَيْدٌ بْنُ سُلَيْمَانَ، ثُمَّ قُتِلَ صَالِحُ بْنُ مُسَرِّحٍ أَمِيرُهُمْ، وَصُرِعَ شَيْبٌ عَنْ فَرَسِهِ، فَالْتَفَّ عَلَيْهِ بَقِيَّةُ الْخَوَارِجِ حَتَّى احْتَمَلُوهُ، فَدَخَلُوا بِهِ حِصْنًا هُنَالِكَ، وَقَدْ بَقِيَ مَعَهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، فَأَحَاطَ بِهِمُ الْحَارِثُ بْنُ عُمَيْرَةَ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَحْرِقُوا الْبَابَ، فَفَعَلُوا، وَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى مُعَسْكِرِهِمْ يَنْتَظِرُونَ حَرِيقَ الْبَابِ، فَيَأْخُذُونَ الْخَوَارِجَ فَهَرًّا، فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ وَاطْمَأْنَنُوا خَرَجَتْ عَلَيْهِمُ الْخَوَارِجُ مِنَ الْبَابِ عَلَى الصَّعْبِ وَالذَّلُولِ، فَبَيَّتُوا جَيْشَ الْحَارِثِ بْنِ عُمَيْرَةَ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَهَرَبَ النَّاسُ سِرَاعًا إِلَى الْمَدَائِنِ، وَاحْتَارَ شَيْبٌ وَأَصْحَابُهُ مَا فِي مُعَسْكِرِهِمْ، فَكَانَ جَيْشُ الْحَارِثِ بْنِ عُمَيْرَةَ أَوَّلَ جَيْشٍ هَزَمَهُ شَيْبٌ، وَكَانَ مَقْتُلُ صَالِحِ بْنِ مُسَرِّحٍ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

ثورة شبيب بن يزيد الخارجي

فِي سَنَةِ (٧٦هـ) دَخَلَ شَيْبٌ الْكُوفَةَ وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ غَزَالَةُ، وَذَلِكَ أَنَّ شَيْبًا جَرَتْ لَهُ فُصُولٌ يَطُولُ تَفْصِيلُهَا بَعْدَ مَقْتَلِ صَالِحِ بْنِ مُسَرِّحٍ، وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْخَوَارِجُ وَبَايَعُوهُ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ جَيْشًا آخَرَ، فَقَاتَلُوهُ فَهَزَمُوهُ ثُمَّ هَزَمَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ سَارَ فَحَاصَرَ الْمَدَائِنَ، فَلَمْ يَنْلَ مِنْهَا شَيْئًا، فَسَارَ فَأَخَذَ دَوَابَّ لِلْحَجَّاجِ مِنْ كَلْوَادَا، وَاسْتَطَاعَ دُخُولَ الْكُوفَةِ وَقَصَدَ قَصْرَ الْإِمَارَةِ، فَضَرَبَ بَابَهُ بِعَمُودِهِ الْحَدِيدِ، فَأَثَرَتْ ضَرْبَتُهُ فِي الْبَابِ، فَكَانَتْ تُعْرَفُ بَعْدَ ذَلِكَ؛ يُقَالُ: هَذِهِ ضَرْبَةُ شَيْبٍ.

وَنَادَى الْحَجَّاجُ فِي النَّاسِ: يَا حَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي وَأُبْشِرِي. فَخَرَجَ شَيْبٌ مِنَ الْكُوفَةِ، فَجَهَّزَ الْحَجَّاجُ فِي أَثَرِهِ سِتَّةَ آلَافٍ مُقَاتِلٍ، فَسَارُوا وَرَاءَهُ.

وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُ شَيْبٍ، وَتَرَلَزَلَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ، وَالْحَجَّاجُ، وَسَائِرُ الْأَمْراءِ، وَخَافَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْهُ خَوْفًا شَدِيدًا، فَبَعَثَ لَهُ جَيْشًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَقَدِمُوا فِي سَنَةِ (٧٧هـ) وَلَمْ يَبْقَ مَعَ شَيْبٍ إِلَّا شِرْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ، وَقَدْ مَلَأَ قُلُوبَ النَّاسِ رُعبًا.

وكان الحجاج أخرج مقاتلة أهل الكوفة، وأمر عليهم عتاب بن ورقاء، وأمره أن يقصد لشبيب بن يزيد أين كان، ولما بلغ شبيبا ما بعث به الحجاج إليه من الجنود، قام في أصحابه خطيبا، فوعظهم وذكرهم، وحثهم على الصبر عند اللقاء، ومناجزة الأعداء، ثم سار شبيب بأصحابه نحو عتاب بن ورقاء، فالتقيا في آخر النهار عند غروب الشمس، فلما صلى شبيب بأصحابه المغرب انتظر حتى طلع القمر وأضاء، ثم حمل على أصحاب رايات عتاب، وهو يقول: أنا شبيب أبو المدله، لا حكم إلا لله. فهزمهم، ثم كر على اليمنة وعلى الميسرة، ففرق شمل كل واحد منهما، ثم قصد القلب، فما زال حتى قتل الأمير عتاب بن ورقاء، وزهرة بن حويبة، وولى عامة الجيش مدبرين، وانهمز جيش الحجاج عن بكرة أبيهم راجعين إلى الكوفة.

ثم احتوى على ما في المعسكر من الأموال والحواصل، ثم قصد نحو الكوفة، وعزم الحجاج على قتال شبيب بنفسه، وسار شبيب حتى بلغ الصراة،^(١) وأخرج إليه الحجاج بمن معه من الشاميين وغيرهم، فلما تواجه الفريقان نظر الحجاج إلى شبيب وهو في ستمائة من أصحابه، فخطب الحجاج أهل الشام وقال: يا أهل الشام، أنتم أهل السمع والطاعة، والصبر واليقين، لا يعلين باطل هؤلاء الأرجاس حاكمكم، عضوا الأبصار، واجثوا على الركب، واستقبلوهم بأطراف الأسنة. ففعلوا ذلك.

وأقبل شبيب وقد عبأ أصحابه ثلاث فرق؛ فقاتلوهم في جولات متعددة قتل فيها مصاد أخو شبيب وزوجته غزالة فخرج شبيب من الكوفة وأخذ يعيث في البلدان قتلا وفسادا، ولم يقدروا عليه، وإنما سيطر الله عليه موتا قدرا من غير صنعه، ولا صنعه في هذه السنة.

مقتل شبيب

أمر الحجاج الحكم بن أيوب أن يجهز جيشا أربعة آلاف لقتال شبيب، فوقع القتال بينهم في أيام مختلفة، وجاء الليل بظلامه، فكف الناس بعضهم عن بعض، وبات كل من الفريقين مصرا على مناهضة الآخر، فلما طلع الفجر عبر شبيب وأصحابه على الجسر، فبينما

(١) قال في معجم البلدان ٣/٤٠٠ صراة جاماسب، قناة تستمد من الفرات بناء عليها الحجاج بن يوسف مدينة النيل التي بأرض بابل.

شَيْبٌ عَلَى مَثْنِ الْجِسْرِ، وَهُوَ عَلَى حِصَانٍ لَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ فَرَسٌ أُتْنَى، فَنَزَا فَرَسُهُ وَهُوَ عَلَى
الْجِسْرِ، فَسَقَطَ فِي الْمَاءِ، فَقَالَ: لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا. ثُمَّ انْغَمَرَ فِي الْمَاءِ، ثُمَّ ارْتَفَعَ
وَهُوَ يَقُولُ: {ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [فصلت: ١٢] فَعَرَقَ.

وَلَمَّا نَعِيَ شَيْبٌ إِلَى أُمِّهِ، قَالَتْ: صَدَقْتُمْ، إِنِّي كُنْتُ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ وَأَنَا حَامِلٌ بِهِ أَنَّهُ قَدْ
خَرَجَ مِنِّي شِهَابٌ مِنْ نَارٍ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يُطْفِئُهُ إِلَّا الْمَاءُ.
وَكَانَتْ أُمُّهُ جَارِيَةً اسْمُهَا جَهِيْزَةُ، وَكَانَتْ جَمِيلَةً، وَكَانَتْ مِنْ أَشْجَعِ النِّسَاءِ، تُقَاتِلُ مَعَ ابْنِهَا فِي
الْحُرُوبِ.

وَذَكَرَ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ -وفيات الأعيان- (١) أَنَّهَا قُتِلَتْ فِي هَذِهِ الْعَزْوَةِ، وَكَذَلِكَ قُتِلَتْ
زَوْجَتُهُ غَزَالَةُ. وَكَانَتْ شَدِيدَةَ الْبَأْسِ خَارِجِيَّةً، وَكَانَ الْحُجَّاجُ مَعَ هَيْبَتِهِ يَخَافُ مِنْهَا أَشَدَّ
خَوْفٍ، حَتَّى قَالَ فِيهِ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ ... فَتَحَاءُ تَنْفِرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ

هَلَّا بَرَزْتَ إِلَى غَزَالَةٍ فِي الْوَعَى ... بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرِ

قَالَ: وَقَدْ كَانَ شَيْبٌ بَنُ يَزِيدَ الشَّيْبَانِي يَدْعِي الْخِلَافَةَ، وَيَتَسَمَّى بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَوْلَا أَنَّ
اللَّهَ تَعَالَى فَهَرَهُ بِمَا فَهَرَهُ بِهِ مِنَ الْعَرَقِ لَنَالَ الْخِلَافَةَ، وَلَمَّا قَدَّرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَإِنَّمَا فَهَرَهُ اللَّهُ عَلَى
يَدَيِ الْحُجَّاجِ، لَمَّا أُرْسِلَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ الْمَلِكِ بَعْسَاكِرَ لِقَتَالِهِ، فَهَرَبَ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَلَمَّا
أَلْقَاهُ جَوَادُهُ عَلَى الْجِسْرِ فِي نَهْرٍ دُجِيلٍ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَعَرَقَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟
قَالَ: {ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [فصلت: ١٢] قَالَ: ثُمَّ أُخْرِجَ، وَحُمِلَ إِلَى الْحُجَّاجِ، فَأَمَرَ
فَنَزَعَ قَلْبَهُ مِنْ صَدْرِهِ، فَإِذَا هُوَ مِثْلُ الْحَجَرِ.

وَقَدْ كَانَ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالْفُرُوسِيَّةِ عَلَى جَانِبٍ كَبِيرٍ، لَمْ أَرْ بَعْدَ الصَّحَابَةِ مِثْلَهُ، وَمِثْلَ
الْأَشْتَرِ وَابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ، وَمُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَأَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ.

ثورة الخوارج من الأزارقة

في سنة (٧٧هـ) كَانَتْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ جَدًّا بَيْنَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ نَائِبِ الْحَجَّاجِ، وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ مِنَ الْأَزَارِقَةِ، وَأَمِيرِهِمْ قَطْرِيُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ، وَكَانَ أَيْضًا مِنَ الْفُرْسَانِ الشُّجْعَانِ الْمَذْكُورِينَ الْمَشْهُورِينَ، وَقَدْ تَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَنَفَرُوا فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَأَمَّا هُوَ فَشَرَدَ فِي الْأَرْضِ لَا يُدْرَى أَيْنَ ذَهَبَ، وَقَدْ جَرَتْ بَيْنَهُمْ مَنَاوِشَاتٌ وَمُجَاوَلَاتٌ يَطُولُ بَسْطُهَا وَاسْتِقْصَاؤُهَا، وَقَدْ بَالَعَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي ذِكْرِهَا. (١)

مقتل قَطْرِيِّ بْنِ الْفُجَاءَةِ

وفي سنة (٧٩هـ) قُتِلَ قَطْرِيُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ التَّمِيمِيُّ، أَبُو نَعَامَةَ الْحَارِجِيُّ، (٢) وَكَانَ مِنَ الشُّجْعَانِ الْمَشَاهِيرِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ مَكَثَ عِشْرِينَ سَنَةً يُسَلِّمُ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بِالْخِلَافَةِ، وَقَدْ جَرَتْ لَهُ حُطُوبٌ وَحُرُوبٌ مَعَ جَيْشِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ مِنْ جِهَةِ الْحَجَّاجِ وَغَيْرِهِ. وَكَانَ خُرُوجُهُ فِي زَمَنِ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَتَغَلَّبَ عَلَى قِلَاعٍ كَثِيرَةٍ وَأَقَالِيمَ وَغَيْرِهَا، وَوَقَّاعُهُ مَشْهُورَةٌ، وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ جُيُوشًا كَثِيرَةً فَهَزَمَهَا، وَقِيلَ: إِنَّهُ بَرَزَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ الْحُرُورَةِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ أَعْجَفَ، وَيَبِيدُهُ عَمُودٌ حَدِيدٍ، فَلَمَّا قَرَّبَ مِنْهُ كَشَفَ قَطْرِيٌّ عَنْ وَجْهِهِ، فَوَلَّى الرَّجُلُ هَارِبًا، فَقَالَ لَهُ قَطْرِيٌّ: إِلَى أَيْنَ؟ أَمَا تَسْتَحْيِي أَنْ تَفِرَّ وَلَمْ تَرَ طَعْنًا وَلَا ضَرْبًا؟ فَقَالَ: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَفِرَّ مِنْ مِثْلِكَ. ثُمَّ إِنَّهُ فِي آخِرِ أَمْرِهِ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ سُفْيَانُ بْنُ الْأَبَرْدِ الْكَلْبِيُّ فِي جَيْشٍ، فَاقْتَتَلُوا بِطَبْرِسْتَانَ، فَعَثَرَ بِقَطْرِيٍّ فَرَسُهُ فَوَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ، فَتَكَاثَرُوا عَلَيْهِ فَفَتَلَوْهُ، وَحَمَلُوا رَأْسَهُ إِلَى الْحَجَّاجِ. وَقِيلَ: إِنَّ الَّذِي قَتَلَهُ سَوْدَةُ بْنُ الْحَرِّ الدَّارِمِيُّ.

وَكَانَ قَطْرِيُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ - مَعَ شَجَاعَتِهِ الْمُفْرِطَةِ وَإِقْدَامِهِ - مِنْ حُطَبَاءِ الْعَرَبِ الْمَشْهُورِينَ بِالْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، وَجَوْدَةِ الْكَلَامِ، وَالشَّعْرِ الْحَسَنِ، فَمِنْ مُسْتَجَادِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ يُشَجِّعُ نَفْسَهُ وَغَيْرُهُ، وَمَنْ سَمِعَهَا انْتَفَعَ بِهَا:

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعًا ... مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَنْ تُرَاعِي

(١) انظر: تاريخ الطبري ٦/٣٠١-٣٠٨ .

(٢) ذكر الطبري في تاريخه ٦/٣٠٩ وفاته ٧٧هـ.

فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ ... عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا ... فَمَا تَبِيلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ
وَلَا ثَوْبُ الْحَيَاةِ بِثَوْبِ عِزٍّ ... فَيُطَوَّى عَنْ أَخِي الْخَنَعِ الْيَرَاعِ
سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ ... وَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِي
وَمَنْ لَا يَغْتَبِطُ يَسْأَمُ وَيَهْرَمُ ... وَتُسَلِّمُهُ الْمَنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ
وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ ... إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

ذَكَرَهَا صَاحِبُ الْحِمَاسَةِ، وَاسْتَحْسَنَهَا ابْنُ خَلِّكَانَ فِي تَارِيخِهِ كَثِيرًا. (١)

الفصل الثالث

الفتوحات وولاية البلدان والحج

الفتوحات

غزو الروم

في سنة (٧٣هـ) غزا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ الصَّائِقَةَ، فَهَزَمَ الرُّومَ، وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَعَةُ عُثْمَانَ بْنِ الْوَلِيدِ بِالرُّومِ، مِنْ نَاحِيَةِ أَرْمِينِيَّةَ، وَهُوَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، وَالرُّومُ فِي سِتِّينَ أَلْفًا، فَهَزَمَهُمْ، وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِيهِمْ.

وفي سنة (٧٥هـ) غزا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ - أَخُو عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَهُوَ وَالِدُ مَرْوَانَ الْحِمَارِ صَائِقَةَ الرُّومِ حِينَ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِ مَرْعَشٍ.

وفي سنة (٧٨هـ) كَانَتْ غَزْوَةٌ عَظِيمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ بِبِلَادِ الرُّومِ، فَفَتَحُوا إِرْقِلِيَّةَ، فَلَمَّا رَجَعُوا أَصَابَهُمْ مَطَرٌ عَظِيمٌ وَتَلَجَّ وَبَرَدٌ، فَأَصِيبَ بِسَبَبِهِ نَاسٌ كَثِيرٌ.

وفي سنة (٨٤هـ) افْتَتَحَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ الْمِصْبِيصَةَ.

وفي سنة (٨٦هـ) غزا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِلَادَ الرُّومِ، فَقَتَلَ وَسَبَى وَغَنِمَ وَسَلِّمَ، وَافْتَتَحَ حِصْنَ بُولُقٍ، وَحِصْنَ الْأَخْرَمِ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ.

فتح قاليقلا

في سنة (٨١هـ) فَتَحَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ مَدِينَةَ قَالِيْقَلَا (ثغر أرمينية وأذربيجان)، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا غَنَائِمَ كَثِيرَةً.

غزو أرمينية

في سنة (٨٤هـ) غزا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ أَرْمِينِيَّةَ فَقَتَلَ مِنْهُمْ خُلُقًا كَثِيرًا.

فتح بلاد المغرب

في سنة (٧٨هـ) وَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ غَزَا بِلَادِ الْمَغْرِبِ جَمِيعَهُ، فَسَارَ إِلَى طَنْجَةَ وَقَدَّمَ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ طَارِقًا، فَقَتَلُوا مُلُوكَ تِلْكَ الْبِلَادِ.

وفي سنة (٨١هـ) غزا مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ أَمِيرُ بِلَادِ الْمَغْرِبِ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ، فَافْتَتَحَ مُدُنًا كَثِيرَةً، وَأَرَاضِي عَامِرَةً، وَأَوْعَلَ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى الرُّقَاقِ الْمُنْبَتِقِ مِنَ الْبَحْرِ

المُحِيط.

وفي سنة (٨٣هـ) غزا عطاء بن رافع صقلية.

في سنة (٨٤هـ) افتتح موسى بن نصير طائفة من بلاد المغرب من ذلك بلد أوربة.

غزو الترك

في سنة (٧٩هـ) غزا عبید الله بن أبي بكره رتبيل ملك الترك حتى أوغل في بلاده، ثم صالحه على مال يحمل إليه في كل سنة.

وفي سنة (٨٠هـ) قطع المهلب بن أبي صفرة نهر بلخ، وأقام بكش سنتين صابراً مصابراً للأعداء من الأتراك، وجرت له معهم هناك فصول يطول ذكرها.

وجّه الحجاج الجيوش من البصرة والكوفة وغيرهما؛ لقتال رتبيل ملك الترك؛ ليقتصوا منه ما كان من قتل جيش عبید الله بن أبي بكره في السنة الماضية، فجهز أربعين ألفاً من كل من المصريين عشرين ألفاً، وأمر على الجميع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث.

فسار ابن الأشعث بالجيوش نحو أرض رتبيل، فلما بلغ رتبيل محيئ ابن الأشعث بالجند إليه كتب إليه رتبيل يعتذر مما أصاب المسلمين في بلاده في السنة الماضية، وأنه كان لذلك كارهاً، وأنهم الجئوه إلى قتالهم، وسأل من ابن الأشعث أن يصالحه، وأن يبذل للمسلمين الخراج، فلم يجبه ابن الأشعث إلى ذلك، وصمم على دخول بلاده، وجمع رتبيل جنوده، ونهياً له ولجربه، وجعل ابن الأشعث كلما دخل بلداً أو مدينة، أو أخذ قلعة من بلاد رتبيل استعمل عليها نائباً من جهته، وجعل معه من يحفظها، وجعل المسالحي على كل أرض ومكان مخوف، فاستحوذ على بلاد ومدين كثيرة من بلاد رتبيل، وغنم أموالاً كثيرة جزيلاً، وسبى خلقاً كثيراً، ثم حبس الناس عن التوغل في بلاد رتبيل حتى يصلحوا ما بأيديهم من البلاد، ويتقووا بما فيها من المغلات والحواصل، ثم تقدموا في العام المقبل إلى أعدائهم، فلا يزالون يجوزون الأراضي والأقاليم حتى يحاصروهم في مدينتهم - مدينة العظماء - على الكنوز والأموال والذرائع حتى يغنموها، ثم يقتلون مقاتلتهم، وعزموا على ذلك، وكان هذا هو الرأي.

وكتب ابن الأشعث إلى الحجاج يخبره بما وقع من الفتح، وما صنع الله لهم، وبهذا الرأي الذي

رَأَاهُ لَهُمْ، وَمَاتَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ بِأَمْرِ سِجِسْتَانَ
مَكَانَ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ.

فتح مرو وخراسان

فِي سَنَةِ (٨٦ هـ) عَزَا قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ وَالِي مَرُو وَخُرَاسَانَ بِأَلَدًا كَثِيرَةً مِنْ أَرْضِ التُّرْكِ،
وَعَايَرَهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وَسَبَى وَغَنِمَ وَسَلَّمْ وَتَسَلَّمَ قِلَاعًا وَحُصُونًا وَمَمَالِكًا.

وَكَانَ فِي جُمْلَةِ السَّبْيِ امْرَأَةٌ بَرَمَكٌ - وَالِدِ خَالِدِ بْنِ بَرَمَكٍ - فَأَعْطَاهَا قُتَيْبَةُ أَخَاهُ عَبْدَ
اللَّهِ بْنَ مُسْلِمٍ.

ولاته على البلدان

ولاية البصرة

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي سَنَةِ (٧٣هـ) عَزَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْبَصْرَةِ، وَأَضَافَهَا إِلَى أَخِيهِ بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ مَعَ الْكُوفَةِ، فَارْتَحَلَ إِلَيْهَا بِشْرٌ، وَاسْتَحْلَفَ عَلَى الْكُوفَةِ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ.

ولاية خراسان

فِي سَنَةِ (٧٤) عَزَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بُكَيْرَ بْنَ وَشَّاحٍ التَّمِيمِيَّ عَنْ إِمْرَةِ خُرَاسَانَ، وَوَلَّاهَا أُمَيَّةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدِ الْقُرَشِيِّ؛ لِيَجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَإِنَّهُ قَدْ كَادَتْ الْفِتْنَةُ تَتَفَاقَمُ بِخُرَاسَانَ بَعْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ، فَلَمَّا قَدِمَ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ خُرَاسَانَ عَرَضَ عَلَى بُكَيْرِ بْنِ وَشَّاحٍ أَنْ يَكُونَ عَلَى شَرْطَتِهِ، فَأَبَى، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُؤَلِّيَهُ طُحَارِسْتَانَ، فَخَوَّفُوهُ مِنْهُ أَنْ يَخْلَعَهُ هُنَالِكَ، فَتَرَكَهُ مُقِيمًا عِنْدَهُ.

وَفِي سَنَةِ (٨٥هـ) عَزَلَ الْحَجَّاجُ عَنْ إِمْرَةِ خُرَاسَانَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا أَحَاهُ الْمُفَضَّلَ بْنَ الْمُهَلَّبِ.

ولاية العراق

فِي سَنَةِ (٧٥هـ) وَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ نِيَابَةَ الْعِرَاقِ؛ الْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ، وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِنَ الْأَقَالِيمِ الْكِبَارِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ، فَرَأَى عَبْدُ الْمَلِكِ أَنَّهُ لَا يَسُدُّ عَنْهُ أَهْلَ الْعِرَاقِ غَيْرُ الْحَجَّاجِ؛ لِسَطَوَتِهِ وَقَهْرِهِ وَقَسَوَتِهِ وَشَهَامَتِهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ بِوَلَايَةِ الْعِرَاقِ، فَسَارَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْعِرَاقِ، فَنَزَلَ قَرِيبَ الْكُوفَةِ فَاعْتَسَلَ وَاحْتَضَبَ، وَلَبَسَ ثِيَابَهُ، وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ، وَأَلْقَى عَذْبَةَ الْعِمَامَةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ سَارَ فَنَزَلَ دَارَ الْإِمَارَةِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَقَدْ أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ الْأَوَّلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَجَلَسَ عَلَيْهِ، وَأَمْسَكَ عَنِ الْكَلَامِ طَوِيلًا، وَقَدْ شَخَصُوا إِلَيْهِ بِأَبْصَارِهِمْ، وَجَثُّوا عَلَى الرُّكْبِ، وَتَنَاوَلُوا الْحَصْبَاءَ لِيَقْدِفُوهُ بِهَا، وَقَدْ كَانُوا حَصَبُوا الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، فَلَمَّا سَكَتَ أَبْهَتَهُمْ، وَأَحْبَبُوا أَنْ يَسْمَعُوا كَلَامَهُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ:

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، يَا أَهْلَ الشِّقَاقِ، وَيَا أَهْلَ النِّفَاقِ وَمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ، وَاللَّهِ إِنْ كَانَ أَمْرُكُمْ لِيَهْمُنِي قَبْلَ أَنْ آتِيَ إِلَيْكُمْ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ بِي، فَأَجَابَ دَعْوَتِي، إِلَّا أَنِّي سِرْتُ الْبَارِحَةَ فَسَقَطَ مِنِّي سَوْطِي الَّذِي أُؤْذِيكُمْ بِهِ، فَاتَّخَذْتُ هَذَا مَكَانَهُ - وَأَشَارَ إِلَى سَيْفِهِ - ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَا جُرْئَتُهُ فِيكُمْ جَرَّ الْمَرْأَةِ ذَيْلَهَا، وَلَا فَعْلَنَّ بِكُمْ وَلَا صَنَعَنَّ، فَلَمَّا سَمِعُوا كَلَامَهُ جَعَلَ الْحَصَى يَتَسَاقَطُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، ثُمَّ كَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ:

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا ... مَتَى أَضْعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

ثُمَّ قَالَ: وَإِنِّي لَأَرَى رُؤُوسًا قَدْ أَيْنَعَتْ وَحَانَ قِطَافُهَا، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى الدِّمَاءِ تَتَرَفَّقُ بَيْنَ الْعِمَامَةِ وَاللَّحَى:

قَدْ شَمَرْتُ عَنْ سَاقِهَا فَشَمَّرِي

ثُمَّ أَنشَدَ أَيْضًا:

هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدَّي زَيْمٌ ... قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطَمَ
لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ ... وَلَا بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضْمٍ
قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِعَضَلِيٍّ ... أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِيِّ
مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيٍّ

ثُمَّ قَالَ: إِنِّي يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ مَا أُغَمِّرُ بِغَمَازٍ، وَلَا يُقَعِّعُ لِي بِالشَّنَانِ، وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ نَشَرَ كِنَانَتَهُ، ثُمَّ عَجَمَ عِيدَانَهَا عُودًا عُودًا، فَوَجَدَنِي أَمْرَهَا عُودًا، وَأَصْلَبَهَا مَغْمِرًا، فَوَجَّهَنِي إِلَيْكُمْ، فَإِنَّكُمْ طَالَمَا أَوْضَعْتُمْ فِي أَوْدِيَةِ الْفِتَنِ، وَسَنَنْتُمْ سُنَنَ الْعَيِّ، أَمَا وَاللَّهِ لَا لُحُوتَكُمْ لَحَى الْعُودِ، وَلَا عُصَبِنَكُمْ عَصَبَ السَّلَمَةِ، وَلَا ضَرْبَنَكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ، إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَعِدُّ إِلَّا وَفَيْتُ، وَلَا أَخْلُقُ إِلَّا فَرَيْتُ. فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ بَلِيغٍ غَرِيبٍ، يَشْتَمِلُ عَلَى وَعِيدٍ شَدِيدٍ، لَيْسَ فِيهِ وَعْدٌ بِخَيْرٍ.

وَبَعَثَ الْحَجَّاجُ الْحَكَمَ بْنَ أَيُّوبَ الثَّقَفِيَّ نَائِبًا عَلَى الْبَصْرَةِ مِنْ جِهَتِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَدَّ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَقَرَّ عَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ شُرَيْجًا، ثُمَّ رَكِبَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَاسْتَحْلَفَ عَلَى الْكُوفَةِ أَبَا يَعْقُورَ، وَوَلَّى قَضَاءَ الْبَصْرَةِ لِرُزَارَةَ بْنَ أَوْفَى، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْكُوفَةِ.

وفي سنة (٧٨هـ) كان أمير العراق وخراسان وسجستان وتلك النواحي كلها الحجاج،
وفي سنة (٨٤هـ) استعمل الحجاج على فارس محمد بن القاسم الثقفي وأمره بجهاد الأكراد.

ولاية المدينة

في سنة (٧٤هـ) عزل عبد الملك طارق بن عمرو عن إمرة المدينة، وأضافها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي، فقام بها شهرًا، ثم خرج مُعتمراً، ثم عاد إلى المدينة في صفر، فقام بها ثلاثة أشهر، وبقي في بني سلمة مسجداً، وهو الذي يُنسب إليه اليوم.
وفي سنة (٧٥هـ) أسند عبد الملك بن مروان نيابة المدينة ليحيى بن الحكم بن أبي العاص، وهو عمه، وعزل عنها الحجاج.

وفي سنة (٧٦هـ) ولّى عبد الملك بن مروان نيابة المدينة لأبان بن عثمان، وعزل عنها يحيى بن مروان عمه، واستدعاه إلى الشام.

وفي سنة (٧٨هـ) كان أمير المدينة أبان بن عثمان،
وفي جمادى الآخرة من سنة (٨٢هـ) عزل عبد الملك بن مروان أبان بن عثمان عن إمرة المدينة، وولّى عليها هشام بن إسماعيل المخزومي.

ولاية مصر :

في سنة (٨٤هـ) ولّى عبد الملك الإسكندرية عياض بن غنم التميمي.
وفي سنة (٨٥هـ) عزّم عبد الملك على عزل أخيه عبد العزيز بن مروان عن إمرة الديار المصرية، وحسن له ذلك روح بن زنباع الجذامي، وإنما حملته على إرادة عزله أنه أراد أن يعهد بالأمر من بعده لأولاده؛ الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام، وذلك عن رأي الحجاج وترتيبه ذلك لعبد الملك، وكان أبوه مروان عهد بالأمر إلى عبد الملك، ثم من بعده إلى عبد العزيز، فأراد عبد الملك أن ينحيه عن الإمرة من بعده بالكليّة، ويجعل الأمر في أولاده وعقبه، وأن تكون الخلافة باقية فيهم، فمات عبد العزيز بن مروان في أثناء ذلك.
وفي سنة (٨٦هـ) عقد عبد الملك لابنه عبد الله على مصر، وذلك بعد موت أخيه عبد العزيز، فدخلها في جمادى الآخرة، وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة.

ولاية الحج :

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي سَنَةِ (٧٤هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ، وَهُوَ عَلَى إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالْيَمَنَ وَالْيَمَامَةَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سَنَةِ (٧٥هـ) عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سَنَاتِ (٧٦هـ) وَ (٧٧هـ) وَ (٧٩هـ) وَ (٨٠هـ) وَ (٨٢هـ) أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَقَّانَ نَائِبَ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سَنَةِ (٧٨هـ) الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ،

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سَنَةِ (٨١هـ) سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .

وَحَجَّ بِالنَّاسِ مِنْ سَنَةِ (٨٣هـ) إِلَى سَنَةِ (٨٦هـ) هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمُخْزُومِيُّ أَمِيرَ الْمَدِينَةِ.

مشاهير مَنْ تُوفِّيَ مِنَ الْأَعْيَانِ فِي خِلاَفَتِهِ

١- رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ بْنِ رَافِعِ الْأَنْصَارِيِّ صَحَابِيٍّ جَلِيلٍ، شَهِدَ أَحَدًا وَمَا بَعْدَهَا، وَصَقِّينَ مَعَ عَلِيٍّ، وَكَانَ يَتَعَانَى الْمَزَارِعَ وَالْفَلَاحَةَ، تُوفِّيَ وَهُوَ ابْنُ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَأَسْنَدَ ثَمَانِيَّةً وَسَبْعِينَ حَدِيثًا، وَتُوفِيَ فِي سَنَةِ (٧٤هـ).

٢- أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ، الْأَنْصَارِيُّ الْخَزَرَجِيُّ صَحَابِيٍّ جَلِيلٍ، مِنْ فُقَهَاءِ الصَّحَابَةِ، كَانَ أَوَّلَ مَشَاهِدِهِ الْخُنْدُقُ، وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ غَزْوَةً، كَانَ مِنْ مُجَبَّاءِ الصَّحَابَةِ وَفُضَّلَائِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتُوفِيَ فِي سَنَةِ (٧٤هـ).

٣- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، الْقُرَشِيُّ الْعَدَوِيُّ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَسْلَمَ قَدِيمًا مَعَ أَبِيهِ بِمَكَّةَ، وَهَاجَرَ وَعُمُرُهُ عَشْرَ سِنِينَ، وَشَهِدَ الْخُنْدُقَ وَمَا بَعْدَهَا، وَهُوَ شَقِيقُ حَفْصَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أُمُّهُمَا زَيْنَبُ بِنْتُ مِطْعُونٍ، أُحْتُ عِثْمَانُ بْنُ مِطْعُونٍ. وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رُبْعَةً مِنَ الرِّجَالِ، آدَمَ، لَهُ جُمَّةٌ تَضْرِبُ إِلَى مَنْكَبَيْهِ، جَسِيمًا، يَخْضِبُ بِالْبُصْفَةِ، وَيُخْفِي شَارِبَهُ، وَكَانَ يَتَوَضَّأُ لِكُلِّ صَلَاةٍ، وَشَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ، وَاحْتَطَّ بِهَا دَارًا، وَقَدِمَ الْبَصْرَةَ وَشَهِدَ غَزَا فَارِسَ، وَوَرَدَ الْمَدَائِنَ مِرَارًا، وَكَانَ إِذَا أَعْجَبَهُ شَيْءٌ مِنْ مَالِهِ تَقَرَّبَ بِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ مَا مَاتَ حَتَّى أَعْتَقَ أَلْفَ رَقَبَةٍ، وَرُبَّمَا تَصَدَّقَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا. وَبَعَثَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ بِمِائَةِ أَلْفٍ، فَمَا حَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ وَعِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ، وَكَانَ يَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا، فَمَا رَزَقَنِي اللَّهُ فَلَا أُرُدُّهُ، وَكَانَ فِي مُدَّةِ الْفِتْنَةِ لَا يَأْتِي أَمِيرٌ إِلَّا صَلَّى خَلْفَهُ، وَأَدَّى إِلَيْهِ زَكَاةَ مَالِهِ، وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِمَنَاسِكَ الْحَجِّ، وَمَكَثَ سِتِّينَ سَنَةً يُفْقِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ.

وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً، وَأَسْنَدَ أَلْفَيْنِ وَسِتِّمِائَةٍ وَثَلَاثِينَ حَدِيثًا. تُوفِّيَ بِمَكَّةَ بَعْدَ مُنْصَرَفِ النَّاسِ مِنَ الْحَجِّ فِي آخِرِ سَنَةِ (٧٤هـ)، وَعُمُرُهُ أَرْبَعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، وَهُوَ آخِرُ مَنْ مَاتَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِمَكَّةَ.

٤-عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ بْنِ قَتَادَةَ اللَّيْثِيُّ، أَبُو عَاصِمٍ الْمَكِّيُّ قَاصُّ أَهْلِ مَكَّةَ. قَالَ مُسْلِمٌ بْنُ الْحَجَّاجِ: وُلِدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَجْلِسُ فِي حَلْفَتِهِ وَيَبْكِي، وَكَانَ يُعْجِبُهُ تَذْكِرُهُ، وَتَوَفَّى فِي سَنَةِ (٧٤هـ).

٥-أَبُو جُحَيْفَةَ وَهْبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السُّوَائِيُّ صَحَابِيُّ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ دُونَ الْبُلُوغِ عِنْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكِنْ رَوَى عَنْهُ عِدَّةٌ أَحَادِيثَ، وَعَنْ عَلِيٍّ، وَالْبِرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، وَعَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ، وَتَوَفَّى فِي سَنَةِ (٧٤هـ).

٦- سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سِنَانِ الْأَنْصَارِيِّ وَهُوَ أَحَدُ مَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَكَانَ مِنْ فُرْسَانَ الصَّحَابَةِ، وَمِنْ عُلَمَائِهِمْ، كَانَ يُفْتِي بِالْمَدِينَةِ، وَلَهُ مَشَاهِدُ مَعْرُوفَةٌ، فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَهُ، تُؤَيِّ بِالْمَدِينَةِ، سَنَةِ (٧٤هـ) وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ.

٧-مَالِكُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ، الْأَصْبَحِيُّ الْمَدَنِيُّ وَهُوَ جَدُّ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَكَانَ فَاضِلًا عَالِمًا، تُؤَيِّ بِالْمَدِينَةِ سَنَةِ (٧٤هـ) ..

٨-أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَبِيبٍ السُّلَمِيُّ مُقَرَّرُ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِأَلَا مُدَافَعَةٍ، قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَسَمِعَ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَأَقْرَأَ النَّاسَ الْقُرْآنَ بِالْكُوفَةِ مِنْ خِلَافَةِ عُثْمَانَ إِلَى إِمْرَةِ الْحَجَّاجِ، قَرَأَ عَلَيْهِ عَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجُودِ، وَخَلْقٌ غَيْرُهُ، تُؤَيِّ بِالْكُوفَةِ، سَنَةِ (٧٤هـ).

٩-بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ الْأُمَوِيُّ أَخُو عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَلِي إِمْرَةِ الْعِرَاقَيْنِ لِأَخِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَانَ سَمَحًا جَوَادًا، وَكَانَ لَا تُغْلَقُ دُونُهُ الْأَبْوَابُ، وَتَوَفَّى فِي سَنَةِ (٧٤هـ).

١٠-الْعِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ السُّلَمِيُّ أَبُو نَجِيحٍ سَكَنَ حِمَصَ، وَهُوَ صَحَابِيُّ جَلِيلٌ، أَسْلَمَ قَدِيمًا هُوَ وَعَمَرُو بْنُ عَبْسَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَنَزَلَ الصُّفَّةَ، وَكَانَ مِنَ الْبَكَائِينَ الْمَذْكُورِينَ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٍ، وَهُوَ زَاوِي حَدِيثٍ: حُطَبْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُطْبَةً وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، حَتَّى قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةٌ مُودِعٍ فَأَوْصِنَا. قَالَ:

«أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَيْبَةٌ، عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَهْلُ السُّنَنِ، وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٧٥هـ)

١١- أَبُو ثَعْلَبَةَ الْحُسَيْنِيُّ (جَرْتُومُ بْنُ نَاشِرٍ) صَحَابِيُّ جَلِيلٌ، شَهِدَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، وَغَزَا حُنَيْنًا، وَكَانَ مِمَّنْ نَزَلَ الشَّامَ بِدَارِيَا غَرْبِي دِمَشْقَ. وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٧٥هـ).

١٢- الْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ النَّحْعِيُّ صَاحِبُ ابْنِ مَسْعُودٍ، مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ، وَمِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَمِنْ كِبَارِ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَقَدْ حَجَّ الْبَيْتَ ثَمَانِينَ حَجَّةً وَعُمْرَةً، تُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٧٥هـ).

١٣- حُمْرَانُ بْنُ أَبَانَ، مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ كَانَ مِنْ سَبِي عَيْنِ التَّمْرِ، اشْتَرَاهُ عُثْمَانُ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَأْذُنُ لِلنَّاسِ عَلَى عُثْمَانَ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٧٥هـ)

١٤- أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ الْقُضَاعِيُّ اسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلٍّ، أَسْلَمَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَغَزَا جُلُولَاءَ وَالْقَادِسِيَّةَ وَتُسْتَرَ وَنَهَاوَنْدَ وَأَذْرَبِيحَانَ وَغَيْرَهَا، وَكَانَ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، زَاهِدًا عَالِمًا، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٧٦هـ) بِالْكُوفَةِ وَعُمْرُهُ مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً.

١٥- صِلَةُ بْنُ أَشِيمَ الْعَدَوِيُّ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ ذَا فَضْلٍ وَوَرَعَ وَعِبَادَةٍ وَزُهْدٍ، كُنِيَّتُهُ أَبُو الصَّهْبَاءِ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٧٦هـ).

١٦- زُهَيْرُ بْنُ قَيْسٍ الْبَلَوِيُّ شَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ وَسَكَنَهَا، لَهُ صُحْبَةٌ، قَتَلَتْهُ الرُّومُ بِرَقَّةٍ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٧٦هـ).

١٧- الْمُنْدِرُ بْنُ الْجَارُودِ تَوَلَّى بَيْتَ الْمَالِ، وَوَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٧٦هـ).

١٨- مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ كَانَتْ أُخْتُهُ تَحْتَ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَوَلَّاهُ سِجِسْتَانَ، فَلَمَّا سَارَ إِلَيْهَا قِيلَ لَهُ: إِنَّ شَيْبًا فِي طَرِيقِكَ، وَقَدْ أَعْيَا النَّاسَ، فَأَعْدِلْ إِلَيْهِ لَعَلَّكَ أَنْ تَقْتُلَهُ، فَيَكُونَ ذِكْرُ ذَلِكَ وَشَهْرَتُهُ لَكَ إِلَى الْأَبَدِ. فَلَمَّا سَارَ لَقِيَهُ شَيْبٌ فَأَقْتَتَلَ مَعَهُ، فَقَتَلَهُ شَيْبٌ فِي سَنَةِ (٧٧هـ).

١٩- مُطَرِّفُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، وَقَدْ كَانَ هُوَ وَإِخْوَتُهُ يَمِيلُونَ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ، فَاسْتَعْمَلَهُمُ

الْحَجَّاجُ عَلَى أَقَالِيمٍ، فَاسْتَعْمَلَ عُزْرَةَ عَلَى الْكُوفَةِ، وَمُطَرِّفًا عَلَى الْمَدَائِنِ، وَحَمْرَةَ عَلَى هَمْدَانَ، وَتُؤَيِّ فِي سَنَةِ (٧٧هـ).

٢٠- جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، الْأَنْصَارِيُّ السَّلَمِيُّ، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَهُ رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَشَهِدَ الْعُقَبَةَ، وَأَرَادَ أَنْ يَشْهَدَ بَدْرًا فَمَنَعَهُ أَبُوهُ، وَخَلَّفَهُ عَلَى أَخَوَاتِهِ وَإِخْوَتِهِ، وَكَانُوا تِسْعَةً، وَقِيلَ: إِنَّهُ ذَهَبَ بَصْرَةَ قَبْلَ مَوْتِهِ. تُؤَيِّ جَابِرٌ سَنَةَ (٧٨هـ) بِالْمَدِينَةِ، وَعُمُرُهُ أَرْبَعٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً، وَأَسْنَدَ أَلْفًا وَخَمْسِمِائَةً وَأَرْبَعِينَ حَدِيثًا.

٢١- شُرَيْحُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسٍ، أَبُو أُمَيَّةَ، الْكِنْدِيُّ وَهُوَ قَاضِي الْكُوفَةِ، وَقَدْ تَوَلَّى الْقَضَاءَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَعَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ عَزَلَهُ عَلِيٌّ، ثُمَّ وَلَّاهُ مُعَاوِيَةَ، ثُمَّ اسْتَقَلَّ فِي الْقَضَاءِ، إِلَى أَنْ مَاتَ فِي الْكُوفَةِ سَنَةَ (٧٨هـ)، وَعُمُرُهُ مِائَةٌ وَثَمَانِ سِنِينَ.

٢٢- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنَمٍ الْأَشْعَرِيُّ نَزِيلُ فَلَسْطِينٍ، قِيلَ: إِنَّ لَهُ صُحْبَةً. وَقَدْ بَعَثَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ؛ لِيُفَقِّهَ أَهْلَهَا فِي الدِّينِ، وَكَانَ مِنَ الْعَبَادِ الصَّالِحِينَ، وَتُؤَيِّ فِي سَنَةِ (٧٨هـ).

٢٣- جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ الْأَزْدِيُّ شَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى غَزْوِ الْبَحْرِ لِمُعَاوِيَةَ، وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالشَّجَاعَةِ وَالْحَيْرِ، تُؤَيِّ بِالشَّامِ سَنَةَ (٧٨هـ) وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ.

٢٤- الْعَلَاءُ بْنُ زِيَادٍ الْبَصْرِيُّ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ الْعَبَادِ، مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْخَوْفِ وَالْوَرَعِ، وَلَهُ مَنَاقِبُ كَثِيرَةٌ، تُؤَيِّ بِالْبَصْرَةِ، فِي سَنَةِ (٧٨هـ) ..

٢٥- عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، وَهُوَ أَمِيرُ الْجَيْشِ الَّذِي دَخَلَ بِلَادَ التُّرْكِ، وَقَاتَلُوا زُبَيْلَ - مَلِكَ التُّرْكِ - وَقَدْ قُتِلَ مِنْ جَيْشِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مَعَ شُرَيْحِ بْنِ هَانِيٍّ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِبُسْتِ سَنَةِ (٧٩هـ).

٢٦- أَسْلَمُ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَصْلُهُ مِنْ سَبْيِ عَيْنِ التَّمْرِ، اشْتَرَاهُ عُمَرُ بِمَكَّةَ لَمَّا حَجَّ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ، وَتُؤَيِّ وَعُمُرُهُ مِائَةٌ وَأَرْبَعٌ عَشْرَةَ سَنَةً، سَنَةَ (٨٠هـ)،

٢٧- جُبَيْرُ بْنُ نَفِيرٍ بْنُ مَالِكٍ الْحَضْرَمِيُّ لَهُ صُحْبَةٌ وَرَوَايَةٌ، وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الشَّامِ، وَكَانَ مَشْهُورًا بِالْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ، تُؤَيِّ بِالشَّامِ وَعُمُرُهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، سَنَةَ (٨٠هـ).

٢٨- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وُلِدَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ وَهُوَ آخِرُ مَنْ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَفَاءً، سَكَنَ الْمَدِينَةَ، وَقَدْ «بَايَعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَعُمَرُهَا سَبْعَ سِنِينَ»، وَهَذَا لَمْ يَتَّفَقْ لِعَرِّهِمَا.

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ مِنْ أَسْحَى النَّاسِ، يُعْطِي الْجُرَيْلَ الْكَثِيرَ وَيَسْتَقِلُّهُ، وَقَدْ تَصَدَّقَ مَرَّةً بِالْفِي أَلْفٍ، وَتُؤَيِّ فِي سَنَةِ (٨٠هـ).

٢٩- أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ اسْمُهُ عَائِدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، لَهُ أَحْوَالٌ وَمَنَاقِبٌ، كَانَ يَقُولُ: قَلْبٌ نَقِيٌّ فِي ثِيَابٍ دَنَسَةٍ خَيْرٌ مِنْ قَلْبٍ دَنَسٍ فِي ثِيَابٍ نَقِيَّةٍ. وَقَدْ تَوَلَّى الْقَضَاءَ بِدِمَشْقَ، وَتُؤَيِّ فِي سَنَةِ (٨٠هـ).

٣٠- مَعْبُدُ الْجَهْنِيُّ الْقَدَرِيُّ وَكَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقَدَرِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَخَذَ ذَلِكَ عَنْ رَجُلٍ مِنَ النَّصَارَى مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ يُقَالُ لَهُ: سَوْسَنُ. وَأَخَذَ غَيْلَانُ الْقَدَرُ مِنْ مَعْبُدٍ. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِيَّاكُمْ وَمَعْبُدًا؛ فَإِنَّهُ ضَالٌّ مُضِلٌّ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَفِيرٍ: صَلَبَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ بِدِمَشْقَ، ثُمَّ قَتَلَهُ فِي سَنَةِ (٨٠هـ).

٣١- سُويْدُ بْنُ غَفَلَةَ بْنِ عَوْسَجَةَ بْنِ عَامِرٍ أَبُو أُمَيَّةَ الْجَعْفِيُّ الْكُوفِيُّ، شَهِدَ الْيَرْمُوكَ، وَحَدَّثَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الْمُحَضَّرِينَ، وَتُؤَيِّ فِي سَنَةِ (٨١هـ).

٣٢- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ كَانَ مِنَ الْعُبَادِ الرُّهَادِ الْعُلَمَاءِ، وَلَهُ وَصَايَا وَكَلِمَاتٌ حَسَنَاتٌ، وَقَدْ رَوَى عِدَّةَ أَحَادِيثَ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَعَنْهُ خَلْقٌ مِنَ التَّابِعِينَ، وَتُؤَيِّ فِي سَنَةِ (٨١هـ).

٣٣- مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْحَنْفِيَّةِ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَمَةً مِنْ سَبِيِّ بَنِي حَنِيفَةَ، اسْمُهَا حَوْلَةُ، وَوُلِدَ مُحَمَّدٌ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَوَقَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، وَعَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ، وَمِنْ الشُّجْعَانِ الْمَشْهُورِينَ، وَمِنْ الْأَقْوِيَاءِ الْمَذْكُورِينَ. مَاتَ بِالْمَدِينَةِ فِي سَنَةِ (٨١هـ) وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ.

قال ابن كثير: وَالرَّافِضَةُ يُزْعَمُونَ أَنَّهُ يُجْبَلِ رَضْوَى، وَأَنَّهُ حَيٌّ يُرْزَقُ، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَهُ، وَقَدْ قَالَ كَثِيرٌ عَزَّةً فِي ذَلِكَ:

أَلَا إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ ... وَلَاةُ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءٌ
عَلَيَّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ ... هُمْ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ
فَسَبَطُ سَبَطِ إِيْمَانٍ وَبِرٍّ ... وَسَبَطُ غَيْبَتِهِ كَرُبْلَاءُ
وَسَبَطُ لَا تَرَاهُ الْعَيْنُ حَتَّى ... يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا لَوَاءُ
تَغَيَّبَ لَا يُرَى عَنْهُمْ زَمَانًا... بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءُ

وَقَدْ ذَهَبَ طَائِفَةٌ مِنَ الرَّافِضَةِ إِلَى إِمَامَتِهِ، وَأَنَّهُ يُنْتَظَرُ خُرُوجُهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، كَمَا يَنْتَظَرُ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْهُمْ الْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ، الَّذِي يَخْرُجُ فِي زَعْمِهِمْ مِنْ سِرْدَابٍ سَامِرًا، وَهَذَا مِنْ خُرَافَاتِهِمْ وَضَلَالِهِمْ وَبُهْتَانِهِمْ.

٣٤- الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ أَبُو سَعِيدٍ الْأَزْدِيُّ، أَحَدُ أَشْرَافِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَوُجُوهِهِمْ وَدُهُائِهِمْ وَأَجْوَادِهِمْ، وُلِدَ عَامَ الْفَتْحِ، وَكَانُوا يَنْزِلُونَ فِيمَا بَيْنَ عُمانَ وَالْبَحْرَيْنِ، ثُمَّ نَزَلَ الْمُهَلَّبُ الْبَصْرَةَ وَقَدْ غَزَا فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ أَرْضَ الْهِنْدِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ، وَوَلِيَ الْجَزِيرَةَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ، ثُمَّ وَلِيَ حَرْبَ الْخَوَارِجِ أَوَّلَ إِمَارَةِ الْحَجَّاجِ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ فِي وَفْعَةٍ وَاحِدَةٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَثَمَانِمِائَةٍ، فَعَظُمَتْ مَنَزِلَتُهُ عِنْدَ الْحَجَّاجِ. وَكَانَ فَاضِلًا شَجَاعًا كَرِيمًا، وَلَهُ كَلَامٌ حَسَنٌ، فَمِنْهُ: يُعْجِبُنِي فِي الرَّجُلِ خَصْلَتَانِ: أَنْ أَرَى عَقْلَهُ زَائِدًا عَلَى لِسَانِهِ، وَلَا أَرَى لِسَانَهُ زَائِدًا عَلَى عَقْلِهِ.

تُوفِّيَ الْمُهَلَّبُ سَنَةَ (٨٢هـ) غَازِيًا بِمَرِّ الرُّودِ، وَعُمُرُهُ سِتَّةٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً .

٣٥- الْمُغِيرَةُ بْنُ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ كَانَ جَوَادًا مُدَّحًا شَجَاعًا، لَهُ مَوَاقِفُ مَشْهُورَةٌ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٨٢هـ).

٣٦- الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيُّ الْمَعْرُوفُ بِثُبَاعٍ، وَلِيَ إِمْرَةَ الْبَصْرَةِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٨٢هـ).

٣٧- مُحَمَّدُ بْنُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ كَانَ مِنْ فُضَلَاءِ أَهْلِ الصَّحَابَةِ وَأَعْقَلِهِمْ، تُوفِّيَ

بِالْمَدِينَةِ سَنَةِ (٨٢هـ) ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ .

٣٨- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ وَالِدُ الْفَقِيهِ إِسْحَاقَ، حَمَلَتْ بِهِ أُمُّهُ أُمُّ سُلَيْمٍ لَيْلَةً مَاتَ ابْنُهَا، فَأَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ فَأَعْلَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْرَسْتُمْ؟ بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي لَيْلَتِكُمْ» وَلَمَّا وُلِدَ حَنَكُهُ بِتَمَرَاتٍ، وَتُوِّفِيَ فِي سَنَةِ (٨٢هـ) .

٣٩- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ كَانَ قَائِدَ كَعْبٍ حِينَ عَمِي، لَهُ رَوَايَاتٌ، تُوِّفِيَ بِالْمَدِينَةِ فِي سَنَةِ (٨٢هـ) .

٤٠- جَمِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ الْقَضَاعِيِّ، أَبُو عَمْرِو الشَّاعِرِ صَاحِبُ بُثَيْنَةَ، كَانَ قَدْ خَطَبَهَا فَمَنَعَتْ مِنْهُ، فَتَعَزَّلَ فِيهَا وَاشْتَهَرَ بِهَا، وَكَانَ أَحَدَ عُشَّاقِ الْعَرَبِ، كَانَتْ إِقَامَتُهُ بِوَادِي الْقُرَى، وَكَانَ غَفِيْقًا صَيِّتًا، دَيِّتًا شَاعِرًا إِسْلَامِيًّا، مِنْ أَفْصَحِ الشُّعْرَاءِ فِي زَمَانِهِ.

قال ابن كثير : كَانَتْ وَفَاتُهُ بِمِصْرَ سَنَةِ (٨٢هـ)؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ قَدِمَ عَلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، فَأَكْرَمَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ حُبِّهِ بُثَيْنَةَ، فَقَالَ: شَدِيدٌ، وَاسْتَنْشَدَهُ مِنْ أَشْعَارِهِ وَمَدَائِحِهِ فَأَنْشَدَهُ، فَوَعَدَهُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، فَعَاجَلَتْهُ الْمَنِيَّةُ فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَثَمَانِينَ، رَحِمَهُ اللَّهُ آمِينَ.

٤١- عُمَرُ بْنُ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ بْنِ عُثْمَانَ، أَبُو حَفْصِ الْقُرَشِيِّ النَّيْمِي أَحَدُ الْأَجْوَادِ، وَالْأَمْرَاءِ الْأَجَادِ، فُتِحَتْ عَلَى يَدَيْهِ بُلْدَانٌ كَثِيرَةٌ، وَكَانَ نَائِبًا لِابْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى الْبَصْرَةِ، وَقَدْ فَتَحَ كَابِلَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَازِمٍ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ قَطْرِيَّ بْنَ الْفُجَاءَةِ.

رَوَى عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَجَابِرٍ وَغَيْرِهِمَا، وَعَنْهُ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، وَابْنُ عَوْنٍ. وَوَفَدَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، فَتُوِّفِيَ بِالطَّاعُونَ بِدِمَشْقَ سَنَةِ (٨٢هـ) وَصَلِيَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ وَمَشَى فِي جَنَازَتِهِ .

٤٢- زُرُّ بْنُ حُبَيْشٍ، أَحَدُ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَقَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَتُوِّفِيَ فِي سَنَةِ (٨١هـ) .

٤٣- شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ أَبُو وَائِلٍ أَدْرَكَ مِنْ زَمَنِ الْجَاهِلِيَّةِ سَبْعَ سِنِينَ، وَأَسْلَمَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُوِّفِيَ فِي سَنَةِ (٨٢هـ) .

٤٤- أُمُّ الدَّرْدَاءِ الصُّعْرَى اسْمُهَا هُجَيْمَةُ، وَيُقَالُ: جُهَيْمَةُ، تَابِعِيَّةٌ عَابِدَةٌ عَالِمَةٌ فَقِيهَةٌ، كَانَ الرِّجَالُ يَفْرَهُونَ عَلَيْهَا وَيَتَفَقَّهُونَ فِي الْحَائِطِ الشَّمَالِيِّ بِجَامِعِ دِمَشْقَ وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَجْلِسُ فِي حُلَقَتِهَا مَعَ الْمُتَفَقِّهَةِ، وَهُوَ خَلِيفَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَتُوِّفِيَتْ فِي سَنَةِ

(٨٢هـ).

٤٥- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حُجْبِرَةَ الْخَوْلَانِيُّ الْمِصْرِيُّ رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ أَمِيرُ مِصْرَ قَدْ جَمَعَ لَهُ بَيْنَ الْقَضَاءِ وَالْقَصَصِ وَبَيَّنَّ الْمَالَ، وَكَانَ رِزْقُهُ فِي الْعَامِ أَلْفَ دِينَارٍ، وَكَانَ لَا يَدَّخِرُ مِنْهَا شَيْئًا، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٨٣هـ).

٤٦- طَارِقُ بْنُ شَهَابِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ الْأَخْمَسِيِّ مِمَّنْ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَزَا فِي خِلَافَةِ الصِّدِّيقِ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِضْعًا وَأَرْبَعِينَ عَزَاةً، تُوفِّيَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ (٨٣هـ).

٤٧- عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَدِيٍّ بْنِ الْحِيارِ أَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدَّثَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ مِنْ فُقَهَاءِ قُرَيْشٍ وَعُلَمَائِهِمْ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٨٣هـ).

٤٨- عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ الْخَارِجِيُّ كَانَ أَوَّلًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْخَوَارِجِ حَسَنَةً جَمِيلَةً جِدًّا فَأَحَبَّهَا، وَكَانَ هُوَ دَمِيمَ الشَّكْلِ، فَأَرَادَ أَنْ يَرُدَّهَا إِلَى السُّنَّةِ فَأَبَتْ، فَتَحَوَّلَ إِلَى مَذْهَبِهَا. وَقَدْ كَانَ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمُطْبِقِينَ، وَهُوَ الْقَائِلُ فِي قَتْلِ عَلِيٍّ وَقَاتِلِهِ:

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا ... إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانًا

إِنِّي لَأَذْكُرُهُ يَوْمًا فَأَحْسِبُهُ ... أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانًا

وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي أَبْيَاتِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي قَتْلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِأَبْيَاتٍ عَلَى قَافِيَتِهَا وَوَزْنِهَا:

بَلْ ضَرْبَةً مِنْ شَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا ... إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ حُسْرَانًا

إِنِّي لَأَذْكُرُهُ يَوْمًا فَأَحْسِبُهُ ... أَشَقَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانًا

وتوفي سنة (٨٤هـ) .

٤٩- عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الْأُمَوِيُّ، وُلِدَ بِالْمَدِينَةِ، ثُمَّ دَخَلَ الشَّامَ مَعَ أَبِيهِ مَرْوَانَ، وَوَلَّاهُ أَبُوهُ إِمْرَةَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ، فَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهَا إِلَى أَنْ تَوَفَّى فِي سَنَةِ (٨٥هـ).

وَقَدْ رَوَى عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ الْحَدِيثَ عَنْ أَبِيهِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ.

وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا، وَلَوَدِدْتُ أَنْ أَكُونَ هَذَا الْمَاءَ الْجَارِي، أَوْ نَبَاتَةً بِأَرْضِ الْحِجَازِ.

وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ مِنْ خِيَارِ الْأَمْراءِ، كَرِيمًا جَوَادًا مُدَّحًا، وَهُوَ وَالِدُ الْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَقَدْ اكْتَسَى عُمَرُ أَخْلَاقَ أَبِيهِ، وَزَادَ عَلَيْهِ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ.

٥٠- أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَقَّانِ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ، كَانَ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ الْعَشْرَةِ. قَالَهُ يَحْيَى بْنُ الْقَطَّانِ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: كَانَ ثِقَةً، وَكَانَ بِهِ صَمَمٌ، وَوَضَحَ كَثِيرٌ، وَأَصَابَهُ الْقَالِجُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَتُوُفِّيَ فِي سَنَةِ (٨٥هـ).

٥١- وَائِلَةُ بْنُ الْأَسْقَعِ شَهِدَ تَبُوكَ، ثُمَّ شَهِدَ فَتَحَ دِمَشْقَ وَنَزَلَهَا، وَهُوَ آخِرُ مَنْ تُوُفِّيَ بِدِمَشْقَ مِنَ الصَّحَابَةِ سَنَةِ (٨٥هـ).

٥٢- خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ صَحْرَ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ، كَانَ أَعْلَمَ قُرَيْشٍ بِقُنُونِ الْعِلْمِ، وَلَهُ يَدٌ طَوَّلَى فِي الطِّبِّ، وَكَلَامٌ كَثِيرٌ فِي الْكَيْمِيَاءِ، وَكَانَ خَالِدٌ فَصِيحًا بَلِيغًا شَاعِرًا، وَتُوُفِّيَ فِي سَنَةِ (٨٥هـ).

٥٣- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءِ الرُّبَيْدِيِّ شَهِدَ فَتَحَ مِصْرَ وَسَكَنَهَا، وَهُوَ آخِرُ مَنْ مَاتَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِمِصْرَ، سَنَةِ (٨٦هـ)، وَلَهُ أَحَادِيثُ.

٥٤- أَرْطَاةُ بْنُ زُفَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَطْفَانِي، أَبُو الْوَلِيدِ الْمَرْيُ، وَتُوُفِّيَ فِي سَنَةِ (٨٦هـ) وَقَدْ عَمَرَ أَرْطَاةٌ دَهْرًا طَوِيلًا حَتَّى جَاوَزَ الْمِائَةَ بِثَلَاثِينَ سَنَةً، وَقَدْ كَانَ سَيِّدًا شَرِيفًا مُطَاعًا مُدَّحًا شَاعِرًا مُطَبِّقًا. وَقَدْ وَفَدَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ.

٥٥- يُونُسُ بْنُ عَطِيَّةِ الْخَضْرَمِيِّ، قَاضِي مِصْرَ، وَصَاحِبُ الشُّرْطَةِ فِي أَيَّامِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، وَتُوُفِّيَ فِي سَنَةِ (٨٦هـ).

٥٦- مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، كَانَ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ، وَمِنْ أَصْحَابِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، وَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ.

وَقَالَ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ: إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَيَّ حَاجَةٌ، فَلَا تُكَلِّمْنِي فِيهَا؛ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَرَى ذُلَّ السُّؤَالِ فِي وَجْهِكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْهَا فِي رُفْعَةٍ وَارْفَعْهَا. وَكَانَ يَسْكُنُ الْبَادِيَةَ، وَيَجِيءُ مِنْهَا إِلَى الْجُمُعَةِ مُبَكِّرًا. وَتُوُفِّيَ مُطَرِّفٌ بِالْبَصْرَةِ سَنَةِ (٨٦هـ) وَكَانَ لَهُ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ وَالْأَمْراءِ.

المحتويات

٢	مقدمة
٤	خلافة مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٥	الفصل الأول : ترجمته وخلافته
٦	نسبه وأسرته
٦	زوجاته وأولاده :
٧	إسلامه وفضائله:
١٣	صفاته وحلمه
١٥	كرمه وإحسانه
١٦	حسن سياسته وإدارته
١٧	وصيته
١٨	وفاته
٢٠	خلافته
٢٠	عزل معاوية عن ولاية الشام
٢٥	الفصل الثاني :
٢٥	أعماله والأحداث في عهده :
٢٦	ولايته الشام
٢٦	خُرُوجُ طَائِفَةٍ مِنَ الْخَوَارِجِ عَلَيْهِ
٢٦	عودة الخوارج

- ٢٧ تغلب حمران على البصرة.
- ٢٨ قدوم زياد على معاوية
- ٢٨ انتساب زياد بن أبيه إلى أبي سفيان
- ٢٩ بيعة يزيد بولاية العهد
- ٣١ الفصل الثالث.
- ٣١ الفتوحات وولاية البلدان والحج
- ٣٢ فتح قيسارية
- ٣٢ فتح قبرص
- ٣٣ غزو القُسْطَنْطِينِيَّة
- ٣٣ غزو خراسان
- ٣٤ غزو القسطنطينية في عهد معاوية
- ٣٥ فتح أفريقية
- ٣٥ فتح بلخ
- ٣٦ فتح جزيرة رودس
- ٣٦ فتح بيكنند
- ٣٨ ولاته على البلدان
- ٣٨ ولاية الشام
- ٣٨ ولاية المدينة :
- ٣٩ ولاية البصرة :

- ٤٠ وفود عبيد الله على معاوية مع أشرف أهل العراق
- ٤٠ الكوفة:
- ٤١ ولاية خراسان:
- ٤١ ولاية مصر:
- ٤٢ ولاية الحج
- ٤٤ مشاهير من توفي في خلافته:
- ٤٦ خلافة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان
- ٤٧ الفصل الأول ترجمته وخلافته
- ٤٨ نسبه وأسرته :
- ٤٨ صفاته:
- ٤٩ وصية معاوية عليه السلام لابنه يزيد:
- ٥٠ رأي ابن كثير في الأخبار الواردة عن إمارة يزيد :
- ٥٢ وفاته :
- ٥٣ بيعته
- ٥٣ طلبه البيعة من أهل المدينة :
- ٥٤ الفصل الثاني الأحداث في عهده
- ٥٥ دعوة أهل العراق الحسين بن علي بن أبي طالب، عليه السلام ومقتله .
- ٥٥ بعث الحسين مسلم بن عقيل إلى الكوفة :
- ٥٦ عزل النعمان وتولية ابن زياد الكوفة:

- عبيد الله بن زياد يحتال لكشف أمر مسلم ٥٦
- مسلم بن عقيل يعلن الثورة: ٥٧
- وصية مسلم بن عقيل ٥٩
- قتل مسلم بن عقيل ٥٩
- عزم الحسين عليه السلام بالمسير إلى العراق : ٥٩
- نصائح الصحابة لحسين بن علي عليه السلام بترك الخروج للعراق ٦٠
- نصيحة ابن عباس عليه السلام ٦٠
- نصيحة عبدالله بن الزبير عليه السلام ٦١
- نصيحة محمد بن الحنفية : ٦١
- نصيحة أبي سعيد الخدري عليه السلام ٦٢
- نصيحة أبي واقد الليثي عليه السلام ٦٢
- نصيحة جابر بن عبد الله عليه السلام ٦٢
- نصيحة أبي بكر بن عبد الرحمن ٦٢
- توجه الحسين للعراق ٦٣
- مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ٦٥
- ذكر شيء من فضائل الحسين عليه السلام ٦٩
- الأخبار المُنَبَّهة عن مقتل الحسين بن علي عليه السلام ٧١
- رأي ابن كثير في مقتل الحسين ٧٣
- قَبْرُ الْحُسَيْنِ عليه السلام ٧٥

- ٧٦ علاقة أهل الحجاز بيزيد:
- ٧٧ خلع أهل المدينة ليزيد :
- ٧٧ وقعة الحرة سنة (٦٣هـ):
- ٧٨ إرسال يزيد الجيش لقتال أهل المدينة:
- ٨٠ رأي ابن كثير في يزيد بن معاوية :
- ٨٢ الحِصَارُ الأول لعبدالله ابن الزُّبَيْرِ في مَكَّةَ
- ٨٣ مقاتلة ابن الزبير.
- ٨٥ الفصل الثالث
- ٨٥ الفتوحات وولاية البلدان والحج
- ٨٦ الفتوحات
- ٨٦ غزو خوارزم
- ٨٧ ولايته على البلدان
- ٨٧ ولاية الحجاز:
- ٨٧ ولاية الحج
- ٨٨ مشاهير من توفي في خلافته
- ٩٠ إِمَارَةُ مُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ
- ٩١ إِمَارَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ٩٢ الفصل الأول ترجمته وخلافته
- ٩٣ تَرْجَمَتُهُ ﷺ

- ٩٣ : نسبه
- ٩٣ : أسرته
- ٩٣ : صفاته
- ٩٤ : فضائله
- ٩٨ : بيعته بالخلافة
- ٩٨ : بيعته
- ٩٩ : تعليق
- ١٠٠ : الفصل الثاني الأحداث في عهده
- ١٠١ : معركة مرج راهط
- ١٠٢ : استقلال مروان بالشام ومصر
- ١٠٣ : الفتنة في المشرق
- ١٠٣ : بناء الكعبة في أيام ابن الزبير في سنة (٦٤هـ)
- ١٠٤ : اجتماع الشيعة على سليمان بن صرد وانقسامهم
- ١٠٥ : المطالبة بتأري الحسين ممن قتلوه
- ١٠٦ : وقعة عين وردة
- ١٠٧ : وثوب المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب بالكوفة
- ١٠٩ : مقتل خولي الذي اختز رأس الحسين
- ١٠٩ : كتاب المختار إلى محمد الحنفية
- ١١٠ : مصانعة المختار ابن الزبير يريد خداعه

- خرافة كرسي المختار..... ١١١
- مَقْتُلُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ١١٢
- مَقْتُلُ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدِ الثَّقَفِيِّ الْكَذَّابِ ١١٣
- شأن الخوارج في دولة ابن الزبير ١١٦
- موقف الخوارج من بيعة ابن الزبير..... ١١٦
- ثورة الأزارقة بفارس..... ١١٦
- قصدهم البصرة ١١٧
- ثورة عبید الله بن الحر (سنة ٦٨هـ)..... ١١٧
- إدارة مصعب لشؤون العراق : ١١٩
- ولاية حمزة بن عبدالله على البصرة : ١١٩
- وقوع الوباء بمصر :..... ١٢٠
- طمع الروم في بلاد الشام : ١٢٠
- زيارة مصعب لمكة :..... ١٢٠
- المواجهة بين مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ وعبد الملك ١٢٠
- عبد الملك يستميل أمراء مصعب ١٢١
- معركة دير الجاثليق بمسكن ١٢١
- استيلاء عبد الملك على العراق : ١٢٢
- حصار الحجاج لمكة..... ١٢٣
- إحكام الحصار ومَقْتُلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ ١٢٤

١٢٨.....	الفصل الثالث ولاية البلدان والحج
١٢٩.....	ولاية المدينة
١٢٩.....	ولاية الكوفة
١٢٩.....	ولاية البصرة
١٢٩.....	ولاية خراسان
١٣٠.....	ولاية الحج
١٣٠.....	خطبة ابن الزبير في اليوم السابع
١٣١.....	مشاهير من توفي في إمارة عبدالله بن الزبير
١٣٨.....	خلافة عبد الملك بن مروان
١٣٩.....	الفصل الأول ترجمته وخلافته
١٤٠.....	نسبه وأسرته
١٤٠.....	أولاده وأزواجه
١٤٠.....	صفاته
١٤١.....	بيعته بالخلافة
١٤٢.....	بيعة ابن عمر له
١٤٢.....	مناقبه وأقواله:
١٤٥.....	الفصل الثاني الأحداث في عهده
١٤٦.....	بناء قبة الصخرة في بيت المقدس
١٤٦.....	ثورة عمرو بن سعيد الأموي في دمشق ومقتله

- استيلاء عبد الملك على خراسان : ١٤٨.....
- استيلاء عبد الملك على المدينة : ١٤٨.....
- نقض الحجاج زيادة ابن الزبير في الكعبة ١٤٨.....
- ثورة أهل البصرة على الحجاج ١٤٩.....
- إصلاح النقد ١٤٩.....
- قتل مدعي النبوة ١٥٠.....
- انتشار الطاعون في الشام ١٥١.....
- سيل الجحاف بمكة ١٥١.....
- الطاعون الجارف ١٥١.....
- فِتْنَةُ ابْنِ الْأَشْعَثِ ١٥٢.....
- دعوة ابن الأشعث للمهلب ١٥٣.....
- رأي ابن المهلب في مواجهة ابن الأشعث ١٥٣.....
- وَقَعَةُ الزَّوَايَةِ بَيْنَ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَالْحُجَّاجِ ١٥٤.....
- عرض عبد الملك الصلح على ابن الأشعث ١٥٥.....
- هزيمة ابن الأشعث وفراره ١٥٦.....
- مصير الأسارى والمنهزمين ١٥٨.....
- مصير ابن الأشعث ١٥٨.....
- بِنَاءُ مَدِينَةِ وَاسِطٍ ١٥٩.....
- يَبْعَةُ عَبْدِ الْمَلِكِ لَوْلَدِهِ الْوَلِيدِ ١٦٠.....

- وقوع الطاعون في بعض البلدان ١٦٠
- الخوارج في عهد عبدالملك ١٦٠
- خروج أبي فديك في البحرين : ١٦١
- تولية المهلب قتال الخوارج ١٦١
- ضعف أمر الخوارج ١٦١
- ثورة الخوارج بقيادة صالح بن مُسَرِّح ١٦٢
- ثورة شبيب بن يزيد الخارجي ١٦٣
- مَقْتَلِ شَبِيبٍ ١٦٤
- ثورة الخوارج من الأزارقة ١٦٦
- مقتل قَطَرِيٍّ بَنِ الْفُجَاءَةِ ١٦٦
- الفصل الثالث الفتوحات وولاية البلدان والحج** ١٦٨
- الفتوحات ١٦٩
- غزو الروم ١٦٩
- فتح قالقلا ١٦٩
- غزو أرمينية ١٦٩
- فتح بلاد المغرب ١٦٩
- غزو الترك ١٧٠
- فتح مرو وخراسان ١٧١
- ولاته على البلدان ١٧٢

- ١٧٢..... ولاية البصرة
- ١٧٢..... ولاية خراسان
- ١٧٢..... ولاية العراق
- ١٧٤..... ولاية المدينة
- ١٧٤..... ولاية مصر :
- ١٧٥..... ولاية الحج :
- ١٧٦..... مشاهير مَنْ تُؤَيِّ مِنَ الْأَعْيَانِ فِي خِلاَفَتِهِ
- ١٨٥..... المحتويات